موسوعة أشراط الساعة

القيامة الصغرى على الأبواب

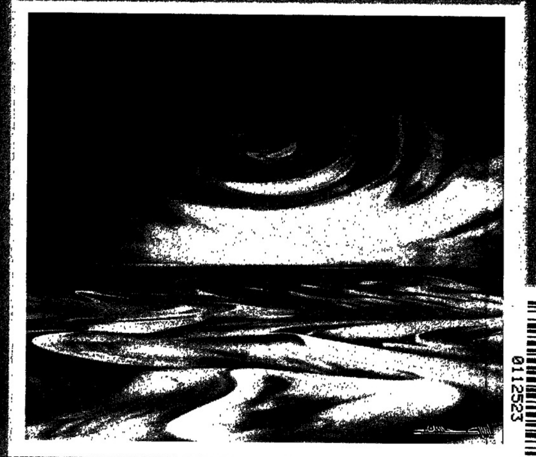
الجزء الثانى

المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة

الأستاذ الدكتور

فاروق الدسوقى

الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية







موسوعة أشراط الساعة

٣

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الثانى

مدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة

الأستاذ الدكتـــــور

فاروق أحمد الدسوقى

حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع ٣٢٩٧ / ٩٨

الترقيم الدولى I.S.B.N

977 - 19 - 5458 - X



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله ومن والاه.

ثم أما بعد،

فإنه مما هو معلوم عند المتخصصين أن لكل علم أكاديمي مدخلا إليه يعالجون فيه قضاياه الرئيسية ومناهجه، ويحددون موضوعاته وفوائده، وصلته بالعلوم الأخرى.

ولا أزعم أن علم أشراط الساعة علم جديد، إذ هو قديم قدم سائر العلوم الاسلامية، إلاَّ أن علم أشراط الساعة الموروث عن السابقين الأولين لم يتضمن مطابقة ماورد من أخبار فى نصوص الوحى عن الساعة وأشراطها على الأحداث والأحوال المتحققة فى حياة البشريه بعامة وحياة الامة الاسلامية بخاصة، إلاَّ فيما ندر ومن ثم يمكننا القول أن علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة علم جديد، هدانى الله تعالى إليه من خلال إقامة جدلية أو علاقة تبادلية بين النص والحدث بمنهج التحليل النقدى للعناصر المكونة لكل منهما تنتهى إلى المطابقة بينهما، اى بين النص والحدث فيصبح الحدث تأويلا للنص ويكون النص كاشفاً عن خبايا الحدث.

إن تناول نُصوص الوحى الخاص بالأشراط بهذا المنهج وُصولاً لهدف المطابقة يُؤدى إلى علم جديد لأشراط الساعة يزيد على كونه مجرد سرد وعرض للنصوص، كما هو متبع عند السابقين ومن سار على نهجهم من المعاصرين، ومن ثم كان لابد من كتابة المدخل لهذا العلم.

إن لكل من مصطلحات: اليوم الآخر والقيامة والساعة فى العلم القديم مفهوما غير محدد وغيْر واضح ويكتنفها جميعا الخلط واللبس، وكذا الحال بالنسبة لمصطلحات الأشراط والآيات والعلامات والأمارات، وحيث من الضرورى التعريف المحدد الواضح لكل مصطلح من هذه المصطلحات وغيرها من مصطلحات هذا

العلم، فقد صارت هذه التعريفات من أهم موضوعات المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة، لأن أهم ما يَتميَّز به أى علم جديد هو التحديد الواضح لموضوعاته وبالتالى لمصطلحاته، وكلما وضحت المصطلحات وكثرت كان هذا دليلاً على نمو هذا العلم ونضجه وشهادة لنتائجة بالصحة والصواب.

وكذلك فإن معالجة موضوعات قديَمة بمنهج جديد وصولا إلى نتائج جديدة دليلٌ على قيام علم جديد.

وإن مما توصلنا إليه فى هذا المجال هو التمييز بوضُوح بين أحداث اليوم الآخر الذى يتَضمن حسب هذا العلم مراحل ثلاث تقع كل واحدة منها بنفخة من نفخات الصور الثلاث، ومن ثم أطلقتُ على الأحداث الناجمة بأمر الله تعالى عن كل نفخة إسم القيامة. وللتَّمييز بينها أطْلَقْتُ على أحداث النفخة الأولى وهى نفخة الفزع مصطلح: القيامة الصغرى، وأحداث النفخة الثانية وهى نفخة الصعق: القيامة الوسطى، وأحداث النفخة الثالثة وهى نفخة البعث: القيامة الكبرى، وهذه الثلاثة - وإن كانت مذكورة فى الجزء الأول - إلاَّ أنها مطروحة فى هذا الجزء تفصيلاً بأدلتها من الكتاب والسنة.

وتكمنُ أهمية هذه المصطلحات وتعريفاتها المفَصَّلة الواضحة فى رفع اللبس والتضارب الموجود عند المفسرين فيما دَوَّنوه عن أحداث اليوم الآخر وأشراط الساعة إبتداء من إبن جرير الطبرى ومروراً بابن كثير والذين مِنْ بَعْدِهما.

كما أن كل من كتبوا فى علم الأشراط لم يميزوا بين الأشراط والآيات والعلامات والأمارات مما أحدث عندهم لبسا وخلطا وغموضا واضطرابا فى تصنيفاتهم لأخبار الأشراط والفتن والملاحم، ومع أن التمييز بين الأشراط والآيات قد سبق فى الجزء الأول، فإن هذا الجزء الخاص بالمدخل تَضمن تعريفاً مفصلاً وتمييزاً واضحا بين

العلامات والامارات أيضاً فصارت مصطلحات ذات مدلولات محددة، وهذا يذكرنا بأن بعض مواضيع هذا المدخل قد سبق طرحها مجملة أو بالاشارة فى الجزء الأول ومن ثم فصلتُها فى هذا الجزء، بالاضافة الى موضوعات أخرى جديدة ولعل قائلا يقول: إن المدخل عادة ما يُكَوِّن الجزء الاول فى أى موسوعة، فكيف يأتى فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة؟! وهذا الإعتراض وجيه، لكن عذرى أن العلم رزق من الله تعالى سبحانه لا علم لنا إلاَّ ما علَّمَنا إياه، وما كان فى حُسْبَانِى أن أُفرد للمدخل جزءاً خاصاً.

فلما كثُرتْ موضوعاته وتَفَصَّلَتْ وظَهَرتْ ضرورة هذه المسائل، باعتبارها تمهيداً ضرورياً لفهم قضايا هذا العلم وأجزائه المَتَلاحقة، إنتهيتُ بفضل الله تعالى وحده بهذه المسائل إلى الحجم الذى رأيتُ أنها صارت جديرة بإفرادها بجزء خاص بها.

والتفصيل بين أحداث القيامات الثلاث فى غاية الأهمية، لأن أكثر المفسرين والعلماء جعلوا أحداث كل قيامة متداخلة مع التى تليها، فَدَمَجُوا أحداث الصغرى والوسطى فى قيامة واحدة، وجعلوا النفخات الثلاث إثنتيْن فقط، فحَدث اللبس والخلط والتعارض والإختلاف في تفسيرهم لنصوص الوحى: كتابا وسنة تلك النصوص التى تتحدث عن مشاهد القيامة وما يحدث فيها من أحداث وأهوال فى السماء والأرض والجبال والبحار والكواكب وغيرها. وكذلك النصوص التى تتحدث عن العذاب وهى كثيرة جدا، حتى أننى أقول مطمئنا أن تفسيرات المفسِّرين لهذه النُّصوص: قرآنا وسُنَّة قد شابها الغموض لما تضمنته هذه التفسيرات من أخطاء نتيجة هذا الخلط.

ومن ثم يعتبر هذا الجزء متضمنا للأساس الفكرى لتصحيح هذه التفسيرات الخاطئة لا أقول لعشرات الآيات القرآنية بل لمئات الآيات وربما للآلاف الخاصة

بموضوعات هذا العلم وهذا من أعظم ما أنعم الله تعالى به عليَّ، وأدعو الله عزوجل أن يوفقنى إلى إتمام هذه الموسوعة التى أرجو أن تتضمن فى أجزائها كشف هذه الأخطاء، وبيان الوجوه الصحيحة لتأويل هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويكفى فائدة عظمية لهذا العلم كشف اللبس والغموُض والإختلافات الكائنة فى كتب التفسير حول آيات القيامة والساعة والأشراط، وقَدْ عرضتُ بعض الأمثلة لهذه التأويلات غير الصحيحة لنصُوص أحداث القَيامَة في الباب الأخير من هذا المدخل.

وحيث أن من العرف المعمول به لدى العلماء في المدخل لأى علم إستعراض الأبحاث والنتائج السابقة له منذ السابقين حتى المحدثين والمعاصرين، فقد عرضتُ بابا إستعرضتُ فيه أعمال أهم المساهمين فيه وخصصتُ لكل واحد منهم فصلا، تناولتُ فيه ماكتبه وصنَّفه فى أشراط الساعة والفتن والملاحم تناولاً نقديًا مقارنا لبيان أوجه الإتفاق والإختلاف بين تصنيفاتهم للأشراط من ناحية، وترتيبهم لها من ناحية أخرى مع الإشارة إلى أوجه الخطأ والصواب فيها مع سوق الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

إن علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة يختلف، من حيث المنهج والأهداف والنتائج عن كل ما سبق تدوينه فى القديم والحديث تحت عناوين أشراط الساعة والفتن والملاحم. من حيث أن الاولين السابقين من العلماء رحمهم الله لم يكن أمامهم إلاَّ أن يفهموا نصوص الوحى الخاصة بالأشراط من خلال تصورات ومفاهيم عصورهم، وبالتالى فهم مَعْذُورُون، إذا لم تتطابق تفاسيرهم للآيات وشروحهم للأحاديث، مع كل ما تحقق من أحداث تاريخية، وعلوم ومخترعات صناعية، لم تكن تخطر على بال أحدهم، فيما تعيشه البشريه فى عصرنا الراهن، فنحن أهل هذا العصر الراهن أقدر على فهم هذه النصوص منهم، لأننا نعايش تأويلاتها، من هنا

جاءت أهمية المطابقة بين المفاهيم اللغوية لنصوص الوحى مع الأحداث والأحوال الاجتماعية والخلقية وكذلك مع المخترعات العصرية[1] فظهرت بالتالى نتيجة هذه المطابقة معالم ومقومات وأصول علم جديد فى أشراط الساعة.

والمدخل إلى هذا العلم الذى هو الموضوع الرئيسى لهذا الجزء يضع الأساس الإعتقادى له، ويقدم أهدافه ومناهجه ومصادره وفوائده ومفاهيمه ومصطلحاته، ومراحل القيامة الثلاثة، ويحدد أحداث كل مرحلة فى علم يتناول المستقبل إبتداء من عصرنا الراهن إلى نهاية الدنيا.

من أجل هذا كله إستحق أن يكون مدخلا لعلم أشراط الساعة بمنهج المطابقة الذى لاغنى عنه لمن يريد أن يتابع قراءة هذه الموسوعة. أسأل الله العلى القدير سبحانه أن يُثَقِّل بجهدى المتواضع هذا ميزانى وميزان من أعاننى على إخراجه وتقديمه للقارئ المسلم، وأسأله سبحانه أن ينفع به المسلمين، إنه سميع مجيب.

د. فاروق الدسوقى

الإسكندرية فى ٧ ربيع ثان ١٤١٩هـ
٣١ يوليو ١٩٩٨م

---

(١) وسنعرض بأذن الله تعالى فى الجزء الثالث الإمارات العلمية والتكنولوجية والصناعية وسيجد القارىء أنه ما من اختراع معاصر الا وقد اخبر عنه الوحى وارجوان يصدر قريباً جداً.

الباب الأول

مصادر أشراط الساعة وأصولها الاعتقادية في الكتاب والسنة

الفصل الأول: الكتاب والسنة أصح مصادر علم المستقبل على الإطلاق

الفصل الثاني: الاصول الاعتقادية لاشراط الساعة أو علم المستقبل في الكتاب والسنة.

(١) حفظ القرآن الكريم لفظاً ومعنى ظاهرة فريدة

سيظل كتاب الله تعالى محفوظا، بأمر الله تعالى وقدره النافذ، من الزيادة والنقصان والتبديل والتغيير والتحريف، أى سيظل مصونا من ذلك كله لفظا ومعنى.

وهذا هو الواقع المشهود المعروف بالظاهرة القرآنية باعتبار أنه ظاهرة تاريخية فريدة متميزة غير متكررة فليس لها نظير فى الأديان الكتابية السابقة، وليس لها سابق ولا لاحق فى تاريخ الحضارات وفيما هو موروث من تراث أى أمة ومن ثقافة أية حضارة. لقد هيأ الله تعالى لحفظه باللفظ والكلمة الصدور التى تحمله عن آلاف الصدور عبر الأجيال، هكذا خلال القرون الأربعة عشر التى هى عمر أمة الإسلام، هذه الأمة التى جاء فى الوحى القديم عن تميزها، بأنَّ «إنجيلهم فى صدورهم».

وكذلك بما هيأ الله تعالى للأمة من أسباب كتابته وتدوينه وجمعه ومراجعته واتقانه من خلال مؤسسات انتشرت فى العالم الإسلامى المترامى الأطراف بحيث يكون من المستحيل أن تصدر طبعة من الطبعات فى عصر المطبعة بها أدنى تغيير ليس فى كلمة أو فى حرف من حروف الكلمة، بل وليس فى شكلة من أشكال الحروف، أو نقطة من نقاطها.

وكذلك حفظ الله تعالى كتابه من حيث المعنى بما هيأه الله تعالى من علماء مخلصين لتفسيره، وبيان أسباب نزول بعض آياته وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وغير هذا كله من علوم القرآن الكريم.

وحَفِظَهُ الله تعالى من حيث المعنى بما هيأه له من علماء اللغة العربية، وما وضعوه وأنشأوه من علوم شتى للغة العربية: كالنحو والصرف والبلاغة والعروض، ومن معاجم وضعوها، حفظوا بها لغة القرآن الكريم حية غضة طرية، فحفظوا لنا أسرار العربية ودقائقها التى نفهم بها القرآن الكريم، رحم الله القراء والعلماء والحفاظ والنحاة جميعا، وجزاهم عن الأمة خير الجزاء، فهم الذين حفظ الله تعالى بهم القرآن

الكريم، كلمةً ومعنىً. ولا يرتاب في هذه الحقيقة التي هي تحقيق لوعد الله تعالى ﴿واتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف / ٢٧] لا يرتاب فيها إلاّ منافق، ولا يرفضها إلاكافر خارج عن الملّة.

هذا بالنسبة للقرآن الكريم المنزل من الله على قلب رسوله ﷺ بسوره وآياته وكلماته وحروفه، كما هو مدون في المصحف الذى بين أيدى المسلمين اليوم.

(٢) حفظ السنة بالمعنى

أما السنة النبوية الشريفة التى هى المصدر الثانى للإسلام، وهى مصدرربانى كالقرآن الكريم، لأنها وحى منزل على رسول الله ﷺ، ولكن بالمعنى فقط دون اللفظ، فالمعنى إلهى ربانى سماوى، واللفظ نبوي كريم، فهو بشري من هذا الوجه فقط.

ومن ثم لما عجزت الطواغيت المحرِّفة للرسالات السماوية عن تحريف القرآن الكريم، لا باللفظ ولا بالمعنى، وضعوا همهم وجهدهم لتحريف السنة النبوية محاولين تقليد الأسلوب النبوى الكريم ليخدعوا المسلمين بما هو شبيه به وعلى منواله. فوضعوا الأحاديث وكذبوا على رسول الله ﷺ، وكوَّن أعداء الأمة من اليهود جيشا من المتظاهرين بالإسلام المدعين العلم، وانتشروا فى الأمصار والقرى يقصون على الناس من القصص والأقاويل ما يفسد عليهم دينهم ويحرفون فى نفوسهم مبادىء الإيمان وأصول الإسلام.

فهل تم لهم ما أرادوا وضاعت السنة الصحيحة بين ركام الموضوعات والمكذوبات والمرويات الإلحادية؟ حاشا لله عزّ وجلّ العزيز الحكيم أن يسمح بضياع رسالته الخاتمة للإنسان وشريعته الأخيرة للبشرية، وسنة النبى ﷺ وحى من الله تعالى وقسم جوهرى منه، فكيف يضيع من هذه الرسالة؟ وقد أخبر حبيبه المصطفى سيدنا محمد بن عبد الله الهاشمى القرشى بأنه خاتم الرسل وآخر الأنبياء، وبأن الوحى الذى نزل عليه هو الوحى الأخير للناس، ومن ثم وعد سبحانه بحفظ كلامه الذى يتعبد به المسلمون، وأيضا وعد بحفظ الذكر المنزل عموما من عند الله تعالى فقال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [آية: الحجر/ ٩] هذا وعد منه عزّ وجلّ

بحفظ السنة، التى هى من الذكر، لأنها من الوحى المنزل، وقد وعد الله تعالى بحفظ ما أنزله من ذكر على نبيِّه ﷺ، أى القرآن والسنة.

ومن ثم باءت بالفشل محاولات اليهود بخاصة وأعداء الإسلام بعامة للقضاء على السنة، أو لتحريفها، أو لتغليب المكذوب على الصحيح فيها، أو لتضييع الصحيح وإخفائه فى المكذوب والموضوع، فلم ينجحوا، ولم يصلوا إلى ما خططوا له، ولم يحققوا ما ابتغوه، وهدفوا إليه، وأبطل الله تعالى كيدهم، الذى أحيانا ،ربما يبلغ من القوة أن تزول منه الجبال.

بل أدى كيدُهم وخبثُهم ومكْرُهم هذا ضد السنة الشريفة إلى أن تصدّى علماء الأمة لهم، ووفقهم الله تعالى إلى إنتاج أعظم العلوم الإنسانية فى تاريخ البشرية قاطبة، وهو علم النقد التاريخى، القائم على تعديل وتجريح السند، الذى ليس له نظير عند الأمم الكتابية الأخرى.

فقيض الله تعالى لسنة نبيه من العلماء المخلصين الذين أنتجوا العلوم، وشيدوا المدارس والمعاهد والكليات، وأسسوا المناهج والمصطلحات والمعاجم وسطروا المجلدات بعلوم السنة: رواية وتحقيقا وحفظا وتنقيةً ومراجعةً وتدوينا، كل هذا على مدى قرون الإسلام الأربعة عشر، فأثمر هذا كله ما يُعرف الآن بعلوم الحديث النبوى، وهى العلوم التى انفردت وتميزت بها أمة المصطفى الخاتم عن سائر الأمم الكتابية، فاستحقت بذلك أن يطلق عليها بعضُ المستشرقين بحق : «أمة السند» اعترافا بحقيقة تاريخية متفردة فى تاريخ البشرية المكتوب. وهى علوم الحديث النبوى. وبهذا التراث العظيم أصبح لدى المسلمين الميزان الدقيق والمعيار العلمى الذى يمكنهم أن يختبروا به كل خبر تاريخى وكل حديث منسوب لقائليه بعامة ولرسول الله ﷺ بخاصة، ليصلوا فى النهاية إلى الحكم بأنه صحيح أو حسن أو ضعيف أو مكذوب أو موضوع.

فعلوم الحديث بما فيها من مناهج لنقد الرواية، ومن علوم متعددة للجرح والتعديل، ومن معاجم تضم عشرات الألوف من أسماء الرواة بتقرير واف عن كل منهم، ودرجته من الحفظ والاتقان والأمانة، بشهادة الأئمة والعلماء الكبار فى

الأجيال الثلاثة المشهود لها، كل هذا يُعَدُّ مُرَشِّحاً دقيقا جدًا لا ينفذ منه إلاَّ كُلُّ ما هو خالص ونقى وخال من الشوائب والآفات، وبهذا يتميز الطيب عن الخبيث فى المرويات، إذ بهذا العلم حفظ الله تعالى القرآن الكريم من التحريف فى معانيه، لأهمية السنة الشريفة فى تفسير وفهم كتاب الله عزّ وجلّ، لأن حفظ الله عز وجلّ أحاديث نبيِّه وسيرته وتاريخ الأجيال الثلاثة الأولى، وأقوالهم وآثارهم إنما هو تمام لهدى الله تعالى ولنوره لأجيال الإسلام حتى آخر الزمان.

(٣) دعوى التشكيك فى السنة وفى أحاديث الآحاد مصدرها المنافقون ومن فى قلوبهم مرض وجهلة المسلمين

ومع هذا فقد ابتليت الأمة بمن يشكك فى السنة النبوية، وهذا قدر الله تعالى بابتلاء المخلصين بالمنافقين وبالذين فى قلوبهم زيغ، وهذا البلاء لم ينج منه جيل من أجيال الأمة، إذ ظهر مع ظهور الفرق الخارجة عن الجماعة، ومازال له منافقون يُرَوِّجُونَه، فالخوارج الأوائل الذين خرجوا على الأمة فى عهد الصحابة وكفَّروا الصحابة حتى الإمام على رضى الله عنه، هؤلاء لم يكن لهم علم بأحاديث رسول الله ﷺ، إذ كان أكثرهم من البدو الذين ليس لهم صحبة معه عليه الصلاة والسلام، ولم يكن علم الحديث قد تكوَّن بعد.

ثم ظهرت القدريةُ أصحاب بدعة نفى القدر وقالوا: «لا قدر والأمر أنف» وهؤلاء لم يرجعوا إلى السنة ، بل لم يرجعوا إلى جميع آيات القرآن الكريم، وإنما أخذوا بالبعض دون بقية الآيات، فخرجوا ببدعتهم الضالة المضلة التى ردها ونقضها من طال عمره من الصحابة، مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وذكر من أحاديث رسول الله ﷺ ما يدل على بطلان قولهم.

ثم ظهرت المعتزلة أصحاب هوى، فزعموا أنهم يستخدمون العقل فى فهم القرآن الكريم، ولم يكن اعتمادهم على العقل بقدر ما كان على الهوى، فكان منهم ما كان من القول بخلق القرآن الكريم، وصارت فتنة أُبتلى فيها أئمة الأمة فصمدوا وبيَّنوا وصبروا.

وكان من فتنتهم بدعة رد أحاديث الآحاد بحجة أنها ظنِّية، وأنه يؤخذ بها فى

الأعمال، ولا يؤخذ بها فى العقائد والغيبيات، وما قالوا ذلك إلاَّ لكى يردوا من الأحاديث ما لا يوافق أهواءهم وبدعهم، وما عرفت الأمة فى عصر الصحابة وفى الأجيال الثلاثة المشهود لها التفرقة بين أحاديث الآحاد والأحاديث المتواترة، من حيث الصحة والقبول. بل ما صح سنده عندهم فهو صحيح، وإن كان برواية الآحاد عن الآحاد وما لم يصح فهو ليس بصحيح حتى ولو لم يكن من الآحاد.

وظل أصحاب الزيغ فى كل جيل يثيرون الشبهات حول السنّة ابتغاء الفتنة وابتغاء صرف المسلمين عنها، ومن ثم يبتعدون عن الإسلام الصحيح الكامل. يقولون الأحاديث فيها الموضوع والمكذوب، ولانستطيع أن نميز بين هذا كله وبين الصحيح. إذن، منعا للضلال نكتفى بكتاب الله تعالى، لأن الله تعالى وعد بحفظه، ولنرفض كل الأحاديث. فإذا وضَّح العلماء لمن اغتر بهذا القول بعض حقائق علوم الحديث، وأنها جبل شامخ عزيز على مكر الماكرين وعبث العابثين، وأن العلماء منذ القدم قد ميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف، وأنهم عزلوا عن سنة النبى ﷺ كل ما هو دخيل خبيث، وأنه لا يقول بهذا القول إلاَّ جاهل أو ضال مُضِلٌ مبتدع هادم لدين الله تعالى، تراجعوا خطوة، وقالوا ولكن - مع تسليمنا بجهود المحدثين والحفاظ وبمعرفتهم للصحيح من الضعيف والموضوع، إلا أنهم يقرون أن من أقسام الحديث ما هو متواتر، وهو المروى بسند جماعى عن سند جماعى يبلغ العشرة فيستحيل تواطؤهم على النسيان أو الكذب، والقسم الآخر هو الآحاد، وهو المروى بفرد عن فرد أو آحاد دون العشرة، فيكون متن هذا الحديث الذى هو عن طريق سند فردى ظنيا، وليس يقينيا ومن ثم لا يصلح أن يكون مصدرا للعقائد والغيبيات. ثم يبنون على هذه المقدمة نتيجة ويقولون: وعلى هذا فنحن لا نرفض الأحاديث المتواترة، وإنما نرفض الآحاد. وإذا أخذنا بها، ففى فضائل الأعمال وليس فى العقائد. هذا ما قالته المعتزلة مخالفة بهذا القول جميع علماء الأمة، والذين فى قلوبهم زيغ يبتغون الفتنة، ويردد هذا القول خلفهم أنصاف المتعلمين والمثقفين بالثقافة الغربية الجاهلين بالإسلام.

وقد رد العلماء من كل جيل على هذه الدعوى الباطلة بتفاصيل وأدلة من الكتاب والسنة تثبت أن الصحابة اعتمدوا أخبار الآحاد لدينهم[1].

(٤) التشكيك فى أحاديث أشراط الساعة لا يفيد إلاّ أعداء الإسلام

ولما كان الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان فى الإسلام، ولما كان بدء اليوم الآخر وصدره فى الدنيا[2] باعتبار أنه آخر أيامها أى آخر عصورها، وانتهاؤه بيوم الحساب بعد البعث والنشور وآخره دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، لذا جاءت أخبار هذا اليوم مفصلة فى السنة الشريفة بينما جاءت أخباره مجملة فى القرآن الكريم، ومن هذا المفصل أشراط الساعة وعلاماتها وأماراتها وآياتها.

فما جاء عنها مجملا فى القرآن فصلته السنة، وما جاء ذكرها تلميحا وإشارة فى الكتاب كشفته السنة، وصرحت به الأحاديث .

وقد أخبر الله عزّ وجلّ كليمه موسى عليه السلام بقوله عنها﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه / ١٥] فلم يقل سبحانه «أخفيها» وإنما قال «أكاد أخفيها» لأن الوَحْيَيْن القديم والأخير تَضَمَّنَا ذكراً لأحداث معينة محددة متسلسلة فى الزمان تسبق الساعة مباشرة، فإذا وقع أولها، تيقن العالمون بهذه الأمارات من الوحى أنهم فى آخر الزمان، وأن اليوم الآخر قد بدأ، ومن ثم يمكنهم ترقب الحدث بعد الحدث فيحدث كما جاء خبره فى السنة الشريفة. هذه الأحداث هى ما يعرف فى السنة بأشراط الساعة وعلاماتها وأماراتها وآياتها.

وأخطر هذه الأحداث فتن وملاحم، أى مواقع عسكرية عظيمة تقع بين أهل

---

(١) انظر رسالة «حديث الآحاد والعَقيدة» ورسالة «الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام» للشيخ الألبانى وهو مِنْ أعلم أهل الأرض فى علم الحديث وردود العلماء القدماء وعلى مر تاريخ المحدثين كثيرة.

(٢) حسب قول ابن عباس رضى الله عنه وسيأتى بيانه ومصدره.

الإيمـان وأهل الكفـر، من خلال الصـراع المستـمر بين حـزب الله وحزب الشيـطان، وعصر الملاحم يعبر عـن سلسلة من هذه الملاحم العظيمة يقـود حزب الله تعالى فيها شخصياتٌ مؤمنـة صالحة ويقـود حزب الشيـطان شخصيـات ملحـدة كافرة متـألهة طاغية.

أهم الشخصيات المؤمنة شخصية المهدى محمد بن عبـد الله، الذى يأتى فى عصر ضعف المسلميـن وضَيَّاع خلافتهم، وامتلاء الأرض بالظلم والـفساد والشر والظلام، فيعيد الله تـعالى به الخلافة الراشدة، ويوحـد العالم الإسلامى، بعد فرقـة ويعم الخير والعدل علـى يديه، وتستمر بعـده الخلافة حتى يأتى الـقحطانى، وهوالخليـفة الراشد الذى يأتى بعده فتحاربه أوروبا الصليبيـة، وتهجم على جميع أرجاء العالم الإسلامى فى المـوقعة الفـاصلة الـنهائيـة بين الـروم والمسلـمين، فيـهزمهـم الله تعالى، ويـدخل المسلمـون أوروبا، ثم يخرج الدجـال وهو القائد الخفـى الآن لحزب الشيطان، فـيظهر لأول مرة للناس ويظهر مخاريقه ويَدَّعى الربوبية، ثم ينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ويقتله، ويحارب المسلمون تحت قيادتـه، حرب استئصال لليهود وللمشركين، حتى يقول الحجر والشجر يامسلم ياعبد الله ورائى يهودى تعالى فاقتله، ويضع المسيح علـيه السلام الجـزية فلا يـقبل من الـنصارى إلا الإسـلام أو القتـل ثم يخرج يـأجوج ومأجوج فيقتـلهم الله، ثم تصير الأرض كلها مـسلمة تحت حكم المسيح عـليه السلام وتعطى بركتها.

ثم تـخرج الـشمس مـن مغربـها وتـخرج الدابـة من الأرض ويأتـى الدخـان من السماء.

وتحدث بعـد ذلك أحداث تعود من خـلالها البشريـة إلى الكفر، ويبـقى الأشرار وحدهم فـى الأرض، ثم تخرج نار من قـعرعدن، فتسـوق الناس إلى محشـرهم، ثم تقوم الساعة فى وقت لا يعلمه إلاَّ الله وحـده سبحانه وتعالى. هذه الأخبار وردت فى السنة، ولـها سندها فى الـقرآن الكريم، واتفـق العلماء فى عـصور الأمة عليهـا، لكن لأمر ما يظهر فى الأمة من يقول:

ـ أحاديث المهدى كـلها موضوعة لا أصل لهـا، فما صح منها غيـر صريح وما هو صريح منها غير صحيح، وأن فكرة المهدى من صـنع الشيعة، والقول بالمهدوية يحيل الأمة إلى التواكـل. كأن الأمة فى عصر ذلها وهـوانها من أبناء القردة والخنازير قادرة على النصر، ولكـنها لا تريد وتفضل عدم الأخذ بالأسباب فـتتواكل؟! أين الأسباب التى يمكن الأخذ بـها أمام إفساد اليهود وعلوهـم الكـبير فى الأرض!. إلاَّ الدعوة إلى الله تعالى بالحـكمة والموعظة الحسنة!؟. وإلا الـصبر عـلى الأذى والـتعذيـب فى السجون والقتل؟!

ـ ومن يقول: لم يرد ذكر الدّجال فى القـرآن الكريم وأحاديث الدّجال (تعارضت فتَساقطـت) وإن صحت بعض الأحاديث فيه فـهو رمز للفساد والشر الـذى سيغلب على الناس فى آخر الزمان، ولا يوجد شخص أعور اسمه الدّجال.

ـ ومن قولـهم أيضا لم يـرد ذكرنزول المسيـح عيسى بن مـريم فى القرآن الـكريم، وإنما ورد فى الـسنة، وهذا الـنزول يتعـارض مع كون المصـطفى سيـدنا محمـد خاتم الرسل والأنبياء، إذ يكون المسيح عليه الـسلام رسولا نبيا بعد المصطفى الخاتم ﷺ ولم يثبت فـى القرآن رفع المسيح عـليه السلام حيا حـيث توفاه الله إليه، وهذا أمـر مخالف للسنن، والله تعالى أخبر أنه لا يكون ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا، وأنه تعالى ما جعل لبشر قبل نبيه ﷺ الخلد.

ـ كذلك بـقية آيات الـساعة العشـر، وهى الخسوف الثـلاثة وخروج الشـمس من مغربها وخروج الدابة من الأرض والدخان من السماء قد جاءت مجملة فى القرآن، ونص القرآن على الدابة فقط، أما الدخان فقد اختلفوا فى تفسيره.

هذه أقوال فئات من الأمـة ترددها خلف من لا يريد لهذه الأمـة خيرا ولا صلاحا ولا هدى ولا انتفاعاً بسنّة نبيها ﷺ. لمصلحة من يكون هذا الكلام؟

أليـس هذا الكلام لمـصلحة حـزب الشيطـان بعامـة؟! ولمصلحـة المسيح الـدّجال ودولته، التى تحكم الأرض الآن من خلال مؤسسات صنعها لذلك، بخاصة؟!

إذا كذبنا وجود شخصية الدّجال فسيكـون هو ودولته أسعد الناس بهذا التكذيب، لأنه سيظل الـعدو الخفى الذى يحارب من وراء سـتار، فكيف تنتصـر أمة فى صراع

وحروب قاسية، وهى لا تعرف مَنْ الذى تحاربه؟ بل ربما تستجيب لدعوته فتطيعه فتقع فى الخيبة التى ما بعدها خيبة، والنكسة التى ما بعدها نكسة، وكم من نكسة مرت بها الأمة، لأنها لم تكن تعرف مَنْ العدو ومَنْ الولى المخلص، وإذا رفض المسلمون التصديق بوجود شخصيات ستقودها للخير كالمهدى الأول والأخير والمسيح بن مريم عليهم السلام، فإنهم سيحاربونهم، إذا جاءوا ويصبحون عونا للأعداء عليهم بدلا من أن يكونوا عونا لهم على الأعداء، أفرأيتم كم هو الضلال والتضليل الذى يَصْنَعُه الذين يُفتون بغير علم، تقليداً وترديداً لمقولات بثها الأعداء، وما ذلك إلا لجهلهم بما تركه لنا رسول الله ﷺ من أحاديث عن أشراط الساعة والفتن وملاحم آخر الزمان.

فحزب الشيطان هو صاحب المصلحة فى تكذيب الأحاديث الصحيحة والحسنة، وحتى الضعيفة منها، تلك التى يمكن تقويتها، فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة وأماراتها.

وهل فى سنة رسول الله ﷺ إلاَّ كل ما هو هدى ورحمة، ونفع وموعظة للأمة، وبخاصة للنجاة من الفتن.؟!

(٥) من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، الوصول إلى التفسير الصحيح للأحداث المعاصرة، من غير الرجوع إلى نصوص الوحى فى أشراط الساعة.

فى ثنايا الجزء الأول من هذا الكتاب قدمتُ الأدلة من القرآن الكريم والسنة، على أننا نعيش فى هذا العصر، إفسادة اليهود الثانية والأخيرة مع العلو الكبير فى الأرض كلها، وأن هذه الإفسادة وهذا العلو هما من صناعة المسيح الدّجال ملك اليهود.

ثم أقمتُ الدليل من السنة على أن أول أشراط الساعة الكبرى كما أنبأ به حديث البخارى (أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)[1] هو فتنة

(١) صحيح البخارى/ ك أحاديث الأنبياء / ب خلق آدم وذريته/ ح٣١٩٦. وأخرجه أحمد والنسائى. ورقمه فى مسند أحمد: ١١٧٥٣.

العراق والكويت أو الحرب العالمية الثالثة ضد العراق عام ١٩٩٠/ ١٩٩١م. وباعتبار أن هذه أولى الملاحم، فإن هذا يدل على أننا فى آخر الزمان، وأن اليوم الآخر قد بدأ ، وأن القيامة الصغرى على وشك الحدوث، متمثلة فى الزلزال والخسوف وغير ذلك من مظاهر القيامة الصغرى فى القرآن الكريم، إذا لم يرجع الناس ويتوبوا إلى الله ويقلعوا عن جرائم: استحلال الزنا والربا والخمر وكل ما وقعوا فيه من آثام عمت البشرية جمعاء.

وثبت لنا أيضاً من خلال فصول هذا الكتاب أن الإفسادة الكبرى لليهود فى الأرض كلها، والتى وصلوا بها إلى العلو الكبير، والسيطرة على مقدرات الأرض كلها، هى من صناعة اليهود بقيادة المسيح الدجال الذى لم يعلن عن نفسه بعد، وأنه هو الذى أملى بروتوكولات حكماء صهيون على المجلس الذى كان يتلقى منه، وأن المرحلة التى تعيشها البشرية الآن باسم النظام العالمى الجديد، وحكم الدُّوَلْ المُستَضْعَفَة بما يعرف بمجلس الأمن الذى يصدر قرارات الحصار والتَجويع ومنع الأدوية وقتل الشعوب، وحشد الجيوش، كما حدث مع العراق، وما زال يحدث حتى الآن، إلى أن وصل عدد المقتولين من الأطفال فى العراق خلال أقل من سبع سنوات منذ انتهاء الحرب العالمية الثالثة أولى الملاحم حتى عام ١٩٩٧ حوالى ٩٥٠٠٠٠ تُسْعُمائة وخمسين ألف طفل، وعدد المقتولين من الرجال والنساء بسبب الحصار ومنع الأدوية حوالى مليونى رجل وإمرأة، ذلك كله فى شعب ضعيف صغير مثل الشعب العراقى، خلاف قتلى الطلعات الجوية التى ظلت أربعين يوما وبلغت قوة المتفجرات التى ألقيت على العراق ما يعادل عشر قنابل نووية كالتى أُلقيتْ على اليابان، نقول: إن هذه المرحلة التى تعيشها البشرية تحت حكم قوة واحدة ، يبدو فى الظاهر أنها قوة الولايات المتحدة الأمريكية متعاونة معها أربع دول أخرى فى مجلس الأمن، هى فى الحقيقة المرحلة الأولى لحكم الدجال للأرض من خلال قوة واحدة ، بعد أن كان يحكمها خلال النصف الثانى من القرن العشرين بقوتين عُظْمَيَيْن. فليست أمريكا حاكمة للعالم، بل ليس الشعب الأمريكى حاكما لنفسه، بل تحكمه الصهيونية التى يحكمها ويحركها الدّجال لهدف نهائى شخصى له، وهو إعلان

ربوبيته للعالم من خلال اعلان نفسه ملكا متوجا لليهود، ثم للعالم كله كما دلت على هذا الأحاديث الصحيحة.

أما الحالة الثانية للوجود الدجالى فهو يوم أن يظهر للعيان فيبصره الناس بأعينهم، أى الخروج النهائى الذى يكون من أصبهان يتبعه سبعون ألفا من اليهود عليهم الطيالسة أى أكبر تجمع يهودى.

أى أن للدجال حضورين ووجودين فى الأرض، هما ثمرة الإفسادة الأخيرة والعلو الكبير: الأول حضور وتواجد وسلطان عالمى على أكثر شعوب الأرض فى شكل مؤسسات ودول عظمى ومنظمات مالية وبنوك وجيوش سرية تأتمر بأمره وهو يمسك بالخيوط الخفية التى يحرك بها كل ذلك.

والثانى: الحضور العلنى عندما يخرج من أصبهان، والأمر الطبيعى أن لا يخرج هذا الخروج الأخير الذى سيزعم فيه أنه رب العالمين، ومنقذ البشرية وأمير السلام والإله الذى تجب عبادته، إلا بعد أن يصنع من الأجهزة والمؤسسات والوسائل والآليات التى تمكنه من أن يطاع، وطبيعى أيضا أن يكون هذا كله من خلال اليهود وبهم، لأنه ملك اليهود وإله يهود كما دلت على هذا النصوص الصحيحة المتطابقة مع الأحوال والأحداث البشرية العالمية المعاصرة.

(٦) العجب كل العجب أن يشكك البعض فى أهمية علم أشراط الساعة ويعدلون عنه بالرغم من بدء اليوم الآخر:

كل هذا يوجب تنبيه الأمة وتحذيرها مما هو قادم من فتن ومخاطر وبلايا ومحن، كما نبأنا بها سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبالرغم من أن هذا الكتاب الذى صدر الجزء الأول منه باسم زلزال الأرض العظيم ثم صدر الإصدار الثانى من هذا الجزء الأول تحت عنوان القيامة الصغرى على البواب. قد وجد صدى إيجابيا عند بعض المسلمين وتفهموا ما فيه ولم يصدهم عن حقائقه الثابتة بالكتاب والسنة والوحى القديم بعض ما اكتنفه من أخطاء تدور كلها حول مواعيد توقعتها للأحداث المنتظرة، فإنه قد وجد صدى سلبيا عند البعض الآخر بسبب هذه الأخطاء، لكن هناك من المثقفين والمتعلمين والمتخصصين بل ومن العلماء والدارسين للعلوم الشرعية من يرفضون البحث فى أشراط وعلامات

وأمارات الساعة لإثبات الذى تحقق منها، هـذا الإثبات الذى صح منه الكثير واتفق عليه كثير من المخلصين، وتفهمه العقلاء والمستبصرون من أبناء أمة الإسلام. فهناك من يقول ما فائدة هذا العلم؟ فإذا تلقى الردود المفحمة وسلم بفائدته، عاد وقال لكن أكثر أحاديث الفتن ضعيفة أو ضعيفة جداً ، كما أن الصحيح منها يغلب عليه أحاديث الآحاد؟! ومن ثم لا يمكن الوصول إلى حقائق مؤكدة صحيحة تطمئن إليها النفس؟!

إن أعظم نتيجة أردت تقريرها وتأكيدها والتحذير منها فى هذا الكتاب هى:

لقد بدأ اليوم الآخر، وإن لم ترجع البشرية إلى الله تعالى، وتقلع عن الحياة الحيوانية البهيمية التى تسفَّلت إليها ـ فلتنتظر ولترتقب العذاب الأليم بزلزلة الأرض والخسوف العظيمة، والموت بما فيه، والهلاك.

وبالرغم من أن فى هذا الكتاب من الأدلة على هذه الحقيقة من القرآن الكريم ومن السنة ومن الوحى القديم بما يكفى لكى يبرهن على أننا فى مقدمات القيامة الصغرى وتعيش الإنسانية إرهاصاتها وأسبابها ودواعيها، إلا أننى بعون الله وتسديده سأقدم فى الجزء الثانى بإذن الله تعالى من الأدلة القرآنية القاطعة بأن البشرية تعيش اليوم، وليس غداً عصر الرجفة أو الواقعة أو الزلزلة وكل هذه أسماء للعذاب الواقع الذى ليس له من دافع، إذا لم يرجع الناس إلى ربهم عز وجل ويتوبوا.

(٧) فتنة إنكار السنة أو التشكيك فى الأحاديث النبوية الشريفة والمخرج منها

فعندما تصبح الأحاديث فتنة يتعلل بها المفتونون المحبون للدنيا الذين يستبعدون عن أنفسهم الموت مؤملين فى الدنيا، ويستبعدون عن البشرية الفناء فتنة بالحياة وحبا فيها فيتشبثون فى أمل كاذب يبنونه على ضعف الأحاديث النبوية الشريفة أو لأنها آحاد، عندما تكون فتنة السنة على هذا النحو، فالنجاة منها للمفتون هو كتاب الله عزّ وجلّ، لعله يتنبه، ولعلَّه يستيقظ من غفلته، ولعله يعود بما بقى عنده من إيمان بأصل الوحى الخاتم المحفوظ والمصون بسوره وآياته وكلماته وحروفه بحفظ الله تعالى وعنايته وأمره النافذ.

روى الترمذى عن الحارث الأعور قال مررتُ فى المسجد فإذا الناس يخوضُونَ فى الأحاديث فدخلتُ عَلَى علىٍّ فقلت: ألا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث؟.

فقال: أَوَ قد فعلوها؟

فقلت: نعم

قال: أما إنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (ألاَّ إنها ستكون فتنة) قلت: فما المخرج منها يارسول الله؟

(قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قَصَمَهُ الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلُق على كثرة الرد، ولاتنقضى عجائبهُ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به﴾. من قال به صدق، ومن عمل به أُجرَ ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم). خذها إليك يا أعور][1].

فإذا راجعنا صدر الحديث علمنا أن المقصود من قوله ﷺ (ألا إنها ستكون فتنة) هو التشكيك فى السنة، لأن الضمير فى (إنها) يعود على الأحاديث، وذلك لأن الحارث الأعور لما وجد الناس يخوضون فى الأحاديث أى فى ضَعْفها ومدى يقينيتها بالقياس إلى القرآن الكريم، ثم دخل وأخبر الإمام على رضى الله تعالى عنه، فكأن الإمام كان يعلم أن هذا سيكون من أمة الإسلام حسب ما سمعه من المصطفى ﷺ، وأن هذا سيحدث كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، ولكنه لم يتوقع أن يحدث هذا فى عصره وخلال حياته، فقال متعجبا «أوَقَدْ فَعَلُوها» وهذا تعبير العالِمْ بالحدث المتوقع لحدوثه، لكنه لم يكن يعلم متى؟ وفيه من التعجب ما يفيد أنه ما كان يتوقع حدوثه فى عصره، ثم أخبر الأعور عن إخبار رسول الله ﷺ بأنها، أى الأحاديث النَّبوِيَة الشريفة، ستكون حولها فتنة من الناس بالتشكيك فيها، والخوض فى يقينيتها

---

(١) جامع الترمذى / ك فضائل القرآن/ ب ما جاء فى فضل القرآن، ح / ٢٩٨٢ ورواه الدارمى أيضا.

بالقياس إلى القرآن الكريم، عندئذ سأل الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه رسول الله ﷺ هذا السؤال المنهجي الهام: فما المخرج منها يارسول الله؟ (قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم.. إلخ) أى أن فى كتاب الله تعالى الأصول التى تَنْبَنى عليها المواضيع الرئيسية للحديث النبوى، فإذا كانت أصول الموضوع، المراد بحثه موجودة فى القرآن الكريم، وما جاء فى الحديث تفصيل له وتوضيح وشرح، فمن الذى يمكنه بعد ذلك أن يرفض هذه التفصيلات، إذا كانت تدور حول محور قرآنى؟ وأشراط الساعة وما بعدها من بعث ونشور وحساب وميزان وصراط وجنة ونار، أليس هذا كله فى كتاب الله تعالى؟! فإذا ورد من الأحاديث الشريفة ما هو تفصيل لذلك كله، فمن يزعم بعد هذا أنها أحاديث آحاد، وليست مصدراً يقينيا للعقائد فهو مفتون، ما دامت هذه الأحاديث، لها أصولها التى تَنْبنى عليها فى القرآن الكريم، ولا تتعارض مع آياته، وتكون بمثابة التفْصيل والتفسير لها، أقول إنه مفتون حتى ولو كان ممن ينتسبون إلى العلم وممن يحملون الشهادات.

أليست الأشراط والعلامات والأمارات والآيات التى بين يدى الساعة هى ما عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله عن القرآن الكريم﴿فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم﴾؟ أليس هذا كله من أحداث ما بعد جيل الصحابة، ومنها التى تعيشُها البشرية اليوم وما سيأتى بعد اليوم؟!. بلى ورب الكعبة.

وهذا ما سنراه فى القرآن الكريم من أمارات للساعة، وأيضا ما سنراه فى السنة من الأحداث ، التى هى تفصيل وتفسير لهذه الأمارات الواردة فى القرآن الكريم.

فليس معنى أن المخرج من الفتنة التى حول الأحاديث هو كتاب الله أى الاكتفاء بكتاب الله عزّ وجلّ وترك الأحاديث، ولكن المعنى أن المخرج هو كتاب الله بمعنى أنه الأصل للسنة، فكل ما فى السنة مفصلا موجود فى القرآن مجملا، ومن ثم لا يحق لأحد أنْ يترك السنة بحجة أنها أحاديث آحاد، لا سيَّما إذا كانت أحاديث الآحاد تَفْصيلاً لما فى القرآن الكريم، وقوله ﷺ: (فيه نبأ ما قبلكم) أى تاريخ الأمم السابقة (وخَبر ما بعدكم) أى أشراط الساعة، أى كل ما يسبقها من أحداث (وحكم ما بينكم) أى الشريعة التى فصلتها السنة.

فالحديث يلزم بالأخذ بالسنة مع أصولها من القرآن الكريم، فبقدر ما يعطيها يقينا تُعطيه تفصيلا وتفسيرا. وهذا هو منهجنا فى أشراط وعلامات وأمارات وآيات الساعة من القرآن الكريم والسنة.

(٨) اعتراض البعض على الرجوع إلى الوحى القديم والرد عليه

واعترض البعض على الرجوع إلى كتب أهل الكتاب: التوراة وأسفار العهد القديم أى كتب أنبياء بنى إسرائيل، والإنجيل بحجة أنها مُحرفة، وهذا صحيح ومعلوم منذ عهد رسول الله ﷺ وأخبر عنهم الله عزّ وجلّ فى القرآن الكريم بما أحدثوه من تحريف ومن تغيير ومن أقوال كفريّة، ومع هذا فقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى بسنده [عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ: (بلّغُوا عني ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)][(١)]. ومطلبنا من هذا الحديث قوله ﷺ: (وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج...).

وروى أحمد بسنده [عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبى ﷺ، فقال يارسول الله إنى مررتُ بأخ لى من بنى قريظة فكتب لى: جوامع من التوراة، ألاَ أعرضها عليك، فتغير وجهه ﷺ فقال ألا ترى الذى بوجه رسول الله ﷺ ؟فقال عمر: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً، فسُرِّيَ عنه ﷺ ، ثم قال: والذى نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيِّين][(٢)].

وأخرج البخارى بسنده عن النبى ﷺ قال: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، «وقولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم..»)[(٣)]. والتوفيق بين هذه الآثار الصحيحة يكمن فى معرفة الأقسام الرئيسية للوحى وهى:

---

(١) وأيضاً أخرجه البخارى فى صحيحه / ك أحاديث الأنبياء / باب ما ذكر عن بني إسرائيل/ح٣٣٢٣.

(٢) مسند الامام أحمد / ح ١٧٩٢٦.

(٣) صحيح البخارى ك/ التوحيد ب/ ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله/ ح ٧٢٧٦

الأول: التوحيد، وما عندنا فى العقيدة بتفاصيلها كامل صحيح، وما عند أهل الكتاب محرف، فلا يجوز ترك الصحيح الكامل والرجوع للمحرف الذى اكتنفته الوثنيات والشركيات الصريحة، ويكون هذا تهوكًا وشكا وزيغًا، وهذا دليل عقلى بعد الدليل النقلى فى الحديث السابق.

الثانى: الشريعة وهى عندنا كاملة تامة مفصلة ناسخة لما عندهم الذى حرفوا أكثره، ومن ثم يكون الرجوع إليهم فى الشريعة تهوكًا وشكا وزيغًا وبخاصة لقول الله تعالى ﴿ ... لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .... ﴾[٤٨/ المائدة].

الثالث: أخبار السابقين لأمة الإسلام: يهود ونصارى ومن قبلهم، وأنباء اللاحقين لأهل الكتاب يهود ونصارى، ومن أخبار هؤلاء اللاحقين ما بشر به الوحى القديم عن بعث النبى الخاتم سيدنا وسيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ، وما جاء فيه من أنبائه وأنباء صحابته وخلفائه الراشدين، ومن بعدهم من الملوك والدول والعصور بعامة وما أنبأ به الوحى القديم من أمارات وأحداث الساعة المباشرة بعامة، وما أنبأ به عن الإفسادة الأخيرة المقرونة بالعلو الكبير فى الأرض بخاصة، وأخبار الصراع المرير الدائر بينهم وبين أمة الإسلام حتى آخر الزمان.

وهذا القسم الثالث هو الذى من أجله - والله تعالى أعلم - قال رسول الله ﷺ (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) - فَرَفْعُ الحرجِ عن التحديث عن بنى إسرائيل لا يكون بالنسبة للتوحيد، ولا يكون بالنسبة للشريعة، للأسباب التى ذكرناها فى بند أولا وثانيا.

ومن ثم لا يكون رفع الحرج إلا "الثالثا"، إذ يتعذر فهم آيات القرآن الكريم فهما مفصلاً، تلك الآيات المخبرة عن تاريخ بنى إسرائيل وما كان منهم مع أبيهم يعقوب ومع أخيهم يوسف ومع كليم الله تعالى موسى عليهم السلام إلا بالرجوع إلى بعض التفصيلات الواردة عنهم ،وبشرط أن تكون هذه التفصيلات متوافقة ومتطابقة مع ما جاء مجملا عنهم فى القرآن الكريم والسنة.

وكذا الحال بالنسبة لنبى الله داود والنبى سليمان وطالوت وغيرهم من أنبياء بنى إسرائيل وآخرهم سيدنا عيسى بن مريم عليهم جميعا السلام.

أما ما عندهم عن أنباء المستقبل وأشراط الساعة والملاحم التى بيننا وبينهم فيجب أن نُحدّث عنهم، ونرجع إلى ما عندهم حاكمين له بما عندنا فى السنة الشريفة، بمنهج نقدى نميز به بين الخبيث وبين الطيب وبين الصحيح والمحرف.

ومن يعترض بعد ذلك على التحديث عنهم فقد جعل على علماء الأمة والباحثين حرجاً مخالفا بذلك رسول الله ﷺ الذى رفع هذا الحرج لقوله فى الحديث (... ولاحرج).

وليعلم أن حديث (لو كان موسى بين أظهركم فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم) هو فى العقيدة والتوحيد والشريعة لأن الاتباع لا يكون إلاَّ فى الاعتقاد والعمل أى فى التوحيد والشريعة ولا يكون فى سرد الأخبار والتاريخ، إذ هذا يخضع لمنهج نقدى علمى. ومن ثم رفع الحرج فى التحديث عنهم فى ظل هذا المنهج، وفى هذا البند الثالث فقط.

أما قوله: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولاتكذبوهم) فهو يتضمن دعوة كريمة من رسول الله ﷺ إلى منهج النقد العلمى التاريخى للتحقق من صحة نصوص أهل الكتاب، والمعنى: لا تصدقوهم ولا تكذبوهم إلاَّ بعد النقد والتمحيص، لما حدثوا به ، لأن عندهم حقا مختلطا بباطل وصحيحاً ممزوجاً بمحرف، وهذا يتضمن دعوة نبوية كريمة للأخذ بما عندهم فى هذا البند الثالث بشرط النقد والتمحيص، لأنه لو أراد عليه الصلاة والسلام ترك ماعندهم فى هذاالبند بالكلية لأمرنا بتكذيبهم، ولكان النص (إذا حدثكم أهل الكتاب فلاتصدقوهم) ولو أراد ﷺ أن نأخذ ما عندهم بلاتحفظ لقال (فلا تكذبوهم) أمّا وقد قال (فلاتصدقوهم ولاتكذبوهم) فهذا نهى عن التكذيب كما أنه نهى عن التصديق، وهذا لا يتم فى نفس العبد المسلم، إلاَّ إذا أخذ ما حدثوا به إلى موازين النقد العلمية ليصدق بما يثبت صحته وأحقيته، ويكذب بما يثبت كذبه وبطلانه، ومن ثم فتعبيره ﷺ أمر بالتثبت من صحة ما يحدثونا به وليس نهيا عن الأخذ به مطلقا.

وهذا هو النهج الذى سنتبعه إن شاء الله تعالى فى هذا الكتاب، طاعة لأمره ﷺ

(حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) بلا أدنى حرج رغم أنف المعترضين أنصاف المتعلمين وأرباع المثقفين.

وللذين يحتجون بقول سيدنا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه (أمتهوكون أنتم؟) على تحريم الرجوع لكتب أهل الكتاب مطلقا نسوق اليهم هذا الحديث الذى رواه نعيم بسنده عن أبى العالية قال: لما فَتحت تُسْتَر وجدنا فى بيت مال الهرمزان مصحفا عند رأس ميت على سرير وقال: هو دانيال فيما يحسب قال:- فحملناه إلى عمر، فأنا أول العرب قرأته، فأرسل إلى كعب، فنسخه بالعربية، فيه ما هو كائن، يعنى: (من الفتن)[1] وتُسْتر مدينة من مدن فارس والهرمزان حاكمها، والجثة علي السرير كانت للنبى دانيال عليه السلام والذى أرسل إليه عمر رضى الله عنه الكتاب هو كعب الأحبار لعلمه بكتب بنى إسرائيل، ولم يكن بالكتاب إلاَّ أخبار الفتن ومن ثم دفعه أمير المؤمنين إليه ليترجمه إلى العربية، ترى هل كان يخالف ابن الخطاب بهذا النبى ﷺ؟ أجيبوا أيها المتنطعون؟!.

وروى الإمام أحمد بسنده (عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أنه قال: رأيت فيما يرى النائم، لكأن فى إحدى إصبعى سمنا وفى الأخرى عسلا، فأنا ألعقهما، فلما أصبحتُ ذكرتُ[2] ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «تقرأ الكتابين التوراة والفرقان» فكان يقرؤهما) (وعن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «مكتوب فى التوراة: من سَرَّهُ أن تطول حياته، ويزاد فى رزقه، فليصل رحمه»)[3] وأيضا (عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قرأت فى التوراة أن بركة الطعام الوضوء بعده، فذكرتُ ذلك للنبى ﷺ فأخبرته بما قرأتُ فى التوراة فقال رسول الله ﷺ: «بركة الطعام

---

(١) نعيم بن حماد المروزى/ الفتن حديث رقم ٣٧.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده ٢/ ٢٢٢ عن عبدالله بن عمرو/ عن كتاب / اليهود فى السنة المطهرة لعبدالله بن ناصر الشقارى ج٢ صـ٦١٥ ح رقم ٥٤٥ نشر دار طيبة

(٣) رواه الحاكم فى مستدركه والبزار فى مسنده والهيثمى فى مجمعه عن المصدر السابق ح ٥٤٦.

الوضوء قبله والوضوء بعده» (١) وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتيت الطور فوجدت كعبا، فمكثت أنا وهو يوما أحدثه عن رسول الله ﷺ ويحدثنى عن التوراة....) (٢) إلى آخر الحديث وكل هذه الاحاديث تثبت أن الصحابة رضى الله عنهم حدثوا عن التوراة فى حياته وبعد وفاته ﷺ.

(٩) الاعتراض على نصوص الاشراط بإنكار العقل لها والرد عليه:-

ومن الدعاوى المثارة حول علم أشراط الساعة قول البعض إن بعض الأحاديث متعارضة متضاربة، بل ذكر بعض العلماء القدامى من المحدِّثين والمؤرخين أن بعض هذه الأحاديث، وربما كثير منها، منكر يخالف أحكام الواقع وسنن الحياة.

والرد على هذا: أن هذه الأحاديث تتناول أحداثا متباعدة فى الأزمان والأماكن، ومن ثم فقولهم على انتقال الجيش أو الشخص من مكان إلى مكان بعيد فى يوم واحد، أنه خبر منكر، إنما هو لاختلاف وسائل الانتقال فى عصر الخبر عن عصورهم التى كان الجيش أو الشخص يقطع المسافة فيها من مكة إلى المدينة مثلا فى أسبوعين بينما الخبر يدل على أنه تمَّ خلال يوم واحد. ومن ثم صار وجه رفض الخبر هو علامة صحته، لأنه دل على خبرغيبى قبل حدوثه بأزمان طويلة.

وسنقرأ من الأخبار والآثار والأحاديث ما تحقَّق وصار أدلة دامغة على صدق نبوة النَّبىِّ الخاتم ﷺ، رغم غرابة الخبر بالنسبة للسابقين وإنكار عقولهم له، ومن ثم شكهم فيه والحكم عليه بالوضع أوالكذب أو الضعف الشديد، وأكثر الذين رفضوا أحاديث الفتن من العلماء القدامى، لم يكن رفضهم بسبب ضعف السند وإنما كان بسبب إنكار عقولهم لها، ولو اعتمدوا الأحاديث من خلال نقد أسانيدها فقط، دون المتن لأصابوا، لأن أكثرها يتحدث عن عصرنا الملىء بما تنكره عقولهم من مخترعات

---

(١) رواه الترمذى فى سننه وابو داود وغيرهما عن المصدر السابق ح ٥٤٧

(٢) رواه أبو داود فى سننه والغسائى وغيرهما عن المصدر السابق ح ٥٤٩

(١٠) زعمُ البعض بأن البحث فى علم المستقبل الإسلامى المعروف بأشراط الساعة والملاحم يضر ولا ينفع والرد عليه

ويزعم البعض أنه ليس من ضرورة لنشر أحاديث الفتن وأشراط الساعة والبحث فيها، ومحاولة مطابقتها للوقائع التاريخية: ما حدث وما هو قائم مستمر وما يُتوقع حدوثه، وحجتهم فى هذا المسلك أنها تضر ولا تنفع، إذ قد تثير الفتن والاضطرابات من ناحية، إذا كانت تخبر عن أحداث خطيرة ضارة بالناس، وإذا كانت تخبر عن أحداث طيبة ونصر للإسلام والمسلمين على أيدى أشخاص كالمهدى مثلا أو سيدنا عيسى، فإنها تؤدى بهم إلى التواكل وترك العمل.

وللرد على هذا نقول: إن توقع الفتنة والتأكد من حدوثها عن طريق مطابقة ما جاء من أخبار عن مقدماتها وإرهاصاتها بالواقع يساعد على توقِّى السقوط فيها، والنجاة منها. وهذاما صرح به حذيفة بن اليمان رضى الله عنه (هذه فتن قد أظلَّت، كجباه البقر، يهلك فيها أكثر الناس، إلاَّ من كان يعرفها قبل ذلك)[١].

وهل ترك لنا رسول الله ﷺ أكثر من ثمانين حديثا فى الدجال، فيما يحدث قبل خروجه وأثناء خروجه وصفاته وغير ذلك إلاَّ لكى تدرسها ونُعلِّمها أبناءنا ليعرفوها توقيا لفتنته وبهدف النجاة منها؟!

كأن الذى يقول هذا القول يقول: إن فى السنة أبوابا وكتبا لا لزوم لها ولا نفع ولا هَدْىَ فى تعلمها؟!

وحاشا لله ولرسوله هذا، وكفى به إثما من قائله، لو كان هذا دافعه لهذا القول.

إن الله تعالى أخفى الساعة وأظهر مقدماتها وكذا نبيُّه ﷺ ترك لنا الكثير من الأحاديث فى هذا المجال، ليس لكى تخزن وتمنع عن الناس بحجة عقلية أو أخرى يجعل فيها المانع نفسه وكيلا من دون الله تعالى وحفيظا وقيما على المسلمين وبخاصة شبابهم خوفا عليهم من الفتنة إذا سمعوا هذه الأحاديث، وإنما أظهر الله تعالى مقدمات الساعة وكذا نبيه ﷺ أعلمنا بأشراطها وأماراتها وآياتها لحكمة جليلة وفائدة عظيمة للمسلمين أفراداً ومجتمعات وأمة.

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد فى كتاب الفتن حديث رقم ٥ نشر سمير امين الزهيرى. مكتبة التوحيد القاهرة.

أما الذين يرفضون تبليغ هذا العلم العظيم النافع وبخاصة فى زماننا المعاصر للمسلمين، فهم الذين وقعوا فى الفتنة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[التوبة/ ٤٩] وكفى بحجب سنة رسول الله ﷺ عن آذان الناس فتنة سقط فيها من يحجب نور الله تعالى عن خلقه.

فكل ما جاء فى القرآن الكريم وما بلَّغنا به رسول الله ﷺ هو لحكمة وفائدة وكله نور وهدى، ومعرفته واجبة بل هى فرض كفاية على الأمة يقوم به العلماء وعليهم واجب التبليغ ومن يحول دون هذا التبليغ فهو آثم مفتون، ولو اعتقد أنه من الدعاة، ولو زعم أنه من المجاهدين، ولو توهم أنه الحفيظ والوكيل والكفيل لدعوة الله تعالى والناصر الوحيد لدينه.

لقد بحث العلماء عن حكمة ورود أشراط الساعة فى القرآن والسنة فذكر القرطبى فوائد جمة لهذا العلم فقال: (قال العلماء رحمهم الله تعالى: والحكمة فى تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كى لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم فينبغى للناس أن يكونوا بعد ظهورأشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها والله أعلم. وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها...)(١)

وقال أميرالمؤمنين فى الحديث الحافظ بن حجر العسقلانى فى الفتح (والحكمة فى تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد)(٢).

والسؤال الذى يفرض نفسه علينا الآن هو: كيف تتحقق هذه الحكمة وتتم هذه الفائدة؟

ليس من سبيل لتحقيق الحكمة وجنى الفائدة إلا بمطابقة الأخبار الواردة فى أشراط الساعة بالأحداث المعاصرة، لأننا لو حفظنا هذه الأخبار منعزلة عن الواقع التاريخى وأحداثه لما استفدنا منها بشىء، ولو علمنا أن حدثًا تاريخيا معاصرا نبَّأت به السنة لما

(١) القرطبى/ التذكرة ص ٦٢٤.

(٢) ابن حجر/ فتح البارى جـ١١ ص٣٥٠.

استفدنا به إلا باعتباره دليلا جديدا على صدق نبوة المصطفى ﷺ، وإنما تتم الفائدة وتتحقق الحكمة إذا رتّبنا الأحداث الواردة فى السنة، كمقدمات للساعة، ترتيبا متسلسلا متتابعا ثم مطابقة هذه السلسلة بالواقع حتى إذا وقعت أول أحداث السلسلة صار عندنا توقع وترقب لما بعد هذا الحدث الأول من أحداث، فنتيقن أننا فى آخر الزمان ونستعد لكل فتنة متوقعة ونأخذ حذرنا منها حتى لا نسقط فيها.

وهذا هو المحور الرئيسى لعلم أشراط الساعة كما تصوره العلماء على مر العصور.

وهذا هو الذى نتوخاه فى هذا الكتاب مُنبِّها ومُحذراً من قرب وقوع زلزال الأرض العظيم وأحداث القيامة الصغرى راجيا من الله تعالى التوفيق والسداد ونفع المسلمين به.

فنشر أحاديث الفتن وأشراط الساعة وبحثها وتصنيفها وشرحها ومطابقتها للواقع ضرورة حياتية للأمة حدَّث بها رسول الله ﷺ وصنفها وحفظها المحدثون وشرحوها وأوصلوها لنا أحوج الأجيال إليها لأننا أهل آخر الزمان، ثم يطلع علينا من يقول ليس لها فائدة، سبحان الله، ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة/ ١٤٠].

ففيم كان حذيفة رضى الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن الشرمخافة أن يدركه بعد رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يجيبه إجابات مفصلة؟!

وفيم كان سؤال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للصحابة وفيهم حذيفة: أيكم يحفظ قول النبى ﷺ فى الفتنة؟. ولِمَ كان حذيفة يجيبه؟!.

ولم كان أبو هريرة رضى الله عنه، إذا لقى الفتى قال له: يا ابن أخى، إنك عسى أن تلقى عيسى بن مريم فأقرِئْهُ منى السلام».

ولِمَ كان عبد الله بن عمرو بن العاص يمتلك حمل بعير من كتب أهل الكتاب يحدث منها عن الفتن وأحداث آخر الزمان؟!.

وأخيرا ما الحكمة فى أن الله تعالى لم يقل لموسى: إن الساعة آتية أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى، وقال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه/ ١٥]. أليس لأن هديه سبحانه: قرآنًا وسنة مُتضمنٌ للأحداث التى بين يدىّ الساعة والتى بها يستيقن أهل العلم بقربها الشديد ويتوقعون الحدث تلو الحدث، حتى إذا خرجت النار من قعر عدن لم يبق إلا حدوثها ووقوعها الذى لا يعلم وجبته على وجه الدقة والحقيقة إلا هو سبحانه؟!.

أم ماذا يقول المنكرون لضرورة نشر هذاالعلم وتعلمه وتعليمه للشباب والصبية المتوقع معايشتهم لأحداثه فى قوله تعالى ﴿... أَكَادُ ...﴾ وما هوتفسيرهم لها؟!.

ولكن يبدو أن الناس ـ وبخاصة الذين ينتسبون إلى العلم ـ يكرهون وينكرون ما يجهلون، وهذا العلم من العلوم التى أهملتها الأمة وانشغلت عنها. فزعموا أن لا فائدة منه، بل زعم البعض أن له أضرارا على دعوتهم، فحاولوا حجبه عن آذانهم وقلوبهم وهو نور ربانىٌ هم أحوج ما يكونون إليه، ومن يُغْمِض عينيه دون النور يضير عينيه ولا يضير النور.

أمَّا الذين يَمنعُون جزءاً من الهَدْى النبوّى عن الناس، ويريدون أن يَحُولُوا بينهم وبينه، بحجة خشيتهم من هديه ﷺ فى علم الفتن وأشراط الساعة على دعوتهم وجماعتهم، فَلْيَعْلَمُوا أنه لن يكون فى هذه الجماعة ولا فى هذه الدعوة خير يرجى للأمة إذا كان نور النبوة يهدد هذه الدعوة وتلك الجماعة، لأن النور المحمدى لا يهدد إلا الضلال ولا يبدد إلا الظلام. وجماعة مثل هذه الجماعة تسير على غير بصيرة: القيادة ومن إتبعها.

الفصل الثانى

الأصول الاعتقادية لأشراط الساعة
فى القرآن الكريم والسنة

١١ - الإيمان بالساعة وأشراطها فرع من الإيمان باليوم الآخر.

١٢ - الإيمان بالآخرة فى مقابل الدنيا.

١٣ - النشأة الآخرة فى مقابل النشأة الأولى.

(١١) الإيمان بالساعة وأشراطها فرع من الإيمان باليوم الآخر:

يتأسس الإيمان بالساعة والتصديق بأشراطها عند المسلم بحسب ما جاء عنها فى القرآن الكريم والسنة على أركان الإيمان الستة بعامة وعلى ركنى الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر بخاصة.

لأن الإيمان بالأشراط والتصديق بحتمية حدوثها كما وردت فى نصوص الوحى، وتوقعها وترقبها والعمل فى الدنيا بحسب هذا التصديق، كل هذا فرع من الإيمان والتصديق بهذه الأركان بعامة، وبركنى الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر بخاصة.

فالإيمان بالساعة فرع من الإيمان باليوم الآخر إذ الساعة بدؤه أو هى جزء منه أو مرحلة من مراحله أوحدث من أحداثه، كما سترى بعد.

جاء فى حديث الإيمان قول الرسول ﷺ عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» (١).

وكذلك ورد الحديث بلفظ آخر هو: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث ....» (٢).

أركان الإيمان الأربعة هى أصول الإيمان باليوم الآخر:

تتأسس أركان الإيمان الخمسة: الإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره على الإيمان بالله عزوجل.

---

(١) صحيح مسلم / ك الإيمان/ ب بيان الإيمان والإسلام والإحسان/ ح ٥٩.

(٢) صحيح البخارى/ك الإيمان/ ب سؤال جبريل النبى فى الإيمان والإسلام والإحسان / ح ٥٠.

وهذا الترتيب الوارد فى الحديث يدل على أن اللاحق من هذه الأركان يتأسس على السابق فيها، وحيث أن أولها الإيمان بالله تعالى وهو أمر فطرى جبلى فى النفس الإنسانية، فإن الإيمان بالملائكة ينبنى فى النفس ويقوم فيها مؤسساً على الإيمان بالله عزوجل، والإيمان بالكتب لا يتحقق فى النفس إلا بعد الإيمان بالله تعالى وبملائكته.

كما أن الإيمان بالرسل ينبنى أيضاً على الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه، ثم يأتى الإيمان باليوم الآخر بعد هذه الأركان، فلا يكاد يصدق الإنسان باليوم الآخر إلا بعد التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وينبنى الإيمان بالقدر خيره وشره على هذه الأركان السابقة عليه جميعاً.

الأصل الأول: الإيمان بالله تعالى

هو أصل الإيمان الأول، وأساس جميع الأركان فهى جميعاً فروع منه، وهو أمر فطرى فى النفس الإنسانية إذ يولد الطفل مسلماً موحداً فمعرفة الله تعالى واحداً لاند له مغروسة في النفس البشرية بمقتضى الخلقة، فهى أمر جبلي.

وهذا الركن هو أول أركان الإيمان فى الإسلام لأن جميع الأركان مبنية عليه فلا يمكن أن يتحقق الإيمان بالملائكة فى النفس إلا بعد الإيمان بالله تعالى بصفاته العليا وأسمائه الحسنى، كما وردت بالوحى، ولو آمن الإنسان بالله تعالى بصفات لا تليق بجلاله أو سماه بأسماء تتعارض مع كمالاته وتنزيهه المطلق فإنه يتعذر عليه أن يؤمن ببقية الأركان الخمسة التالية لركن الإيمان بالله تعالى، لأن نفى الأصل يستلزم نفى الفروع القائمة عليه والمنبثقة منه لذا نقول: إن الإيمان با لله تعالى واحداً لا ند له ولا شريك له متصفاً سبحانه بصفات الكمال والجلال، منزهاً عن أوصاف النقص والعيب التى هى للمخلوق من حيث كونه مخلوقاً هو الأساس الأول الصحيح الذى تقوم عليه بقية أركان الإيمان الأخرى.

ومن صفات الخالق العليا أنه سبحانه حكيم فلا يخلق إلا لحكمة، وأنه عليم بكل شىء كان وكائن وسيكون، وقد خلق الله تعالى الإنسان لحكمة جليلة سامية، لها

صلة وثيقة باليوم الآخر، وبالتالى فإن لها صلة وثيقة بالساعة وأشراطها كما سيأتى الحديث عن هذه الحكمة بإذن الله تعالى.

الأصل الثانى: الإيمان بالملائكة:

الملائكة جنود الله تعالى ورسله، ولا يصدق بوجودها إلا من آمن با لله تعالى إيماناً صحيحاً صادقاً موافقاً لما فطره الله عليه، ولما جاء عنه سبحانه فى القرآن الكريم، والسنة الشريفة الصحيحة، ويعتبر التصديق بالملائكة مع الإيمان بالله تعالى أساساً للإيمان بالأركان التالية على ركن الملائكة وأولها الإيمان بالكتب.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب:

وينبنى على الإيمان بالله تعالى وعلى الإيمان بالملائكة لأن الملائكة هم الرسل المنزلة بالكتب على الأنبياء ﷺ، ومن ثَمَّ فمن لم يصدق بوجود الملائكة لا يتيسر له التصديق بالكتب السماوية المنزلة من عند الله عزوجل.

كما أن الإيمان بالكتب بعد الإيمان بالله تعالى والإيمان بالملائكة أسس ثلاثة للإيمان بالرسل.

الأصل الرابع: الإيمان بالرسل:

الرسل من البشر هم الذين تنزل عليهم الملائكة بالكتب التى هى رسالة الله تعالى للناس، وهديه سبحانه وتعالى لهم، قال تعالى لآدم وزوجه عليهما السلام ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة/ ٣٨].

فالهدى الإلهى المنزل هو مضمون الكتب الإلهية المنزلة على رسل البشر خلال عمر البشرية، وهى تتضمن فيما تتضمن أخبار المستقبل، وأحداث الدنيا حتى تنقضى وتنتهى، وكذا تتضمن أحداث ما بعد الموت للفرد وما بعد انتهاء الدنيا للنوع الإنسانى.

وحيث أن الرسل هم من البشر، فإن الحكمة من إرسالهم مرتبطة بخلق الإنسان، الأمر الذى وجدنا أساسه الاعتقادى فى صفات الله عزوجل فلإنه حكيم سبحانه فهو لا يخلق خلقاً إلا لحكمة، لأنه سبحانه وتعالى منزه عن العبث واللهو.

والحكمة التى من أجلها خلق الله تعالى الإنسان فى الحياة الدنيا ـ كما أخبرنا عنها فى القرآن الكريم ـ هى الابتلاء بمعنى الإمتحان والاختبار، **قال تعالى:** ﴿... الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [تبارك/ ٢] **وقال تعالى:** ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود/ ٧]، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان/].

لقد خلق الله تعالى الناس لكن يبتليهم ويمتحنهم حتى يميز الخبيث من الطيب ويقيم الحجة العملية على الخبيث، وخلق سبحانه السماوات والأرض وكل شيء بنواميس وطبائع وكيفيات محققة جميعاً لهذا الحكمة فصارت الدنيا داراً للابتلاء.

وحيث أن الامتحان والاختبار لابد أن يعقبه الجزاء، فإن الابتلاء والامتحان لابد أن زمنه محدود ومن ثم صارت الدنيا بأجل محدد وزمن معلوم مقدر لله عزوجل ولزم أن تكون الدنيا مرحلة أولى فى الوجود البشرى يعقبها مرحلة ثانية وأخيرة هى مرحلة الوجود الجزائي، وبالتالى لزم أن يكون اليوم الآخر بحسب قدر الله تعالى ومشيئته داراً دائمة باقية للثواب والعقاب.

هذا هو الأساس الاعتقادى للحكمة من اليوم الآخر فى الإسلام.

الإصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

ينبنى الإيمان باليوم الآخر كما رأيناه على الإيمان بالله تعالى وعلى الإيمان بالملائكة وبالكتب وبالرسل، من الناحية المعرفية لا معرفة للإنسان بالحكمة من خلقه إلا عن طريق الكتب والرسل، وكذلك لا يمكن أن يعرف الإنسان أخبار اليوم الآخر إلا عن طريق الوحى: ملائكة وكتباً ورسلاً.

لذا جاء ركن الإيمان باليوم الآخر بعد الإيمان بهذه الأركان جميعاً، فهو مبنى عليها، كما ورد فى آيات كثيرة مقروناً بالإيمان بالله تعالى، وبخاصة فى مواضع الحض على عمل الخير والبر والنهى عن الكفر وعن عمل الشر والسيئات، وكذا فى مجال الوعظ ترغيباً وترهيباً من هذا قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة/ ٢٣٢].

لقد اقترن الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله تعالى فى خمس وعشرين آية أخرى من آيات الذكر الحكيم، منها قوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ١٧٧]. **ومنها** قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة/ ٦٩]. **وكذلك فى قوله تعالى:** ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة/ ٢٨٥]. **فالإشارة** هنا إلى اليوم الآخر فى قوله تعالى: ﴿وإليك المصير﴾، وعلى هذا فإن أركان الإيمان الخمسة التالية لركن الإيمان بالله تعالى والتى تبدأ من الإيمان بالملائكة وتنتهى بالإيمان بالقدر، كلها فروع منبثقة من أصلها جميعا، وهو ركن الإيمان بالله تعالى، وهى جميعاً تصديق بالله تعالى لأن الإيمان لايمكن تبعيضه إذ هو حقيقة واحدة لا تتجزأ ولاتتفرق، ومن ثم فإن التصديق بالأركان جميعا هو جوهر الإيمان بالله تعالى، فلا يجوز التفريق بينها، إذ لا يصح الإيمان بواحد منها دون سائرها، كما لا يصح الإيمان بها جميعاً دون واحد منها، وبالتالى فإن الكفر بواحد منها كفر بها جميعاً.

أما الكفر بها جميعاً صراحة فهو الضلال البعيد قال تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء/ ١٣٦] **وذلك** هو حال الملحد المعاصر المنكر لوجود الخالق عزوجل، والعلمانى هو المنكر لليوم الآخر أو الذى يرفض تنظيم الحياة على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر وهو كافر ملحد أيضاً.

(١٢) الإيمان بالآخرة فى مقابل الدنيا:

لقد ورد ذكر الآخرة فى اثنتى عشرة ومائة آية من آيات الذكر الحكيم، جاء بعضها للدلالة على الحياة الآخرة الدائمة التى تلى البعث والقيامة فى مثل قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة/ ٤]. **فالآخرة** هنا تدل على اليوم الآخر والحياة الأبدية التى تبدأ من انتهاء الدنيا بالبعث وتستمر بلا نهاية، وورد ذكر لفظ الآخرة فى بعض الآيات فى مقابل الدنيا: **منها** قوله عزوجل ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة ١١٤]. **ومنها** قوله عز من قائل ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة/ ٢٠١]. **وقوله تعالى:** ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [البقرة/ ٢١٧]. وقوله تعالى أيضاً: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [البقرة/ ٢٢٠].

والمعنى الثابت أو الدلالة المؤكدة من اجتماع لفظى الدنيا والآخرة، فى آية واحدة أن الإنسان يحيا حياتين: الأولى: وهى التى نحياها الآن، والثانية: وهى التى تكون فى عالم آخر أو جود آخر مختلف عن هذه الحياة الأولى ويبدأ بالبعث والنشور الذى يأتى بعد الموت.

والاولى هى الحياة الدنيا، والثانية هى الحياة الآخرة.

يدل على هذا ورود لفظ الآخرة فى بعض الآيات فى مقابل الحياة الدنيا فى مثل قوله عزوجل ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾[النساء/ ٧٤].

فالأولى فى مقابل الآخرة كما هـو الحال بالنسبة لعملية البيع، حيـث الثمن فى مقابل السلعة، وهما، أى الأولى والآخرة، من خلق الله تعالى، ومن ثم فهما ملك له سبحانه وتعـالى ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ [النـجم/ ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾ [الليل/ ١٣]، وله الحـمد فيـهما معـاً، قال تعـالى ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص/ ٧٠].

فإذا شاء سبحانه رحم عبده فى الدنيـا والآخرة، وإذا شاء عذبه فى الدنيا ورحمه فى الآخرة، وإذا شاء نـعمه فى الدنيا وعذبـه فى الآخرة، وإذا شاء نعمة فى الـدنيا ثم أنزل عليه عذابه فـيها ثم عذَّبه عذاباً أبدياً فى الآخرة مثل فـرعون الذى قال الله تعالى عنه ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾ [النازعات/ ٢٥].

وفى مجال المقارنة بينهما بيَّنَ سبحانه وتعالى لنبيه الكريم ﷺ خيرية الآخرة على الأولى بقوله عزوجل ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى﴾[الضحى/ ٤].

وهذا يدعونا إلى التفكيـر فى العلاقة بين الحياة الدنيا والحـياة الآخرة، لنجد أن الرابط بـينهما يـتمثل فى الحكمة من ثنـائية الوجود الإنـسانى: ألا وهى الابتـلاء كما أسلفنا من قبـل، لأنه إذا كانت الدنيا دار امتحان، والامتحـان مؤقت بالضرورة ولابد أن يعـقبـه الجزاء والـثواب نـعيـماً وفرحـاً وسروراً لـلفـائزيـن، وعكـس ذلك تمـاماً للخاسرين، فإن دار الجزاء دائمة مستمرة بفضل الله تعالى وكرمه ومَنّه على الفائزين، فالثانية إذاً هى الآخرة إذ ليس ثمة دار ثالثة، وعلى هذا فكل منهما دار يؤوى الله تعالى فـيهـا الإنـسان، قـال تـعالـى ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٦٩]، لأن الدار الآخرة إما أن تكـون دار خير وسلام، وإمـا أن تكون دار سوء وشـر، لأنها دار جزاء عـلى العمـل الذى عملـه الإنسان فى الـدار الأولى، وعمل الإنسان فى الحياة الدنيا ليس من جنس واحد، بل هو إما أن يكون شراً، وإما أن يكون خيراً، قال تعالى: ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾.

ودار المؤمنين هى نعم الدار فى الآخرة، يسكنها الإنسان، قال تعالى مخبراً عن تحيتهـم فيها ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد/ ٢٤] فهـى دار

السلام قال تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٧]. **يقابل ذلك** دار الكافرين في الآخرة وهى دار شر وألم وسوء وعذاب، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد/ ٢٥]. **إن الدار الأولى** التى هى هذه الحياة الدنيا المؤقتة يختلط فيها الخير بالشر والمتاع بالألم والفرح بالحزن والبكاء بالضحك والصحة بالمرض والحياة بالموت بينما الدار الآخرة ينفصل فيها كل النقائض والأضداد، كل نقيض فى عالم أو دار مستقلة بعيدة عن الأخرى، قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال/ ٣٧]. **فتكون** جهنم داراً للخبيثين، والجنة داراً للطيبين، قال تعالى ﴿للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾ [النمل/ ٣٠]. **فالحكمة من الابتلاء** هى فصل الخبيثين عن الطيبين فى الآخرة، وجوهر الابتلاء هو تخيير الإنسان بين الدنيا والآخرة، أى بين دار الدنيا ودار الآخرة، فالفوز لمن يؤثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، لأن الدار الآخرة هى الحياة الحقيقية لدوامها،بينما تبدو الدنيا بعد انقضائها كأنها وجود وهمى، إذ يظن الناس بعد انقضائها أنها كانت مجرد حلم مر بين عشية وضحاها.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت/ ٦٤]، أى أنها الحقيقة التى يرجوها كل إنسان، وقال تعالى عن الحياة الدنيا بعد انقضائها يوم القيامة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات/ ٤٦]. **وقال تعالى** أيضاً فى بيان العلاقة بين الدار الدنيا والدار الآخرة ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد/ ٢٦].

ومع هذا فالحياة الدنيا لها أهميتها العظمى بالنسبة للإنسان، إذ هى مزرعته للآخرة، ففيها الحرث الذى ثمرته دار السلام فى الآخرة، أو الحرث الذى ثمرته سوء الدار فى الآخرة، فهنا الحرث وفى الآخرة الحصاد والجنى، ومن ثم فلا يجوز إهمال الدنيا أو تركها أو الحياة فيها حياة سلبية أو حياة لعب ولهو، لأن إهمال الحرث تضييع للثمار، والعناية بالحرث عناية بالثمار، ومثل الإهمال الإفساد ، فمن أفسد زرعه أو ضل فى التعامل معه ضيعه وخسر الخسران المبين.

ومن ثم فإن العمل فى الحياة هو السبيل لكسب الآخرة والفوز بدار النعيم فيها: وكما أن الحرث علة خروج الثمر بإذن الله تعالى، فإن من يريد الحياة الآخرة عليه أن يكتسب حرثها ويحصل على أسبابها ويسعى لمقدماتها فى الدنيا، أما من آثَرَ الحياة الدنيا. وباع بها الآخرة، فهو الذى يأخذ بأسباب وعلل الدنيا فقط، فلا يكون له من ثمار الآخرة الطيبة نصيب، وينحصر نصيبه من الآخرة فى الخبيث، لأن الشر والخبث فى طلب الدنيا وحدها، وبالعكس فإن من أراد الدار الآخرة وسعى لها سعيها واشتراها بالدنيا ، فإنه يأخذ بأسباب وعلل ثواب الآخرة، فيفوز بالحياة الطيبة الراضية فى الدنيا والآخرة، أى بنعيم الدنيا والآخرة ولو ضحى ببعض نصيبه من الدنيا، وربما دفع حياته ثمناً للجنة فى الآخرة، فيكون شهيداً يرزق عند ربه، قال تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰؤُلاءِ وَهَٰؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)﴾ [الإسراء/ ١٨، ١٩، ٢٠].

وحيث أن لكل دار من الدارين أسبابا وعللا خاصة يجب على الإنسان أن يكتسبها لكى يحصل عليها، فقد وعد الله تعالى طالب الدنيا أن يمكنه من حرثها، أى من أسبابها، ليفوز بما قسمه الله تعالى منها، كما وعد سبحانه طالب الآخرة أن يمكنه من حرثها أيضاً، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[الشورى/ ٢٠]. فالحرث ليس مراداً لذاته بل لنتيجته وثمرته وثوابه، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النساء/ ١٣٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران/ ١٤٥]. **أى أن الله** تعالى يمد العبد بما يمكنه من تحقيق ما يختاره العبد، سواء أكان إختياره للدنيا، أم كان اختياره للآخرة، وأكثر ما يكون اختيار الناس للدنيا فقط دون الآخرة نتيجة كفرهم باليوم الآخر، أو على الأقل ريبهم فيه.

فأصحاب التفكير المادى الذين لا يؤمنون إلا بما يبصرون ويسمعون ويلمسون ويشمون، يكذبون بوجود حياة ثانية بعد الموت، أو دار أخرى بعد هذه الدار، فهم ينكرون الآخرة ألبتة، وهؤلاء يقول الله تعالى فيهم لنبيه الخاتم ﷺ وسلم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٥٠].

وقال تعالى أيضاً فى وصف الظالمين :﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف/ ٤٥]. وقال تعالى: فى مصير هؤلاء المكذبين بالآخرة ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٤٧].

فالكافر والمكذب باليوم الآخر الذى هو الركن الخامس هوكافر ومكذب بالساعة وبلقاء الله تعالى فى الآخرة، وبالبعث والنشور وبالجنة وبالنار وبالحياة الآخرة الخالدة، ومن ثم إذا كان يزعم أنه يؤمن بالله تعالى ويقر بأن له رباً خالقاً ـ فهو يصفه بالعبث واللهو، إذ يزعم أنه خلق الخلق بلا حكمة، ولذلك قال عنهم ﴿وهم بربهم يعدلون﴾ أى يعدلون عن وصفه بما يليق بجلاله إلى وصفه بما لا يليق به سبحانه، مثل اللهو والعبث بالخلق.

أما من آمن بالله تعالى وباليوم الآخر، بحسب المفاهيم والأخبار الواردة عنه فى الكتاب والسنة فإنه مصدق بالضرورة بالساعة، وبالتالى فهو مصدق بما ورد فيهما عن أشراطها، ومن ثم لا يتم الإنتفاع بهذا الكتاب الذى بين يدى القارئ وبغيره من كتب أشراط الساعة وأحوال الموتى، ومراحل اليوم الآخر، إلا للذى يؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى.

وخلاصه القول أن الإيمان باليوم الآخر فرع من الإيمان بالله تعالى، والإيمان بأشراط الساعة فرع من الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالفروع لا يكون إلا بعد الإيمان بالأصول.

(١٣) النشأة الآخرة فى مقابل النشأة الأولى:

الوجود الثانى للإنسان الذى هو الحياة الآخرة يسبقه الموت الذى يقع بين

الحياتين، قال تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة/ ٢٨]. **وقال تعالى:** مخبراً عن مقالة الكافرين فى جهنم ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾ [غافر/ ١١] **فالوجود ليس هو هذه الحياة الدنيا فقط،** كما أنه لا يبدأ بمولد الإنسان، أو يبدء تكونه جنيناً فى الرحم، بل يمتد وجوده سابقاً على هذه المرحلة، إذ خلقه الله تعالى أول ما خلقه ميتاً، ثم أحياه فى هذه الحياة الدنيا، فقبل الحياة الأولى الموته الأولى، قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك/ ٢،١]. **ومن ثم فالموت يسبق الحياة،** والموتة التى ينتظرها كل حى هى الثانية التى تسبق الحياة الثانية أى الآخيرة.

ومن ثم فإن الله تعالى ينشىء الإنسان حياً بنشأتين، النشأة الأولى، ثم النشأة الآخرة، قال تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس/ ٧٨]. وعن النشأة الآخرة بعد الأولى قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِى الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت/ ١٩، ٢٠]. **إن النشأة الآخرة** هى بدء الحياة الآخرة، لكنها تتم لكل البشر أولهم وآخرهم فى لحظة زمنية واحدة أو فى ساعة واحدة.

وبعد **النشأة الآخرة** التى يتحقق بها البعث تأتى أحداث وأحوال وأهوال يمر بها البشر وكل ذلك تحت مسمى اليوم الآخر.

فالساعة حدث من أحداث اليوم الآخر، وحال من أحواله، وهول من أهواله، فما هو المعنى الدقيق والمفهوم المحدد للساعة فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة؟

الباب الثانى

مراحل يوم القيامة

وتصنيف الاشراط

الفصل الأول: الساعة والقيامة فى القرآن الكريم والسنة وتصنيف الاشراط عند العلماء.

الفصل الثانى: مفهومى للساعة والقيامة وتصنيفى للاشراط النابع من القرآن الكريم والسنة.

الفصل الأول
القيامة والساعة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وتصنيف الأشراط عند العلماء

١٤ـ قيام الساعة بغتة فى آخر لحظه من عمر الحياة الدنيا.

١٥ـ خلط الباحثين بين دلالات الساعة والبعث والقيامة.

١٦ـ ما أطلق عليه العلماء أشراط الساعة العظمى هو بدء نهاية الدنيا أو هو بمثابة فجر اليوم الآخر.

١٧ ـ دلالات الساعة الثلاث عند العلماء.

١٨ـ معنى قرب الساعة عند العلماء.

(١٤) قيام الساعة بغتة فى آخر لحظة من عمر الحياة الدنيا

ورد لفظ الساعة فى اثنتين وأربعين آية من آيات الذكر الحكيم، للدلالة على الحدث الذى هو لحظة انتهاء الدنيا وموت البشر، وفى نفس الوقت هو لحظة بدء الآخرة، قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام/ ٣١]. فمجئ الساعة بغتة يفيد حدوثها فى الدنيا على حين غرة ودون توقع، قال تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف/ ١٧٠]، وقال تعالى أيضاً ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام/ ٤٠]. **ففى هاتين الآيتين الكريمتين** نذير للكافرين بواحد من اثنين:

الأول: إما عذاب الله أو غاشية من عذابه.

الثانى: وإما الساعة.

ومعنى هذا أن الكافرين الذين تجاوزوا الحد وطغوا فى البلاد، إن لم تقم عليهم الساعة فقد يصيبهم عذاب الدمار أو الاستئصال أو قريب منه والعكس صحيح، وهذا دليل على أن الساعة تقوم فى الدنيا وتصيب الكافرين بغته فتقضى عليهم جميعاً، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى عن المكذبين بالقرآن الكريم ﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج/ ٥٥].

وهذه الآية تتضمن نبوءة بأن الدنيا سيكون فيها كافرون مكذبون لآيات الله تعالى ولوحيه الأخير للنبى الخاتم حتى قيام الساعة، لأن الضمير فى قوله تعالى: ﴿فى مرية منه﴾ يعود على القرآن الكريم، والآية تثبت أن الكفار لا يزالون فى شك وريب من هذا القرآن ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ فإن لم يكن هذا الجيل هو الجيل الذى ستقوم عليه الساعة فقد يأتيه ﴿عذاب يوم عقيم﴾ أى لا غدله، إذ يصيبهم الاستئصال وهو هو المعنى الراجح عندى والله أعلم، فى حين أن ابن كثير رحمه الله قد فسر قوله تعالى

﴿عذاب يوم عقيم﴾ بيوم القيامة وهذا قول مرجوح عندى بدليل قوله تعالى: ﴿أو﴾ بين العذابين، فإما أن يصيبهم هذا أو ذاك، فلو كان عذاب اليوم العقيم هو عذاب يوم القيامة لكان الحرف (و) مناسباً بدلاً من الحرف (أو) لأن الكفار الذين ستقوم عليهم الساعة لن تكون لهم نجاة من عذاب اليوم العقيم أيضاً فالعذابان مجموعان وواقعان عليهم معاً حسب تفسير ابن كثير. بينما الحرف أو يفيد أحدهما.

ومن ثم يكون الراجح أن عذاب اليوم العقيم فى الدنيا هو عقيم لأنه لا غد لهم بعده، فهو إشارة إلى عذاب الاستئصال لمن شاء الله تعالى أن يستأصلهم من الطغاة والمكذبين، وحرف العطف (أو) لا يفيد جمع العذابين على جيل الساعة بل يفيد تعذيب الكافرين بعد نزول الوحى الخاتم بواحد من اثنين إما عذاب اليوم العقيم أو إما عذاب الساعة.

وعلى هذا فالساعة تسبق البعث بالضرورة، إذ بها تموت البشرية كما قلنا فى حين أن البعث هو بدء النشأة الآخرة، لأنه إحياء الله تعالى للناس من قبورهم، يدل على هذا قوله تعال: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج/ ٧]. فإذا كانت الساعة تسبق البعث فإن أشراط الساعة تسبق قيامها أو حدوثها لأنها مقدماتها أو أوائلها، قال تعالى ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد/ ١٨].

(١٥) خلط الباحثين بين مدلولات الساعة والبعث والقيامة:

خلط بعض العلماء قديماً وبعض الباحثين حديثاً بين مفاهيم الأسماء: الساعة، البعث، القيامة، الدين، إذ جعلوا القيامة بمعنى الساعة، والساعة بمعنى يوم الدين أو البعث.

من هؤلاء: ابن كثير رحمه الله فى كتابه: النهاية فى الفتن والملاحم [١] إذ يتحدث عن الساعة باسم يوم القيامة مع أنه حدد مفهوم الساعة بأنها الحدث الذى يقع بنفخة الفزع، وهى الثانية فيموت بها كل حى فى الأرض.

(١) انظر النهاية فى الفتن والملاحم / جـ١/ ص ٢٥٥ تحقيق د. طه زينى.

ومن المحدثين على سبيل المثال: الأستاذ يوسف الوابل فى كتابه أشراط الساعة إذ ذكر أن من أسماء يوم القيامة: الساعة، ويوم الدين، ويوم الحسرة، والدار الآخرة، ودار القرار، ويوم الفصل، ويوم الجمع، ويوم الخروج، ويوم الخلود، والواقعة، والحاقة، والطامة الكبرى، والصاخة، والآزفة، والقارعة (١).

ومما قال: "والساعة الكبرى هى بيعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء، وإذا اطلقت الساعة فى القرآن فالمراد بها القيامة" (٢).

ومما قال فى هذا الموضوع أيضاً: "وقد ذكر الله تعالى القيامتين الصغرى والكبرى فى القرآن الكريم فنجده يذكر القيامتين فى السورة الواحدة، كما فى سورة الواقعة، فإنه ذكر فى أولها القيامة الكبرى فقال تعالى :﴿ إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة ﴾ [الواقعة/ ١-٣] ثم ذكر فى آخرها القيامة الصغرى وهى الموت فقال تعالى: ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾ [الواقعة/ ٨٣ -٨٥]. وذكر القيامتين فى سورة القيامة فقال ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة/ ١]، وهذه القيامة الكبرى، ثم ذكر الموت فقال ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة/ ٢٦](٣).

وتلك هى القيامة الصغرى عنده، وما أود التنويه إليه بالنسبة لهذا الموضوع، أن ألفاظ العربية ليست متطابقة فى المدلول والمعنى، ومن باب أولى أن تكون ألفاظ أسماء القرآن الكريم كذلك، فالترادف بين الأسماء أو الألفاظ ليس تاماً وليس على إطلاقه، وإلا كان هذا تكراراً بلا فائدة، وحاشا لله تعالى أن يكون هذا فى كتابه الحكيم المحكم، وإنما هى أسماء لأحداث متداخلة يضمها اليوم الآخر، لكن لكل حدث خصوصيته من حيث المكان والزمان والكيفيات التى جعلته يحمل هذا الاسم دون ذاك للدلالة عليه، ولايمنع هذا إطلاق اسم الواحد على الكل والعكس، فالساعة

---

(١) يوسف الوابل/ أشراط الساعة ص ٣٧ وما عبدها.
(٢) المرجع السابق ص٧٥.
(٣) نفس المرجع والصفحة.

بالنسبة للإنسان النوع هى التى تتم بنفخة الصعق فيموت كل حى، وينتهى أجل الحياة الدنيا بها.

أما القيامة الكبرى فهى التى تتم بنفخة البعث، وهى النفخة الثالثة، وبينها وبين النفخة الثانية التى تقوم بها الساعة زمان لا يعلمه إلا الله الحى الباقى القيوم سبحانه، وبالنسبة للإنسان الفرد فإن ساعته الخاصة به هى لحظة موته، أما قيامته الخاصة به فيمكن أن تتمثل فيما وصفه النبى ﷺ بقوله فى حديث الجنائز عن الميت بعد أن يوضع فى قبره: "فيأتيانه ملكان فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ وما بال الرجل الذى بعث فيكم؟"

ففى معنى الإقعاد قيامة خاصة أو صغرى له بعد الموت حيث يعقب هذا الحساب تماماً كقيام الناس جميعاً لرب العالمين بعد البعث والنشور للحساب يوم الدين.

ومن ثم فتفسير الواقعة بالقيامة [1] جائز، لكن تفسير بلوغ الروح الحلقوم بالقيامة الصغرى فيه تكلف، إذ هى ساعة النفس الفردية الخاصة، اما تفسير بلوغ النفس التراقى بأنه قيامة الفرد أو القيامة الصغرى لمجرد أن السورة احتوت الحَدَثَيْن ففيه تكلف أيضاً، كما أنه ناجم عن عدم الانتباه للفروق الدقيقة بين معنى الساعة والبعث والقيامة والحساب والجزاء والخلود، وجميعها يوم واحد، ذو مراحل وأحداث، هو اليوم الآخر.

فاليوم الآخر هو الاسم العام الذى ينضوى تحته أسماء الأحداث والأحوال والأهوال التى ستمر بها البشرية منذ بدء هذا اليوم إلى أن يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار والعياذ بالله تعالى، بيد أنه، بحسب قاعدة إطلاق اسم الجزء على الكل أحياناً للتعريف والوصف، فإننا إذا قلنا يوم القيامة أو يوم الدين أو يوم الحساب أو يوم البعث، فإنما نذكر اليوم الآخر بأخطر أحداثه تنبيهاً وتحذيراً، إلا أن الوضوح يقتضى منا العلم بأن هذه كلها أحداث وأحوال أو مراحل لليوم الآخر.

ومما يجدر ذكره أن بعض الكتاب استبدل اسم يوم القيامة باسم اليوم الآخر، وجعل بقية الأسماء منضوية تحته ووصفاً أو أسماء له مثل: الساعة أو الحساب أو

---

(١) سنعلمُ بعد ذلك فى أحد أجزاء الكتاب أن الواقعة هى القيامة الصغرى، أو هى حدث من أحداثها.

الخلود أو الطامة أو الصاخة وهى أحداث من اليوم الآخر شأنها شأن القيامة، لأن القيامة مرحلة من مراحله، تبدأ من اكتمال حشر الناس فى صعيد واحد حتى يتشفَّع المصطفى الخاتم ﷺ الشفاعة الكبرى لإقامة الحساب وعبور الجسر أو الصراط، ومن ثم فإنه يكون من الأدق والأصوب والأرجح أن تدخل هذه الأسماء جميعاً تحت اسم اليوم الآخر، دخول الفرع تحت الأصل. ولكن لايمنع ما نقول من استخدام يوم القيامة بنفس دلالة اليوم الآخر.

وكما ينغلق باب التوبة بالنسبة للإنسان الفرد إذا غرغر ساعة الاحتضار مع أنه يكون حياً يرى ويسمع ويتنفس، كذلك فإن باب التوبة ينغلق بالنسبه للإنسان النوع عند طلوع الشمس من مغربها، أو بخروج الدابة، أو بظهور الدخان، وكلها تحدث فى يوم واحد من أيام الدنيا وتستمر الدنيا بعده إلى ما شاء الله تعالى.

ومن ثم فهذه الأحداث الثلاثة العظمى هى بمثابة غرغرة النوع الإنسانى كله، ولكن يستمر حياً، أى هذا النوع ربما لعشرات السنين أو لمئات السنين، والله تعالى أعلم، وهذا يعنى أن بَدْأ اليوم الآخر يكون فى الدنيا قبل قيام الساعة ، ومن ثم جاءت أشراط الساعة ضمن عقيدة اليوم الآخر فى الإسلام.

وتبدأ أحداث اليوم الآخر بالنفخة الأولى فى الصور، التى هى نفخة الفزع، وهى تحدث فى الدنيا، وبها تقع أحداث الساعة الصغرى التى تنبىء ببدء نهاية الدنيا، وبالقرب الشديد لوقوع الساعة، وهذا اليوم هو يوم التناد فليس يوم التناد اسماً من أسماء يوم القيامة، وليس اسما من أسماء الساعة، بل هو اسم من أسماء يوم الفزع كما عبر عن هذا حديث أبى هريرة عن النفخات الثلاث فى الصور والذى سيأتى بيانه بعد (١).

أما النفخة الثانية فى الصور فبها تقع الساعة ويموت الناس بها نتيجة الصيحة أو الصاخة التى تصخ آذانهم أو القارعة التى تقرعهم فتهلكهم.

---

(١) أورده الطبرى فى تفسير قوله تعالى ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم﴾ وأورده ابن كثير فى النهاية ولم يضعفه. وذكرته فى الجزء الاول من القيامة الصغرى على الابواب.

أما يوم البعث الوارد ذكره في قوله تعالى ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الروم/٥٦]. فهذا يوم الخروج قال تعالى ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق/ ٤٢]. أى: الخروج من القبور للنشور، وهذا يكون بالنفخة الثالثة فى الصور، وهو الحدث أو اليوم الذى يحى الله تعالى فيه الموتى فيساقون بعدها للموقف قائمين لرب العالمين، وهذا هو يوم القيامة الكبرى أو الطامة الكبرى أو حدث القيامة الذى قال تعالى فيه ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين/ ٤،٥،٦].

أى: أنهم سيبعثون فى يوم البعث بحدث عظيم اسمه البعث وهو الإحياء من القبور، ثم يكون بعده حدث عظيم أيضاً اسمه القيامة ولو فهمنا القيامة بالخروج من القبور قائمين على الأرجل سعياً إلى المحشر لكان أيضاً حدثاً مخالفاً للبعث لأن البعث هو إحياء الله تعالى للأجساد بعد تكوينها وإعادتها فى قبورها. فالبعث فعل الله عزوجل فى الناس، والقيامة فعل منسوب للناس.

والأرجح أن القيامة اسم للوقوف فى المحشر فى انتظار الحساب، وهو يوم الجمع لأن الناس يكونون جميعاً مجموعين فى صعيد واحد، لا يتخلف منهم أحد من ذرية آدم، قال تعالى ﴿وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه﴾ [الشورى/ ٧].

يتبع هذا الحدث: بدء الحساب وإقامة الموازيين لإدانة المجرمين فهو يوم الدين، قال تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة/ ٤]، وهو يوم الحساب، قال تعالى ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص/ ٥٣]، وهو امتداد ليوم القيامة أو يوم الجمع.

ثم بعد انتهاء الحساب وانفضاض الموقف ينتهى الناس إلى يوم الخلود إما إلى جنة أبدا قال تعالى للمؤمنين ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق/ ٣٤]، إذ يستقرون فيها بلا انتهاء أو تحول أو فناء، قال تعالى ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر/ ٣٩].

فليس يوم الخلود هو يوم القيامة أو هو يوم الدين أو البعث إذ ينتهى حدث البعث

ويبدأ يوم القيامة أو الدين أو الحساب وينتهى يوم الدين أو الحساب ليبدأ يوم الخلود، إما فى الجنة أبدا، وإما فى النار أبداً، والعياذ بالله تعالى.

ولقد حدث خلط فى الأذهان بين هذه الأحداث والمراحل ربما لإطلاق اسم المرحلة الواحدة على كل المراحل أو اسم اليوم الآخر على اسم المرحلة الواحدة فوجب التنبيه والتوضيح لأن هذا الإطلاق وإن كان جائزاً فى اللغة إلا أن الخلط بين مدلولات الألفاظ والأسماء غير جائز فيجوز إطلاق اسم الجزء على الكل والكل على الجزء لكن من الخطأ والخلط إطلاق اسم الجزء على جزء آخر.

وعلى أى حال فإسم القيامة من أعم أسماء اليوم الآخر، أو هو الذى يليه فى العمومية ونظراً لأنه يطلق على جميع مراحل اليوم الآخر، فإنه يلزم اذا ذكرناه أن نقرنه بما يميز به بين كل مرحلة من مراحل اليوم الآخر الثلاث على ما سيرد بعد مفصلا باذن الله تعالى.

(١٦) ماأطلق عليه العلماء أشراط الساعة العظمى هو بدء نهاية الدنيا أو هو بمثابة فجر اليوم الآخر

الصلة بين أشراط الساعة واليوم الآخر أوثق من الصلة بينها وبين الدنيا إذ هى علامة على قرب بدء اليوم الآخر، ويعتبر أول الأشراط العظمى بمثابة فجر اليوم الآخر، ولاشك أن صلة الفجر بالنهار أوثق من صلته بالليل، لأنه وإن كان إيذاناً بانتهاء الليل، ومع أنه استمرار لظلام الليل، إلا أنه ينتسب إلى النهار أكثر من انتسابه إلى الليل، لأنه بابه وأوله، وأول الشيء جزء منه أكثر من كونه جزءاً من غيره.

لذل يصح القول بأن اليوم الآخر يبدأ فى الدنيا وليس فى الآخرة، خلافاً لما قد يتوهم البعض، وبدايته هى أشراط الساعة العظمى لأن الأشراط التى تنبيء عن قرب وقوع الساعة هى من أحداث آخر الدنيا، وأول اليوم الآخر، لكن أشراط الساعة بدأت ببعث المصطفى الخاتم ﷺ، فهل معنى هذا أن اليوم الآخر بدأ ببعثه عليه الصلاة والسلام؟

إن بدء اليوم الآخر أو فجره يتمثل فى حدوث ما أطلق عليه العلماء أشراط

الساعة العظمى أو الكبرى[1]، التى سيأتى الحديث عنها بعد بإذن الله تعالى.

أما الأشرط التى بدأت تتابع منذ بعث المصطفى الخاتم ﷺ فهى الأشراط التى أطلق عليها العلماء الأشراط الصغرى[2].

وبيان هذا: أن بعض السنن الربانية التى تحكم وجود النوع الإنسانى فى مراحله الوجودية الأربعة: الموتتين والحياتين، هى التى تحكم الوجود الانسانى الفردى فى مراحله الوجودية الأربعة أيضاً، وإن لم يكن فى سبلها وخطوطها ومناهجها الدقيقة، فهو على الأقل فى سبلها الرئيسية وخطوطها العريضة، إذ كما تنتهى حياة الأفراد بالضعف ونسيان العلم وأعراض أخرى لمرحلة أرذل العمر ﴿ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾[النحل/ ٧٠] ثم يحدث انهيار الفرد، فيلزم الفراش ويصبح فى حال ليس هو فيها من أبناء الدنيا لأنه مدبر عنها، كما أنه لم يصبح بعد فى الآخرة وإن كان مقبل عليها.

كذلك فى حياة النوع الإنسانى فى العقود الأخيرة التى تسبق الساعة، فالأشراط التى بين يدى الساعة بمثابة أحوال وأعراض شيخوخة النوع الإنسانى، بل هى أرذل العمر بالنسبة إليه.

أما لحظة قيام الساعة التى يموت فيها كل البشر فهى تقابل لحظة موت الفرد بخروج نفسه، ومن ثم إذا كان للنوع الإنسانى ساعة فإن للفرد ساعة أيضاً هى لحظة صعود نفسه إلى بارئها.

(١٧) دلالات الساعة الثلاث عند العلماء:

استنبط بعض العلماء من أحاديث الرسول الكريم ﷺ ثلاث دلالات لمعنى الساعة، فأطلق بعضهم على الأولى الساعة الصغرى، والثانية: الساعة الوسطى، والثالثة: الساعة الكبرى.

وهم يقصدون بالساعة الصغرى: موت الفرد، والوسطى: موت الجيل أو انقراض جميع أفراده أو أكثرهم، أما الساعة الكبرى فهى موت الناس أجمعين.

---

(١)، (٢) سيرد بعد ذلك ما يوضح للقارىء رفضى لهذا التصنيف وتسميتها بالامارات والآيات.

بيد أن هذه التسميات ليست مطابقة تماماً لمدلولاتـها الثلاثة، فهي تسميات أو إطلاقات غير دقيقة، والأوضح والأدق أن نثبت للساعة ما صدقين فقط:

الأول الساعة الخاصة.

الثاني: الساعة العامة.

فالأولى: هي التي تصدق على موت الفرد إذ لكل فرد ساعته التي تسبقها علاماتها، وأشراطها، كما أسلفنا، وهي لحظة موته وانتقاله من الدنيا إلى عالم البرزخ الذي يسبق البعث، أي الذي يكون بعد الموت وقبل البعث، قال تعالى: ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ [المؤمنون/ ١٠٠] .

فساعة الفرد: ساعة خاصة وليست صغرى كما أطلق عليها بعض العلماء والباحثين، وهذه هي التسمية الدقيقة لها.

أما الساعة العامة: فهي الحدث الذي يتم به نهاية أجل البشرية، بل نهاية أجل الحياة بعامة في الأرض من إنس وجن وحيوان ونبات، وجميع أشكال الحياة الأخرى، لذلك نقول: إن إطلاق اسم الساعة الكبرى عليها قد لا يكون مخالفاً للصواب إذا نظرنا إلى عظم الحدث، ولكن إطلاق اسم الساعة العامة أدق لأنها من ناحية تقابل الساعة الخاصة.

ومن ناحية أخرى لأنها لحظة النهاية لعموم الأحياء الأرضية، أما ما يقصده الباحثون والعلماء بالساعة الوسطى أو ساعةالجيل أو ساعة أهل القرن: فهي لا تعدو أن تكون مجموع ساعات الأفراد وحيث أن موتهم يتم خلال عمر الجيل كله، وليس في لحظة واحدة كما هو الشأن بالنسبة للساعة الكبرى أو العظمى لذا فلا نرى من الصواب أو من الدقة وصف موت الأفراد خلال عمر الجيل بالساعة الوسطى ضمن تصنيف لأقسام الساعة ومدلولاتها، لأن أهم عنصر يدخل في معنى الساعة هو حدوثها فجأة وفي لحظة واحدة ووقوعها بغتة بالرغم من تقدم علاماتها وأشراطها، وبالرغم من توقع كثير من الناس قرب حدوثها، وهذا ما لا يتوفر بالنسبة لما أطلقوا عليه الساعة الوسطى، بمعنى نهاية أجل جيل من الأجيال الذي يحدث بالتعاقب.

وهذا لا يمنع من القول بوجود ما يمكن تسميته بساعة القوم أو ساعة الأمة إلا أنه ليس لكل الأقوام أو كل الأمم، بل للأمة المستأصلَة بعذاب الله تعالى العاجل في الدنيا، مثل ما حدث لقوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وقوم شعيب، فقد قضى الله تعالى على كل شعب من هذه الشعوب بضربة واحدة، إما بالغرق وإما بالصيحة أو بالرياح العاتية فقضى عليهم في لحظة واحدة، كما هو الحال بالنسبة لانتهاء البشرية بما أطلقوا عليه الساعة الكبرى، ولكن هذه الساعة الجماعية إن صح التعبير بساعة القوم أو ساعة الأمة فهي بين الخاصة والعامة لأنها تخص من استحقوا عذاب الاستئصال، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩]. من ناحية، وهي تعم جميع أفراد الشعب الكافر من ناحية أخرى.

أما الحديث الذي استنبط منه العلماء إطلاق الساعة الصغرى والوسطى والكبرى على مدلولات الساعة الثلاث فهو: قوله ﷺ مجيباً من سألوه عن الساعة: « تسألوني عن الساعة فإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة، وفي رواية عائشة رضي الله عنها: « قامت عليكم ساعتكم»[1].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى مُبَيِّناً: وذلك أن من مات فقد دخل في حكم القيامة .

ومن الواضح أن إجابة الرسول ﷺ على السائلين عن موعد الساعة يتضمن نهياً ضمنياً عن محاولة معرفة موعدها أو على الأقل كراهة هذا الأمر، لأنه من المعلوم أنه لا يعلمها إلا الله عز وجل وحده ولا يشاركه سبحانه في هذا العلم لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، كما سبق وأن أثبتنا ذلك من قبل، كما أن العلم بأنها لن تحدث إلا بعد عشرات السنين، أو مئات السنين مثلاً لا يفيد السائل شيئاً لأنه لن

(١) انظر فتح الباري (١١/ ٣٦٣) والحديث في صحيح البخاري ك الرقاق، باب سكرات الموت، وفي صحيح مسلم ك/ الفتن وأشراط الساعة ، باب قرب الساعة.

يعيش هذه القرون كما هو معلوم من واقع أعمار البشر، وأعمار أمة الرسول ﷺ بين الستين والسبعين ومن تخطى السبعين فغالباً لا يصل إلى المائة، ومن تخطى المائة لا يستمر كثيراً، فإذا كان موت الأفراد في هذا المدى، وقد أقسم رسول الله ﷺ للسائلين عن موعد الساعة بأن كل إنسان على ظهر الأرض يومئذ لن يبلغ المائة عام ومن ثم فمن كان مهتماً بموعد الساعة فليعلم أنه إن لم تدركه الساعة خلال المائة القادمة فسيدركه الموت وهوما يتساوى أثره بالنسبة للفرد، ومن ثم يعتبر هذا أعظم موعظة لكل الأجيال ، إذ أن بعد الساعة عن جيل من الأجيال أو قرن من القرون مئات السنين أو حتى آلاف السنين لا تفيد هذه السنين القرن بشيء ، ما دام موتهم محقق في حدود عمر الجيل الواحد، أو القرن الواحد، لأنه إذا كانت ساعة المرء هي لحظة موته الخاصة فإن الساعة العامة بالنسبة له هي نفس هذه اللحظة أيضاً ، لأن الزمن بالنسبة له معدوم بين موتته وبين الساعة العامة وأيضاً بين موته وبين البعث لأن الأموات لا يحسون بالزمن ولا يشعرون بالوقت.

(١٨) معنى قرب الساعة عند العلماء:

أثبت العلماء معنيين لقرب الساعة:

(أولا). القرب النسبي: إذا ثبت بآيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ أن بعثه ﷺ ونزول القرآن الكريم عليه أول العلامات أو الأشراط على قرب الساعة. قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:١].

قال القرطبي موضحا لهذا المعنى الأول لقرب الساعة: أولها النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي [(١)]. فهو عليه الصلاة والسلام أول علامات الساعة التي ببدء حدوثها تكون الساعة قد اقتربت نسبياً، ومن هذا حدوث معجزة انشقاق القمر في العهد المكي أمام المشركين، وهذا الانشقاق هو من أشراط الساعة الدالة على اقترابها بهذا المعنى الأول.

وقال تعالى أيضا: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]

---

(١) القرطبي / التذكرة ص٦٢٦.

والحساب لا يكون إلا بعد الساعة فاقتراب الساعة إذن أولى، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦/٧]. وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد:١٨]. أى : جاء أشراطها ببعث النبى الخاتم الذى ليس بينه وبين الساعة نبى وبنزول الوحى الأخير الذى لا ينزل بعده كتاب من السماء إلى أن تقوم الساعة.

وقد أثبت العلماء هذا المعنى فى كتبهم فأورد ابن كثير عن الحسن البصرى قوله: « بعثة الرسول ﷺ من أشراط الساعة»(١). وأيده ابن كثير رحمه الله تعالى فقال : بعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذى أكمل الله به الدين و أقام به الحجة على العالمين (٢).

أما عن أحاديث المصطفى الخاتم ﷺ التى تدل على هذا المعنى الأول لقرب الساعة ببعثه فقد جمعها الشيخ حمود بن عبد الله التويجرى فى كتابه «إتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

فكتب رحمه الله بالمجلد الثانى: [وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيْه هكذا- بالوسطى والتى تلى الإبهام : بعثت والساعة كهاتين» رواه الإمام أحمد والشيخان واللفظ للبخارى .

وفى رواية له عن سهل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين» ويشير بإصبعيه فيمدهما».

وفى رواية لأحمد: أن رسول الله ﷺ قال: « مثلى ومثل الساعة كهاتين، وفرق بين إصبعيه الوسطى والتى تلى الإبهام، ثم قال: مثلى ومثل الساعة كمثل فرسى رهان، ثم قال: مثلى ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشى أن يُسْبَق ألاح بثوبه أُوتيتُم أُوتيتُمْ ثم يقول رسول الله ﷺ: « أنا ذلك».

---

(١) ابن كثير / التفسير ج ص

(٢) المصدر السابق . التفسير/ ط١/ ص٢٤٦.

وعن **أنس بن مالك** رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين» رواه الإمام أحمد وأبو داود الطيالسي والشيخان والترمذي. زاد مسلم : «قال شعبة : وسمعت قتادة يقول فى قصصه : « كفضل إحداهما على الأخرى» فلا أدرى أذكره عن أنس أو قاله قتادة؟ **وفى رواية له عن معبد** « وهو ابن هلال» عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » قال: وضم السبابة والوسطى». وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين « وجمع بين إصبعيه رواه البخارى وابن ماجه وهذا لفظه. **وعن جابر** بن عبد الله رضى الله عنهما قال: « كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبَّحكُم ومسَّاكُم، ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. رواه الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه . **وعن المستورد بن شداد** الفهرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « بعثت أنا فى نفس الساعة فسبقتها هذه هذه لإصبعيه السبابة والوسطى. رواه الترمذي وقال :هذا حديث غريب.

قال الحافظ بن حجر : قوله فى نَفَس بفتح الفاء وهو كناية عن القرب، أى بعثت عند نَفَسهَا انتهى.

وعن بريدة رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقنى ».

رواه الإمام أحمد وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير بإصبعيه ويقول: « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه». رواه الإمام أحمد وإسناده حسن، ورواه ابن جرير ولفظه قال: كأنى أنظر إلى إصبعى رسول الله ﷺ أشار بالمسبحة والتى تليها وهو يقول: « بعثت أنا والساعة كهذه عن هذه» وفى رواية : « وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى»][1].

---

(١) التويجرى / إتحاف الجماعة فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة جـ٢ ص٥-٨ دار الصميعى للنشر والتوزيع الرياض.

وذكر ابن كثير ما رواه ابـن أبي الدنيا بسنده عن صبـرة بن الضحاك رضى الله عنه قـال: قال رسول الله ﷺ : « بعثت فى نَسَم الـساعة » يقول : حـين بدت فى أول وقتها»[1]. **قـال ابن كثيـر** عن الحـديث : « وهـذا إسنـاد جيـد» [2]. **ومعنى أول وقتها:** أى من الأشراط الأولى التى تدل على القرب النسبى المتضمن للبعد النسبى أيضاً.

وتفسير هذا وبيانه هو أن قرب عصر النبى ﷺ من الساعة **نسبى بالقياس إلى عمر الدنيا** إذ أن عمر البشرية طويـل جداً حتى أن خمـسة عشر قرنـاً أو حتى عشرين قرناً بالنسبة له ليعتبر زمناً يسيراً وأجلاً قصيراً. **يدل** على هذا المعنى ما رواه البخارى بسنـده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قـال رسول الله ﷺ : « إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم قـبلكم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس». **وروى الإمام أحمد** رحمه الله عن ابـن عمر رضى الله عنهمـا قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن مثل آجالكم فى الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغربان الشمس»

قال ابن كثير رحمه الله تعليقاً على هذه الأحاديث : **وهذا** كله يدل على أن ما بقى بالنسبة إلى ما مضى كالشيء اليسير لكن لا يعلم مقدار ما بقى إلا الله عز وجل، ولم يجيء فيه تحديد يصح سنده عن المعصوم ﷺ حتى يصار إليه، ونعلم نسبة ما بقى بالنسبة إليه، ولكنه قليل جداً بالنسبة للماضي»[3].

فالقرب بهذا المعنى الأول نسبى وليس قربا بالمعنى المطلق، ومن ثـم فالأشراط الدالة على هذا القرب كثيرة تبعد عن الحصر، وقد بدأت تتوالى منذ عهد المصطفى الخاتم ﷺ ولا زالت.

---

(١) ابن كثير جـ ١ ص ٢٤٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن كثير / النهاية فى الفتن والملاحم ، جـ١ ص ٢٤٩ طبعة دار الفكر العربي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز.

(ثانيا)- **القرب المطلق للساعة:** هو القرب غير النسبي ، وتدل عليه أشراط تقع بين بدء الساعة وقبلها بزمن يسير جداً، ومن ثم فهي من نوع آخر يختلف عن الأشراط التي بدأت ببعث النبي ﷺ

ولقد فرق بعض العلماء: على أساس هذين المعنيين للقرب من الساعة بين نوعين من الأشراط فأطلقوا على الأولى: الأشراط الصغرى، وعلى الأخرى التي تقرب من الساعة بهذا المعنى الذي نحن بصدده أي المطلق: الأشراط العظمى أو الكبرى، ويرجع هذا السبب في تسمية هذه الثانية بالكبرى أو العظمى إلى طبيعة الأحداث التي تقع بهذه الأشراط من ناحية، وإلى مباشرة عصرها للساعة أو لكونها تدل على اخر الزمان من ناحية أخرى، أي لأنها تدل على القرب الشديد للساعة.

ولقد وردت هذه الأشراط في أحاديث رسول الله ﷺ بصيغة تتضمن بياناً بحدوثها قبيل الساعة مباشرة وبزمن يسير جداً مثل قوله ﷺ « إن بين يدى الساعة الهرج، قالوا : وما الهرج ؟ قال: القتل، قالوا : أكثر مما نقتل؟ إنا نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفاً!!! قال: إنه ليس بقتلكم المشركين ولكن قتل بعضكم بعضاً»[1].

وقد تكرر تعبير: إن بين يدى الساعة في كثير من أحاديث النبي ﷺ وهي صيغة تدل على مباشرة هذا الحدث للساعة وعلى المعنى الثاني للقرب أي القرب المطلق».

ومن هذه الصيغ الدالة على القرب المطلق قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى ...» وكذا وكذا مثل قوله : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان...»[2]. **ومثلها قوله**

---

(١) رواه الإمام عن أبي موسى رضي الله عنه (٤/ ٤١٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٩٣.

(٢) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة، وأورده ابن كثير في النهاية وقال: إسناده على شرط مسلم جـ١ ص١٨١.

ﷺ : « إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات...» (١). **ومن هذه الصيغ أيضا:** النص على أن الحدث الذى هو موضوع الحديث الشرف « فى آخر الزمان» أو فى «آخر الأمة» . **مثل قوله** ﷺ : « يكون فى آخر أمتى خليفة يحثى المال حثياً لا يعده عداً» (٢). **ومثله قوله** ﷺ : « يكون فى آخر هذه الأمة - أو فى أمتى - خسف أو مسخ أو قذف فى أهل القدر»(*)(٣).

والمتواتر بين العلماء: أن الأشراط العظمى التى تسبق الساعة مباشرة وتقع بين يديها هى الخسوف الثلاثة وخروج الدجال ونزول المسيح عليه السلام ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها والدابة والدخان ونار تخرج من قعر عدن وجميعها نص عليها حديث الآيات العشر التى تكون بين يَدَىْ الساعة، إلا أن كثيراً من الأشراط التى دلت عليها النصوص تقع بين يدى الساعة أيضاً وهى قد لا تكون من الأشراط العظمى أى من الآيات أو الأحداث العظيمة ، ومن ثم أورث هذا التصنيف للأشراط إلى صغرى وكبرى لبساً وخلطاً، سيستلزم منا رفع هذا اللبس كما سيلى بإذن الله وتعالى وعونه.

بيد أنه قد يكون من المفيد أن ننبه إلى أن تصنيف الأشراط إلى نوعين للتمييز بينهما أمر لازم ولا خلاف فيه، وإنما قد يكون من الأدق وكذلك مما يساعد على البيان والتوضيح، أن نسمى الصنف الأول الذى يندرج تحت معنى القرب النهبى الذى بدأ منذ عصر النبى ﷺ بالأشراط الأولى أو البعيدة، ونعنى به بعداً نسبياً ، فهذه بعيدة عن الساعة بالقياس إلى الصنف الثانى الذى هو أقرب إليها.

وهذا الصنف الثانى الذى هو بين يدىْ الساعة يمكن أن نسميه الأشراط

(١)، (٢) صيح مسلم : ك الفتن وأشراط الساعة. صحيح مسلم ك/ الفتن وأشراط الساعة.

(٣) رواه الترمذي، فى باب القدر جـ ٦ ص٣٦٧.

(*) أهل القدر هم المنكرون للقدر مثل الجهمية وبعض فرق المعتزلة ولم توجد شعوب تدين بهذه العقيدة إلا الشيعة بما فيهم الأثنا عشرية على درجات متفاوتة من الإنكار حتى يقول بعضهم بالبداء على الله ومعناه أن الله تعالى فى عقيدة هؤلاء لم يقدر شيئاً وإنما يدبر الأمر حسب ما يبدو أولاً بأول.

الأخيرة أو أشراط آخر الزمان أو الأشراط القريبة وسوف نعطى للصنف الأول البعيد عن الساعة مصطلح الأشراط، ونعطى لـلقريب منها، العلامات والأمارات والآيات، وهى مصطـلحات فى القرآن الـكريم، والسنة كما سـنرى فى الفصل الـتالى بإذن الله تعالى .

الفصل الثانى
المصطلحات الأربعة للأحداث الدالة على الساعة فى الكتاب والسنة

(١٩) معنى الشرط

الشرط فى اللغة هو العلامة، ومنه اشتق اسم الشرطة لأنهم يتخذون علامات أو ملابس خاصة تميزهم وتدل عليهم، وكل شرط يتبعه مشروط بالضرورة، كما أن كل علامة ترتبط بمعلوم تدل عليه.

وعند النحاه أدوات الشرط «إذا وإن ولو ومتى وحتى» لكل منها فعلان: الأول، هو فعل الشرط، والثانى هو جواب الشرط، وبالنسبة لأشراط الساعة، فإن ما يأتى بعد أداة الشرط هو العلامة التى تدل على قرب الساعة، أماوقوع الساعة أو أى مشهد من مشاهدها فيكون جواب الشرط، منها قول الله عزّ وجلّ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤﴾[الإنفطار/ ١ - ٥]. فكل جملة بعد إذا هى خبر عن شرط من أشراط الساعة يحدث قبل وقوعها، وجاءت جملة ﴿علمت نفس ما قدمت وما أخرت﴾ جوابا لفعل الشرط، إذ تُنبىءُ هذه الجملة عن حال كل نفس بإزاء عملها الذى تتذكره جيداً ويكون حملا ثقيلا وشغلا شاغلا لها تخشى الحساب عليه.

فالشرط هو العلامة وأشراط الساعة علاماتها، ولم يرد لفظ الشرط فى القرآن الكريم مضافا إلى الساعة بصيغة المفرد، وإنما ورد دائما بصيغة الجمع «أشراط» فى مثل قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد / ١٨].

(٢٠) معنى الساعة

الساعة لغة من سَوَعَ وهو أصل يدل على استمرار الشىء ومُضيِّه (وسواع من

(٢٠) معنى الساعة

الساعة لغة من سَوَعَ وهو أصل يدل على استمرار الشيء ومُضيِّه (وسواع من الليل أى هدء منه) وسُمِّى جزء من الليل والنهار بالساعة لأنه شيء يمضى ويستمر. فالأصل فى معنى الساعة هو الدوام والاستمرار والمضى والتتابع فهى زمن دائم مستمر ، أى وحدات متكررة بلا توقف، واشتقت من لفظ سوع الساعة للدلالة على الوحدة الزمنية التى يتكون منها الليل والنهار، فالساعة ـ باعتبارها وحدة زمنية متكررة ـ مقياس للوقت والزمن.

أما الصلة بين الساعة التى هى انتهاء أجل الحياة فى الأرض مرة واحدة فى لحظة واحدة، وبين مفهوم الساعة الذى هو مقياس للوقت، هذه الصلة تكمن فى أن الساعة التى هى مقياس للوقت تطلق على وحدات متتابعة من الليل والنهار فيقال الساعة الأولى من الليل والساعة الثانية من الليل ثم الثالثة حتى يقال عن السَّحر إنه الساعة الأخيرة من الليل، وهو يتبعه الفجر الذى هو الساعة الأولى من النهار، فالزمن أو الوقت فى هذه الحياة الدنيا ساعات متسلسلة متتابعة أى أنها وحدة متكررة لا تنقطع بسبب سريان الزمان فى حركة دائرية يعود إلى حيث بدأ، ليل يعقبه نهار وهذا النهار يعقبه ليل، وهكذا منذ أن بدأت الدنيا إلى أن يرثها الله تعالى.

أما الساعة التى هى نهاية الحياة على وجه الأرض، فإن الصلة بين معناها وبين المعنى اللغوى للساعة هو أن الزمن سيتوقف بانتهاء الدنيا، ولن يكون ثمّ ليل أو نهار، وبالتالى فلن تكون يومئذ ساعات متتابعة بمعنى أجزاء من الليل أو أجزاء من النهار تختلف كل ساعة عن سابقتها وعن لاحقتها، وإنما ستكون ساعة انتهاء الحياة الدنيا ساعة واحدة ممتدة ذات صبغة واحدة لا زمن ولا تتابع ولا تسلسل ولا اختلاف بين ساعات فى الليل وأخرى فى النهار، إذ لن يكون بعد ليل ولا نهار، وإنما هى ساعة واحدة. ومن ثم سُمِّيت الساعة، فهى ساعة واحدة أى وحدة زمنية مستقلة عن التى قبلها والتى بعدها، تبدأ بصيحة من السماء يموت على أثرها كل حى وتظل ممتدة حتى يخرج الناس من قبورهم بالبعث ثم مراحل الحساب والميزان والصراط والحوض والجنة لأهل الإيمان والنار والشقاء لأهل الكفر.

على ظهر الأرض ويتوقف فيها الزمان فيمتد ليصبح ساعة واحدة مستمرة بانقطاع التباين بين ساعات اليوم وتوالى الأيام والشهور والسنين، وهذا لا يكون إلابانقطاع التسلسل الوقتى الذى عليه الزمن الحالى فى الحياة الدنيا.

إذن الساعة لحظة أو أقل قال تعالى ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[النمل/ ٧٧] لكنها ممتدة فتشمل البعث من القبور ثم الحشر والوقوف للحساب ثم الميزان ثم الصراط ثم الذهاب إلى المصير الأبدى، إلى جنة أو إلى نار قال تعالى: ﴿ ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتفَرَّقُون﴾[الروم/ ١٤] وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر/ ٤٦] فالساعة تقوم فى لحظة أو أقل من ثانية وهذا هو الوقت الذى يستغرقه «لمح البصر» فيموت كل حى بالصيحة بلا هدم وبلا أى مظهر من مظاهر القيامة فى القرآن الكريم، ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلاَّ صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصِّمون فلا يستطيعون توصية ولاإلى أهلهم يرجعون﴾ [٤٨ ـ ٥٠ يس] إذًا سيموت كل حى فى مكانه لحظة وصول الصيحة إلى أذنيه.

ومن ثم يتجمدٌ الزمن وتصبح هذه اللحظة ممتدة لتشمل البعث والحشروالحساب حتى يتفرق الناس فريقين: فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير، والعياذ بالله تعالى.

(٢١) معنى اليوم الآخر، ومتى يبدأ؟ ومتى ينتهى؟ ومراحله

وبخلاف الفهم الخاطىء عند أكثرالناس حتى عند بعض علماء الإسلام من أهل التخصص فى العقيدة والتفسير، فإن اليوم الآخر لا يبدأ فى الآخرة بدخول كل فريق إلى مثواه، كما أنه لا يبدأ لحظة قيام الساعة، وإنما هو يبدأ فى الدنيا وينتهى فى الآخرة لأن اليوم الآخِر (بكسر الخاء) ليس هو اليوم الآخَر (بفتح الخاء) ذلك أن القرآن الكريم يقابل الآخرة بالدنيا والحياة الآخرة بالحياة الدنيا والحياة الآجلة بالحياة العاجلة.

ومن ثم جاء الركن الخامس من أركان الإسلام (... وباليوم الآخِر) وهو غير

الآخرة إذ ليس اسمه الآخَر، ومن ثم فهو اليوم الآخر بمعنى الأخير، فهو إذن اليوم الأخير من أيام الدنيا، وليس اليوم الأول من أيام الآخرة ، لأن هذا اليوم الأول يبدأ بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وهو يبدأ من حيث تنتهى الدنيا، وتنتهى الدنيا بانتهاء اليوم الآخِر أى الأخير منها، وهذا اليوم يبدأ فجره فى الدنيا، وينتهى بنهاية الحساب وعبور الصراط.

ويبدأ فجره فى الدنيا ببدء الأشراط العظمى أو الآيات التى بين يَدَىْ الساعة أو أماراتها، فيجب على كل مسلم أن يصحح هذا الخطأ الشائع عن مفهوم اليوم الآخِر بالتمييز بين اليوم الآخِر والحياة الآخِرة أو الآخِرة.

(سئل ابن عباس رضى الله عنهما: متى يبدأ اليوم الآخر؟ فقال أوله فى الدنيا وآخره فى يوم الدين)[1].

وقد حصر العلماء أسماء اليوم الآخر فى القرآن الكريم فوجدوها تسعة عشر اسما هى: يوم القيامة، يوم الفناء، الواقعة، القارعة، الآزفة، الصاخة، الساعة، يوم البعث، يوم الخروج، يوم الدين، يوم الحسرة، يوم الفصل، يوم الجَمْع، يوم الوعيد، يوم الحساب، الطامة الكبرى. الحاقة، يوم الخلود، يوم النشور، ويمكن تصنيفها إلى مراحل اليوم الآخر كالتالى:ـ

١) اليوم الآخر: وهو الذى يبدأ بآيات الساعة فى الدنيا وينتهى بنهاية يوم الحساب ودخول كل فريق من الفريقين إلى مصيره الأبدى. فهو اليوم الجامع لجميع الأسماء الثمانية عشر التالية:

٢) يوم القيامة، يوم الفناء، الواقعة، الراجفة.

٣) الساعة، الصاخة، القارعة، الطامة الكبرى.

٤) يوم الدين، يوم البعث، يوم الخروج، يوم النشور، يوم الجمع، يوم الوعيد، يوم الحساب، يوم الفصل، يوم الحسرة.

٥) يوم الخلود، وهو بدء الحياة الآخرة.

---

(١) انظر لوامع الأنوار البَهيَّة للسفارينى جـ٢.

وكل اسم من هذه الأسماء يطلق على اليوم كله، من قبيل إطلاق الجزء على الكل، ومن قبيل تسمية الشيء بخاصية من خصائصه المتعددة، كما أن الجزء يُطلق على عينه وكذلك يطلق اسم الكل على بعض الاجزاء، وإن كان فى الأصل يعنى مجموع الأجزاء. ومن ثم فاليوم الآخِر (بكسر الخاء) هو الذى يبدأ بعصر الأشراط العظمى والآيات وينتهى بدخول الجنة أو النار والعياذ بالله منها.

(٢٢) تَصْنِيفِى للأحداث السابقة على الساعة إلى أشراط وأمارات وعلامات وآيات:

وردت مقدمات الساعة بأكثر من اسم:ـ أشراط الساعة، وعلامات الساعة، وأمارات الساعة، وآيات الساعة.

وجميع هذه الأسماء تُطلق على الأحداث التى تسبق الساعة وتدل على قرب وقوعها بدرجات متفاوتة فى القرب. ومن هذه الأحداث ما هو فلكى، ومنها ما هو طبيعى أو چيولوچى أو حيوى، ومنها ما يحدث بأفعال، البشر كالأحداث التاريخية، وهذه الأخيرة منها ما هو صناعى تقنى حضارى ومنها ما هو سياسى أوعسكرى أواقتصادى، ومنها ما له صبغة خلقية كشيوع الفساد وإباحة الفحشاء وانتشار الجرائم وطغيان الظلم وغلبة الشر، ومن هذه الأصناف جميعا ما هو من الأشراط ومنها ما هو من العلامات ومنها ما هو من الإمارات ومنها ما هو من الآيات.

وقد قسم بعض العلماء الأشراط إلى ما هو بعيد فى الزمان عن الساعة وأطلقوا عليه الأشراط الصغرى، وما هو قريب جدا من الساعة أى ما يحدث قبل وقوعها مباشرة وبزمن قصير وأطلقوا عليه الأشراط الكبرى.

ونعزف عن هذا التقسيم لأسباب ونَلتزم بما ورد منسوبا فى الكتاب والسنة إلى الساعة ونُصنِّف مقدماتها على أساسه، أى نصنفها إلى الأشراط والأمارات والأعلام والآيات.

أما عن لفظ الأشراط فهو أعمها حتى أنه يكاد يتضمن بعضها، وقد ورد هذا اللفظ فى قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد/ ١٨] ومجيء الأشراط متمثل فى بعث النبى المصطفى الخاتم ﷺ، لأن بعث آخر الرسل والأنبياء ونزول آخر الكتب دليل على قرب انتهاء أجل البشرية، فهو شرط من أشراطها ومن هذا قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر/ ١] فانشقاق القمر الذى حدث فى العهد المكى شرط من أشراطها. ويمكننا أن نَتَيَقَّن من أن بعث المصطفى الخاتم ﷺ دليل على قرب انتهاء الدنيا إذا علمنا أن عدد الأنبياء من لدن آدم إلى خاتمهم صلى الله عليهم جميعا وسلم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا (فعن أبى ذر قال: قلت يارسول الله كم المرسلون؟! قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا) (١) وفى رواية أبى أمامة (قال أبو ذر: قلت يارسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا) (٢) فعمر الإنسان فى الأرض طويل جدا، ربما يُقَدَّر بعشرات الألوف من السنين إن لم يكن بمئات الألوف من السنين، ومن ثم قال النبى ﷺ(بُعثت أنا والساعة كهاتَيْن) وأشار بإصبعية الشريفين السبابة والوسطى. وقال ﷺ (بُعثتُ فى نسم الساعة) (٣) وعن ابن عمر رضى الله عنهما (قال: كنا جلوسا عند النبى والشمس على قُعَيْقعَان(*) بعد العصر فقال: ما أعماركم فى أعمار من مضى، إلاَّ كما بَقِىَ من النّهار فيما مضى منه) (٤).

وقال ﷺ أيضا (بعثتُ أنا والساعة جميعا، إن كادت لتسبقنى) (٥).

هذه الأحاديث جميعا تفسير لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾

(١، ٢) رواه أحمد فى المسند /ح٢١٠٩٦،/ح٢١٨٤٥.

(٣) ذكره الألبانى فى الصحيحة (٢/ ٤٤٨) ح (٨٠٨) وعزاه للدولابى فى الكنى وابن منده فى المعرفة.

(*) جبل بجنوب غرب مكة.

(٤) مسند الإمام أحمد - /ح٥٩١١.

(٥) مسند الإمام أحمد -حديث بريد الأسلمى /ح ٢٢٤٩٧.

[الأحزاب/ ٦٣] ولقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء/ ١]. ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ [٦-٧ المعارج].

فى كل هذه النصوص المنزلة تكمن حقيقة أن الزمن خادع إذ يوهم تسلسله ودوام تتابعه فى حس البشر باستبعاد النهاية كأنه أبدى، فإذا انقضى الأجل أدرك الإنسان الفرد على الفور أنه لم يعش غير ساعة، أى أنه لم يلبث فى الدنيا إلا وحدة زمنية واحدة، تلك هى خدعة تكرارها ودورانها. وكما يكون هذا إدراك الفرد بعد موته، تدركه البشرية جمعاء يوم البعث ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ ﴾ [الأحقاف/ ٣٥] بل إن المجرمين يقسمون على أنهم لم يلبثوا غير ساعة.

إن انتهاء الدنيا أمر حتمى، ومن ثم فإن الساعة، التى هى لحظة إنتهائها، آتية لا محالة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه/ ١٥]

وحيث إن أشراط الساعة هى الأحداث التى تسبقها، وهى مما علمناه من الوحى القديم والأخير، وهى تدل دلالة يقينية على قربها ومن ثم لم يقل سبحانه وتعالى (أخفيها) بل قال: (أكاد أخفيها) إشارة إلى الأمارات التى تدل على قرب وقوعها.

(٢٣) تصنيف العلماء الأشراط إلى صغرى وكبرى حسب البعد والقرب الزمنى من الساعة ومبررات رفضى لهذا التصنيف:

ومن ثم فلفظ الشرط يصدق على كل الأحداث التى حدثت وتحدث وستحدث منذ بعث النبى ﷺ إلى أن تقوم الساعة باعتبار أنها جميعا مقدمات وسوابق وأوائل لها، إلا أنه يخص ما هو بعيد عنها فى الزمن أى منذ بعث النبى ﷺ وهجرته ودخول الناس فى دين الله أفواجا، ثم الأحداث التى تلت وفاته ﷺ بين الصحابة ثم بين التابعين، ثم الأجيال التى توالت بعد هذا الجيل، هذه الأحداث المتسلسلة والمتتابعة بعضها على أثر بعض كل هذه الأحداث هى الأشراط الصغرى عند بعض العلماء. ولكن المصطلح الأدق اعتبارها أشراطا واعتبار القريب من الساعة علامات وأمارات وآيات.

فالأشراط تختص بما هو بعيد من الساعة من الأحداث، أما ما هو قريب منها فقد ورد ذكره فى الأحاديث بأسماء أخرى، وهى العلامات والأمارات والآيات.

وقد خلط العلماء بين هذه المصطلحات فلم يُمَيِّزواُ بينها، ولم يفرقوا بين استخداماتها كما وردت فى الكتاب والسنة. ومن ثم لجأوا إلى التفريق بين ما هو بعيد منها وما هو قريب. بأن الأولى هى الأشراط أو العلامات الصغرى، وأن القريبة من زمن الساعة هى الأشراط أو العلامات الكبرى.

ولكن بتقصى استخدام هذه الكلمات مضافة للساعة فى الكتاب والسنة توصلتُ - بفضل الله تعالى وحده - إلى التمييز بين استخداماتها نتيجة لبروز فروق فى هذه الاستخدامات متوافقة مع الفروق اللغوية بينها، تجعلنا نستغنى عن تصنْيف الأحداث السابقة للساعة إلى صغرى وكبرى، لما لهذا التصنيف الثنائى من لبس وغموض وتَعارض، لأن من الأحداث البعيدة عن الساعة ما يوصف بالعظمة والأهمية التاريخية القصوى، ومع هذا فهو يوصف بأنه من الأشراط الصغرى مثل موت رسول الله ﷺ الذى هو أعظم مصيبة فى حياة الأمة إلى قيام الساعة، ومثل فتح بيت المقدس الذى يعتبر من أعظم أحداث التاريخ الإسلامى، وهو بلا شك إذا اعتبرناه من الأشراط، فهو من الأشراط العظمى، رغم أنه بعيد زمنيا عن الساعة، كما أن من الأحداث التى تسبق الساعة بزمن يسير، ما ليس له تأثير تاريخى يذكر ومن ثم لا يعد من العظمى أو الكبرى، وهذا وذاك يدل على أن هذا التصنيف غير دقيق وغير مطابق للواقع التاريخى لأحداث الأشراط، إذ ليس ثمة علاقة بين حجم الحدث وبين قربه أو بعده من الساعة والصِّغَر والكِبَر وصفٌ لحجم الشرط أو الحدث وليس له علاقة بالقرب والبعد أو بالعلاقة الزمنية بالساعة.

ولعل السبب فى تسمية الأحداث القريبة من الساعة بالكبرى هو اشتهار هذه الفترة الزمنية فى آخر عمر البشرية بما فيها من الآيات العشر، وبالفتن المهلكة وبالملاحم العظيمة، فاعتبروا هذه الأحداث أكبر وأعظم أثرا من غيرها ، وهى وإن كانت عظيمة، إلا أن غيرها من أشراط الساعة المصاحبة لها من الأحداث الصغيرة

قليلة الأثر فى حياة البشر وهى تعاصرها فى الزمان، كما ثبت من أحداث التاريخ الإسلامى والعالمى بعد بعث المصطفى ﷺ ما هو عظيم وكبير الأثر فى حياة البشر.

(٢٤) الفروق اللغوية والاصطلاحية بين الأشراط والعلامات والأمارات والآيات :-

لفظ الشرط هو المضاف الرئيسى للساعة حسب علمنا لأن ما ورد فى القرآن الكريم فى قوله: ﴿... فقد جاء أشراطها﴾ وأيضا ورد لفظ ﴿علمٌ للساعة﴾ أو﴿عَلَمٌ للساعة﴾ فى قوله تعالى عن المسيح عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف/ ٦١] وقُرئت ﴿وإنَّه لَعَلَمٌ لِّلسَّاعةِ﴾ بفتح العين واللام وكلاهما بمعنى الشرط والعلامة والدليل، لذلك استخدم كثير من العلماء لفظ علامات الساعة بدلا من أشراط الساعة، أو معها.

وكذلك ورد لفظ «الأمارة» مضافاً للساعة فى حديث سؤال جبريل عليه السلام المصطفى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان الذى جاء فى آخره سؤال جبريل للنبى ﷺ (فأخبرنى عن الساعة)؟.

قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

قال: فأخبرنى عن أماراتها ـ يعنى أعلامها ـ؟

فقال: أن تلد الأمة ربتها...)[1] إلى آخر الحديث.

وفى رواية (فما أمارتها؟)[2].

فالأمارة هى العلامة. والأمارات هى العلامات أو الأعلام. وكلها أحداث تسبق الساعة وتدل على القرب الشديد لها.

---

(١) صحيح مسلم / ك الإيمان / ب بيان الإيمان والإسلام والاحسان ح٥٩.

(٢) كتاب الإيمان لابن منده حـ١ حديث ٦ ص ١٣٢

كما ورد عن أهم وأخطر الأحداث التى تسبق الساعة مباشرة لفظ الآيات مضافا للساعة فى حديث الآيات إذ جاء فيه قوله ﷺ (إن الساعة لن تكون حتى تكون عشر آيات.)[1] إلى آخر الحديث.

والآية فى اللغة هى العلامة، وهى الدليل الواضح القوى، ومن ثم أصبح لدينا أربعة مصطلحات كلها دلائل على الساعة: أشراط وأمارات وعلامات أو أعلام وأخيرا آيات الساعة. فما هو الفرق بين كل منها؟!

عند مدرسة رئيسية من مدارس اللغة لا مترادفات متطابقة فى اللغة العربية بمعنى أن الألفاظ التى يظن البعض أنها مترادفات، ليست مترادفات إذ أن بينها فروقاً لغوية، لأنها، وإن اشتركت فى جزء من المعنى، وهو أن كل واحد منها يدل على أن الساعة آتية، وأنها تقترب رويداً رويداً ، إلا أن كل لفظ منها له، مع هذه الدلالة المشتركة بينها، ما يخصه من المعنى ومن الدلالة، لا يشاركه فيهما غيره.

ويمكن أن نتلمس هذه الفروق اللغوية بين هذه المصطلحات الأربعة من خلال استعمالها فى الكتاب والسنة على النحو التالى:-

أولا: الأشراط

ورد هذا اللفظ فى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد/ ١٨] ومجىء الأشراط فى الآية متمثل فى بعث المصطفى الخاتم ﷺ لأن بعث خاتم النبيين الذى لا نبى بعده دليل على قرب انتهاء أجل البشرية، فهو إذن شرط من أشراطها لا تنتهى الحياة إلا بعد تحققه، ومعنى أنه تحقق، اقتراب الساعة.

فالأشراط تخص إذن ما هو بعيد وما هو قريب، لأن الشرط هو الذى يتوقف مجىء المشروط على حدوثه أولا.

---

(١) صحيح مسلم ك/ الفتن وأشراط الساعة ب/ فى الآيات التى تكون قبل الساعة/ح ٧٢٣١.

ثانيا: الأمارات:

أمارات الساعة من الأشراط وقد ورد لفظ الأمارة فى سؤال جبريل عليه السلام عن أمارات الساعة فجاء رد النبى ﷺ بذكر إثنتين هما:

١ ـ أن تلد الأَمَةُ ربَّتها.

٢ ـ أن ترى الحفاة العراة رعاء الشاه يتطاولون فى البنيان).

وهذان الحدثان من السمات الحضارية والظواهر الاجتماعية التى تظهر وتستمر، الأولى ـ كما سنعلم هذا بعد ـ بإذن الله تعالى ـ من مظاهر التقدم الطبى والتقنى وفى مجال علم الأجنة وعلوم الحياة بصفة خاصة، والثانية أيضا سمة حضارية فى مجال تقدم هندسة التشييد والبناء، ومن ثم فليست الأمارة من قبيل الأحداث التاريخية الفردية التى تحدث مرة ثم لا تعود بعينها، بل هى الظاهرة المتكررة وهى صبغة حضارية وسمة مدنية وظاهرة اجتماعية تقوم وتستمر، فهى وإن كانت من الأحداث السابقة على الساعة كالأشراط، إلا أنها تتميز عن الأشراط بأنها من أوائل الساعة، أى أنها تحدث بين يدى الساعة وتدل على القرب الشديد لها، لأن سؤال جبريل للرسول ﷺ كان أولا عن موعد قيام الساعة بقوله (فأخبرنى عن الساعة؟، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرنى عن أماراتها ـ يعنى أعلامها ـ فقال: أن تلد الأمة ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان).

قوله ﷺ: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) دليل على أن الاستفهام كان عن موعد وقوع الساعة سنتها وشهرها ويومها.

ومن ثم فإن السؤال عن أماراتها هذا الذى جاء عقب هذه الإجابة إنما هو استفهام عن الأشراط التى تسبق وقوعها مباشرة أى عن أحداث آخر الزمان والعصر الأخير من عصور الدنيا.

وعلى هذا فالأمارة من أحداث آخر الزمان بعامة والذى يحمل السمات الحضارية والظواهر الاجتماعية منها بخاصة.

ثالثا: العلامات

تحتمل علاقة الشرطية فى اللغة التراخى بين الشرط والمشروط، كما تحتمل التتابع والتوالى سواء بسواء، كأن تقول: إذا نزل المطر غزيرا جاء محصول الشعير وفيراً. أو تقول: إذا تعلم أكثر أبناء الشعب ازداد الوعى، وحدث الرخاء، فالأول على التراخى خلال الموسم والأخير على التراخى خلال الجيل أى عشرات السنين.

أما على التتابع كأن تقول: إذا ارتفعت الشمس فى كبد السماء اشتدت حرارتها.

أمَّا العلامة فإنها إمَّا أن تصاحب الحدث أوتدل على القرب الشديد لحدوثه فهى تتبعه كظله، لأن علامة الشىء معه أو قبله بقليل، فهى من هذا الوجه كالأمارة من حيث قربها الشديد للساعة، إلا أنها ربما تخص الأحداث الفردية دون الظواهر المتكررة. ومن ثم جاء تفسير أماراتها فى الحديث يعنى أعلامها. فالعلامات هى الأحداث الواقعة فى آخر الزمان والمنذرة بقرب وقوع القيامة، أو مجىء الساعة، وتصدق أكثر ما تصدق على أحداث تاريخية غير متكررة، أو ظهور شخصيات بعينها أو حدوث فتنة معينة، مما جاء وصفه فى النصوص، أو ملحمة من الملاحم فى موضع معين، وبين أقوام محددين.

ومثل هذه الأحداث، إذا كانت فى آخر الزمان، فهى من العلامات، وإذا كانت فى العصور البعيدة عن الساعة فهى من الأشراط.

أما إذا كانت لها صفة الدوام والاستمرار والتكرار والاضطراد والزيادة مع تقدم الزمن كالسمات الحضارية والظواهر الاجتماعية والعادات السلوكية والأدوات والآلات الصناعية فهى من الأمارات.

رابعا: الأمَارة والفروق اللغوية بينها وبين العلامة:

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (أمر: الهمزة والميم والراء، الأمر من الأمور، والأمر ضد النهى، والأَمَر بفتح الميم النمَّاء والبركة، والمعْلَم، والعَجَب)[1] وما يخص موضوعنا هما الأصلان الرابع والخامس أى المعلَم والعَجَب وجمعه

---

(١) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة حـ١ ص١٣٧.

أمارات أى معالم، فإذا أردنا أن نفرق بين الأمر وبين العلامة دخل عنصر العجب أى أن أمارات الساعة ليست معالم وعلامات معتادة معلومة، لأنها، وإن كانت عادية لأهل زمانها، فإنها غريبة لأهل الأزمنة السابقة ومثيرة للعجب أيضا لأهل زمانها. والمعلم ليس مجرد دلالة وإنما أكثر، لأنه عند العرب الموعد، قال ابن فارس (وأما المعلم الموعد فقال الخليل: الأمارة الموعد) (وقال الأصمعى: الأمارة العلامة تقول: اجعل بينى وبينك أمارة وأماراً) (يقال جعلتُ بينى وبينه أماراً ووقتا وموعداً وأجلاً، كل ذلك أمارة، فالأمارات تجمع بين عدةعناصر فى معناها أهمها:

(١) الموعد، وهذا يدل على شدة قربها من الساعة حتى كأنَّ حدوث الأمارة هو موعد الساعة أو هو مجىء وقتها.

(٢) العلامة لأنها دليل عليها.

(٣) العَجَب بما يفيد أن الأحداث ستكون غريبة على الإنسان، لم يعهدها من قبل فالأمارات عجائب والدليل على هذا أن الرسول ﷺ أطلق على واحدة من هذه الأمور العجيبة التى تحدث فى آخر الزمان أمارة، فقد جاء فى حديث طويل عن أبى هريرة (قال النبى ﷺ إنها أمارة من أمارات بين يدى الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده)[١].

وما السوط والنعل الذى يحدثه بما فعل أهله من بعده إلاالتليفون المنزلى السلكى والتليفون المحمول على التوالى فالرجل يخرج من منزله ويغيب عن أهله وأبنائه فى شغل أو فى سفر فيتصل بأهله ليطمئن عليهم وليسأل ماذا فعلوا وماذا أتموا وهكذا. فهو عليه الصلاة والسلام لم يطلق عليها علامات أو أشراط وإنما أطلق عليها أمارات وقال: (إنها ستكون أمارات بين يدىْ الساعة) أى أمارات كثيرة قبل الساعة مباشرة لأن ما يكون بين يدى الشىء أو الإنسان هو الذى أمامه مباشرة حتى يكاد يلتصق فيه، وذكر واحدة من هذه الأمارات. كمثال لها، فقال بالتليفون السلكى والمحمول. لأن السلكى هو أشبه بالسوط الذى هو أشبه بالسلك وفى آخره كتلة سميكة من الشعر.

---

(١) رواية الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة حديث ٧٩٧٧.

أما المحمول فهو أشْبَه ما يكون بالنعل. وهذا أمر عجيب أن يخبر النعل صاحبه بما فعل أهله من بعده، ومن ثم أطلق عليها أمارات ولم يطلق عليها آيات، لأنها ليست أمورا خارقة للعادة، بل هى أمورعجيبة بالنسبة لزمن الصحابة والذين من بعدهم، وهى عند أهل زمانها عجيبة لأول ظهورها ثم لا تلبث أن تصبح معتادة لا غرابة فيها وبخاصة بالنسبة للجيل الذى يتعامل معها منذ الطفولة.

وأطلق ﷺ على ولادة الأمةُ رُبَّتَها أمارة، وكذلك تطاول الحفاة العراة فى البنيان لأنهما تعبران عن سمات حضارية فى الطب والبناء كما سنرى هذا بعد بإذن الله تعالى فى أمارات الساعة العلمية والتكنولوجية والطبية فى الجزء الثالث من هذا الكتاب.

خامسا: الآيات والفروق التى بينها وبين كل من الامارات والعلامات:-

الآية فى اللغة هى الدليل وهى العلامة أيضا، والآية من القرآن الكريم كأنها العلامة التى تهدى إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة لهداية المسافر حتى لا يضل الطريق، وهى أيضا آية، لأنها معجزة، لأن كل كلام الله آيات أى معجزات.

والآيات أيضا العبر،كقوله تعالى: ﴿**لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين**﴾ والآية المعجزة كما قال تعالى:: ﴿**وجعلنا ابن مريم وأمه آية**﴾ أى معجزة ولم يقل سبحانه عن عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام آيتين لأن مجيئه منها من غير أب هو المعجزة وهو حدث واحد مفرد.

المعنى الزائد فى لفظ الآية عن الثلاثة: الشرط والعلامة والأمارة هو أنها تحتمل أن تكون أمراً خارقا للسنن مخالفا للطبائع والنواميس السارية فى الكون والأشياء والأحياء كالمعجزات فى حين لا تحتمل الألفاظ الثلاثة الأخرى هذا العنصر.

ومن ثم لم ترد الأحداث التى أجراها الله تعالى على أيدى الرسل والأنبياء مخالفة للسنن باسم المعجزات، ولا مرة واحدة وإنما جاءت فى القرآن الكريم باسم الآيات لأنها بالنسبة للقدرة الإلهية متساوية مع الأمور المعتادة سواء بسواء، وإنما هى

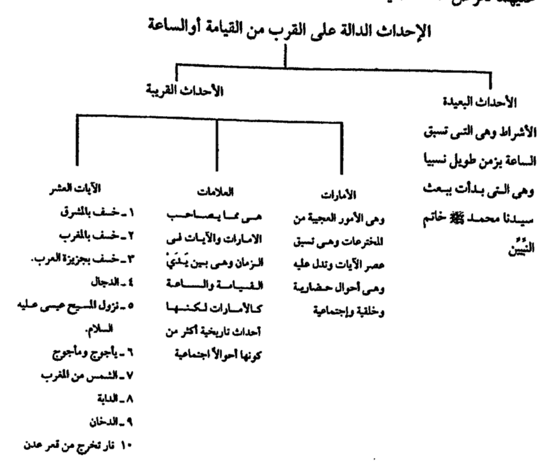
معجزات بالنسبة لاستطاعة البشر، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف/ ٧٣] فأطلق سبحانه على الناقة التى إنفتق عنها الجبل آية أى معجزة لأن مجيئها مخالف لسنن الحياة.

فالآيات المنسوبة للساعة إذن هى أشراط، ولكنها تتميز عن سائر الأشراط والأمارات والعلامات بأنها خارقة لسنن الكون والحياة.

وهذا ما تؤكده الآيات القرآنية التى ورد فيها ذكر آيات الساعة، وكذلك الأحاديث النبوية التى نبأت عنها. قال تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨)﴾ [الأنعام]. وذكر المفسرون أن تأويل قوله تعالى: (بعض آيات ربك) طلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة من الأرض تكلم الناس، والدخان الذى يأتى من السماء، وهى التى ينغلق بحدوثها باب التوبة.

وقد سبق تفصيل الكلام عن الآيات العشر فى الجزء الأول.

ولبيان تصنيف(١) الأحداث السابقة على القيامة الصغرى ثم الساعة والدالة عليهما نعرض هذا التصنيف.



---

(١) هذا التصنيف يختلف عن التصنيف الوارد فى الجزء الأول ولكنه لايتعارض معه وانما يفصله ويوضحه وعلى كل حال فهذا التصنيف ينسخ الذى قبله.

الباب الثالث

حجب علم الساعة

وكشف علم الأشراط

الفصل الأول: لايعلم الساعة إلا الله تعالى وحده ولم يظهر أحداً من خلقه على وقت وقوعها.

الفصل الثاني : الاصول الاعتقادية لاشراط الساعة أو علم المستقبل في الكتاب والسنة.

الفصل الأول

لايعلم وقت الساعة إلا الله تعالى وحده

٢٥ـ لايعلم وقت الساعة إلا الله تعالى وحده ، ولم يظهر احداً من خلقه على وقت وقوعها

(٢٥) لايعلم الساعة إلا الله تعالى وحده، ولم يظهر احداً من خلقه على وقت وقوعها

لقد أكثر الناس من سؤال الرسول ﷺ عن موعد الساعة، فكان يرد عليهم دائماً بما يؤكد لهم أن هذا من الغيب الذى لايعلمه إلا الله وحده، وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٧]. فسؤال السائلين هنا عن وقتها الدقيق بالتفصيل أى عن يوم وقوعها وفى أى ساعة ودقيقة ستقع، أو بعد كم عام وكم شهر وكم يوم من وقت سؤال السائل فإذا بالإجابة تؤكد أن رسول اللهﷺ، لايعلمها وإن علمها عند الله تعالى وحده قال تعالى أيضاً﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴾[الأحزاب/ ٦٣] وقال تعالى أيضاً﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ [النازعات/ ٤٢-٤٤]. فقوله سبحانه فى آية الأعراف﴿لا يُجَلِّيهَا﴾ أى لايظهر ويكشف خفاءها فى وقت وقوعها إلا هو سبحانه،وقوله تعالي﴿وثَقُلَتْ﴾ أى عظمت وجلت عن أن يعلم كل الخلق فى السموات والأرض وقت وقوعها[1] ويؤكد عدم معرفة رسول الله ﷺ وقت وقوعها قوله تعالى فى آية الأحزاب ﴿عِندَ اللَّهِ﴾أى ليس عندى، وإنما هو عند الله تعالى مما استأثر به من علم الغيب، فلم يطلعنى عليه،و جاء التأكيد الثانى لهذا المعنى فى قوله تعالي﴿ومَا يُدْرِيكَ﴾أى أنت مثلهم فى هذا الأمر لاتدرى وقتها الذى قد يكون قريباً وقوله تعالى : فى آيات النازعات﴿ فيم أنت من ذكراها﴾أى فيم أنت من استحضارها والنطق بوقتها وإعلامهم بها، فإن كل ذلك بعيد عنك، وليس فى مقدورك، وقوله تعالي﴿إلىٰ ربِّك منتهاها ﴾أى منتهى علم وقت حصولها إلى الله تعالى وحده

---

(١) تفسير الجلالين.

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾(فصلت/ ٤٧)وقال تعالى أيضاً﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(الزخرف/ ٨٥) ولاشك أن قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، وقوله تعالى ﴿وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ تأكيد بأن الله تعالى لايشاركه في هذا الأمر غيره، فالآية الأخيرة جمعت ثلاث من خصائص الربوبية ممالايجوز إلا لله عزوجل ولايشاركه فيه غيره لاباسم الصفة ولابحقيقة الصفة.

الأولى : أنه مالك السموات والأرض وما بينهما.

الثانية: أنه سبحانه عنده علم الساعة

الثالثة: إليه يرجع الناس جميعاً.

فإذا كان استئثار الله تعالى بعلم الساعة خاصية بين خاصيتين لله تعالى لايشاركه فيهما غيره ولايجوز أن يوصف بهما غيره حتى ولاعلى سبيل المجاز،وبأي معنى من المعاني، فإن علم الساعة هو من علم الله تعالى الذي يَخُصُّه وحده،ولا يشاركه فيه غيره مهما كان هذا الغير مقرباً إلى الله عزوجل، جاء في الحديث الشريف:«خمس لايعلمهن إلا الله ثم قرأ:﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤](١) **وقال ابن كثير**:«ولما جاء جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة أعرابي فسأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان أجابه ﷺ عن ذلك فلما سأله عن الساعة قال له: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال : أخبرني عن أشراطها؟ فأخبره عن ذلك»(٢)

وقال القرطبي : «فاما وقتها فلا يعلمه إلا الله وفي حديث جبريل: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» الحديث اخرجه مسلم.

---

(١)الحديث رواه البخاري وأحمد بن حنبل عن بريدة.

(٢)ابن كثير/ النهاية ،المجد ص ٣٢

وكذلك روى الشعبى قال : « لقى جبريل عيسى عليه السلام فقال له عيسى : متى الساعة؟ فانتفض جبريل عليه السلام فى أجنحته وقال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل »(١)

وقد سألوا النبى ﷺ قبل موته بشهر عن موعد الساعة فقال: «تسألونى عن الساعة؟» وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ماعلى الأرض من نفس منفوسة تأتى عليها مئة سنة»(٢)

وحتى المسيح عيسى بن مريم ﷺ لايعلم موعد الساعة وهو من آيات الله العشر التى تقع بن يديها **فعن عبد الله بن مسعود** رضى الله عنه عن النبىﷺ قال: «لقيت ليلة أسرى بى موسى وعيسى، قال : فتذاكروا الساعة، فردوا امرهم إلي إبراهيم ، فقال : لاعلم لى بها، فردوا الأمر إلى موسى فقال: لاعلم لى بها، فردوا الأمر إلى عيسى فقال: أما وجبتها فلايعلمها أحد إلا الله، وفيما عهد إلى ربى أن الدجال خرج ، قال : ومعى قضيبان، فإذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص، قال : فيهلكه الله»(٣).

ومعنى قوله: أما وجبتها فلايعلمها أحد إلا الله، أى: وقتها الدقيق الذى تقع فيها ولاتَتَخَطَّاه بلحظة واحدة، وفى رواية ابن ماجه لهذا الحديث وهى رواية طويلة جاء فى نهايتها قول عيسى عليه السلام بعد ذكر إهلاك الله عزوجل ليأجوج ومأجوج« ففيما عهد إلى ربى عزوجل: إن كان ذلك كذلك، فإن الساعة كالحامل المتم لايدرى أهلها متى تفجأهم»(٤)

والحامل المتم يكاد أهلها أن يتوقعوا مولدها على مدى الشهر او الأسبوع. وربما اليومين أو الثلاثة لكنهم يعجزوا عن معرفة الوقت واليوم الذى تلد فيه على سبيل التحديد الدقيق، أى على مستوى الساعة والدقيقة، والحديث يتضمن نَفْى العلم

(١) القرطبى/ التذكرة ص ٦٢٤.

(٢) رواه مسلم، ك فضائل الصحابة، باب معنى قوله ﷺ :« على رأس مئة سنة لايبقى نفس منفوسة.

(٣) مسند الإمام احمد ج٥ ص ١٨٩.

(٤) ابن كثير / البداية ج١ص ١٩٠، وعزاه لابن ماجه،وعزاه إلى مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعودر ضى الله عنه.

بتاريخ ووقت وقوع الساعة عن أولى العزم من الرسل محمد وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام جميعاً

لأن الرسول الخاتم ﷺ هوالذى يقص علينا ماكان من مذاكرتهم للساعة وسؤالهم عن موعدها، فلو كان نبينا الخاتم يعلم لأخبرهم، أما وقد انتهى الثلاثة إلى أن الله تعالى وحده،والنبى الخاتم ينقل لنا هذا المعنى مخبراً بإقرار المسيح بن مريم عليه السلام بعدم علمه بموعد الساعة وأنه لايعلم (وجبتها)، فإنه أيضا لايعلمها.

وفى النهاية لابن كثير: أما حينها فلايعلم به أحد إلا الله.

فهؤلاء الأربعة الكرام أولو العزم من الرسل، وهذا دليل نقلى آخر على أن علم الساعة استأثر الله به فى علم الغيب عنده ولم يطلع عليه أحد، لانبى مرسل، ولاملك مقرب. **قال ابن كثير فى التفسير:** «فهذا النبى الأمى سيد الرسل وخاتمهم صلوات الله عليه وسلامه نبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملحمة والعاقب والمقفى والحاشر الذى تحشر الناس على قدميه، ومع قوله فيما ثبت عنه فى الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رضى الله عنهما: « بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقرن بين أصابعه السبابةو التى تليها» **ومع هذا له** قد أمره الله تعالى أن يرد علم وقت الساعة إليه،إذا سئل عنها فقال﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف/ ١٨٧).**كل هذا** يرفض وينقض نقضاً قاطعاً ماتردد عند بعض المتأخرين من أصحاب البدع الذين رددوا قولاً لادليل عليه من نقل أو عقل بل اجتمعت على نفيه أدلة النقل والعقل، وهذا القول هو أن الله تعالى قد أطلع رسوله وحبيبه وخاتم رسله على مَوْعِد الساعة.

وهذا مما شاع فى القرون المتأخرة التى ساد فيها الفكر الصوفى، وهذه القرون التى انتشرت فيها البدع الفكرية والاعتقادية والسلوكية،وهذه من البدع الاعتقادية،التى ساعد على انتشارها حب الأمة الشديد لنبيها الخاتم ﷺ.

ولكن هذا من الغلو فى الدين، وهو من الخطأ الفادح، ولايشفع له حب النبى ﷺ، لأنه مخالفة اعتقادية لكتاب الله تعالى ولسنة نبيه ، وهكذا قد ثبت لنا

بالنصوص التى تنفى العلم بوقت الساعة عن كل الخلق: الرسل أولى العزم والملائكة المقربين عليهم السلام جميعاً حتى إسرافيل نافخ الصور الذى ينتظر الأمر بالنفخ فى الصورولايعلم متى يؤمر.

وممن وقعوا فى هذ الخطأ البرزنجى صاحب كتاب«الإشاعة فى أشراط الساعة» إذ قال عن وقت الساعة: «وإنها لاتجئ إلا بغتة كما قال تعالى ، وقد استأثر بعلمها،ولم يعلما أحد من خلقه، وعلَّمَها النبىﷺ ونهاه عن الإخبار بها تهويلاً لشأنها وتعظيماً لامرها»(١)

ولا شك أن هذا تناقض من البرزجى وقع فيه،وإذ صرح بأن الله تعالى استأثر بعلمها، ومع هذا واستثنى فصرح بأنه سبحانه أعلمها النبى ﷺ، من غير أن يأتى بالدليل النقلى على هذا الاستثناء، إذ لا يصلح عند الأصوليين فى هذا المقام إلا الدليل النقلي، ومن المحال وجود الدليل النقلى الصحيح لأن الآيات القرآنية المحكمة والأحاديث الصحيحة دلت على أن الله تعالى حجب علم الساعة: أى وقت قيامها الدقيق: السنة والشهر واليوم والساعة والدقيقة والثانية عن كل خلقه، فمن زعم أنه سبحانه وتعالى استثنى الرسول ﷺ فعليه أن يأتى بالدليل من القرآن الكريم، وحيث ان هذا على فرض وجوده ـ يكون متناقضا مع الآيات النافية للاستثناء، وحيث أنه من المستحيل التناقض او الاختلاف بين آيات الذكرالحكيم، فإنه يستحيل أن يوجد نص من الوحى قرآناً أو سنة يفيد علم الرسول ﷺ بوقتها.

وقد قام العلماء بالردود المفصَّلَة على هذا الزعم بالنقل والعقل منهم ابن القيم الذى قال :«وقد جاهر بالكذب بعض من يدعى فى زمان العلم،وهويتشبع بما لم يعط، وأن رسول الله ﷺ، كان يعلم متى تقوم الساعة، وقيل له: فقد قال فى حديث جبريل: «ماالمسؤول عنها بأعلم من السائل»، فَحَرَّفَهُ عن موضعه وقال : معناه أنا وأنت نعلمها، وهذا من أعظم الجهل وأقبح التحريف، والنبيﷺ أعلم بالله من أن يقول لمن كان يظنه أعرابياً: أنا وأنت نعلم الساعة، إلاّ أن يقول هذا الجاهل أنه كان يعرف أنه

---

(١) البرزنجى/ الإشاعة لأشراط الساعة ص ٣، طبعة عبد الحميد أحمد صفى، القاهرة، بدون تاريخ

جبريل ورسول الله ﷺ هو الصادق في قوله قال «والذى نفسى بيده ماجاء فى صورة إلا عرفته غير هذه الصورة،وفى اللفظ الآخر« ماشُبِّه عَلَىَّ غير هذه المرة»،وفى اللفظ الاخر:« ردوا على الأعرابى فذهبوا فالتمسوه فلم يجدوا شيئا»، إنما علم النبيﷺ أنه جبريل بعد مدة ثم فى قوله فى الحديث : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل شأنهما كذلك»[1]

وأما الإمام السيوطى رحمه الله فقد صرح بأن الساعة تقع فى خلال القرن الخامس عشر او نهايته على الأكثر استنباطاً من عدة نصوص.

قال هذا فى رسالة بعنوان« الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف»[2]، والتى حررها رداً على الحديث الذى شاع بين الناس حينئذ وهو: أن النبي ﷺ لايمكث فى قبره ألف سنة»، أى أن الساعة تقوم قبل ان يمر على يوم وفاته ألف سنة، فصرح السيوطى مجيباً السائل عن قوة هذا الحديث بأنه باطل لاأصل له.

ثم استرسل فى الرسالة ليثبت بالاثار والنصوص أن مدة هذه الأمة تزيد عن ألف سنة، وحيث ان السيوطى توفى عام ٩١١هـ فإن هذا البيان الذى قدمه فى هذه الرسالة كان له الأهمية القصوى للمسلمين حينئذ، بيد أن السيوطى لم يقتصر فى الرسالة على العنوان الذى وضعها له، إذ تَعَدَّى هذا الهدف إلى موضوع آخر تماماً هو ان الساعة، إن لم تكن قائمة قبل نهاية الألف،فإنها ستقوم قبل نهاية الخمسمائة بعد الألف.

ولاشك ان السيوطى قد اصاب فى استنباطه بأن عمر الأمة يتعدى الألف، بناء على أن الأشراط العظمى كالدجال ونزول المسيح عليه السلام وخروج الشمس من مغربها لم تحدث بعد، وهذه كلها عنده تقع قبل الساعة بمائة سنة على الأقل بدلالات بعض الآثار، ولما كان الزمن الذى كتب فيه السيوطى الرسالة هو آخر القرن التاسع،أو

(١) ابن القيم/ المنار المنيف/ تحقيق الشيخ أبو غدةص ٨١.

(٢) مشورة فى كتاب / الحاوى للفتاوي/ طبعة دار الكتب العلمية/ بيروت ، ج٢ ص ٨٦/ ٨٩.

أوائل القرن العاشر، أى السنين العشرة الأخيرة من حياته،ولم يكن قد خرج حينئذ المهدى او الدجال فقد جزم بأن عمر الأمة يتجاوز الألف.

أما قوله بأنها لن تتعدى الخمسمائة بعد الألف ففيه نظر واحتمال الخطأ فيه وارد ، بل الأرجح أنه أخطأ فى هذا الأجتهاد.

اولا: لانه بنى الاجتهاد على استنباط من آثارغير صحيحة، إذفيها ماهو ضعيف جداً، وفيها ماهو ضعيف ، وفيها ماجاء بطرق صحيحة،ومعلوم ان مثل هذه الموضوعات الغيبية لاينفع فيها إلا القوى، أو على الأقل الضعيف المنجبر.

ثانيا : أن اجتهاده الأخير هذا غير اجتهاده بالنسبة لموضوع الرسالة الأساسى الذى يدل عليه العنوان،وهواجتهاد موفق اصاب فيه،وساعده على هذا معاصرته لنهاية القرن التاسع وبداية العاشر، إذ من المسلم به، أن ماكان مدعماً بالواقع التاريخى فى مسائل الأشراط وعلم المستقبل فهو من القوة بمكان، خصوصاص إذا كان تفسير النصوص صحيحاً، وكان فهم الواقع التاريخى صحيحاً أيضاً.

ومن ثم جزم السيوطى بأن هذه الأمة ستتجاوز الألف، بينما الأحتمال الذى رجحه بأنها لن تتجاوز الخمسمائة بعد الألف، مع انه لم يجزم به، إلا أنه لم يستطع ان يقدم من الأدلة النقلية المباشرة مايجعله مقبولاً عند اللاحقين له من العلماء، إما لضعف النقل، وإما لغموض الأستنباط وعدم وضوحه .

أما الأثر الذى اعتمدعليه السيوطى فهو ما قَرَّرَ أنه ورد من طرق: أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة،وأن النبيﷺ بُعثَ فى أواخر السادسة اوالقرون الأخيرة من الألف السادسة.

من ذلك مارواه الطبرانى فى الكبير عن الضحاك بن زمل الجهنى قال: رأيت رؤيا فقصصتها على رسول اللهﷺ فذكرالحديث، وفيه : .....إذا أنا بك يارسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت فى أعلاها درجة ، فقالﷺ: أما المنبر الذى رأيت فيه سبع درجات وأنا فى أعلاها درجة فالدنيا سبعة الاف سنة، وأنا فى آخرها ألفاً».

وقد اختلف العلماء حول هذا الحديث، فقد أخرجه البيهقى فى دلائل

النبوة ورواه الطبرانى فى الكبير ورواه ابو جعفر ابن جرير الطبرى فى التاريخ موقوفاً على ابن عباس رضى الله عنهما من طرق صحيحه كما قَرّرَ الطبري.

لكن الألبانى حكم بأن الحديث موضوع، لكن ليس بالرواية السابقة فقد جاء فى كتابه ضعيف الجامع الصغير حديث:« الدنيا سبعة آلاف سنة،وأنا فى آخرها ألفاً، وهى رواية مختلفة عن رواية الطبرانى.

ومن ثم فإن الحديث برواية الضحاك بن زمل رضي الله عنه قد لايكون ضعيفاً جداً ولاحتى ضعيفاً فلا يلزم أن يكون موضوعاً كما قال الألبانى عن هذه الرواية الأخيرة.

وعلى أى حال فإن السيوطى قد واجه نقداً شديداً من العلماء الذين أتوا بعده، وبخاصة نحن الذين عاصرنامطلع القرن الخامس عشر،و لم يبعث المهدي،ولم يخرج الدجال بعد ، ومعنى هذا أنه حتى لو بعث المهدى هذ العام أو خلال العقد الثالث من القرن الخامس عشر فإن الساعة بالضرورة لن تكون فى نهاية هذا القرن، بل ربما تتجاوزه الى القرن الذى يليه،أو الذى يلى القرن القادم، أو إلى ماشاء الله تعالي.

بَيْدَ ان ما يجب أن أسجله دفاعاً عن السيوطى رحمه الله تعالي، وإن كنت ارى خطأه أيضاً، هو أن اجتهاد السيوطى فى محاولة تحديد مدى من الزمان على مستوى القرن تقع فيه الساعة بناء على آثار استنبط منها هذه النتيجة، هو من الاجتهاد المشروع ، لانه لم يزعم أنه من الممكن معرفة الوقت الدقيق لوقوع الساعة، وإنما هو اجتهد فجزم بنفى وقوعها قبل نهاية القرن العاشر، حسب الحديث الموضوع الشائع الذى قال عنه لاأصل له، فدلل بالعقل وبالنقل على بطلانه ، وأتى بالأدلة على عدم وقوعها خلال الأربعة قرون التالية للقرن العاشر،وذكر احتمال توقع وقوعها فى نهاية القرن الخامس عشر على الأكبر استنباطا من آثار بعضها صحيح وبعضها ضعيف، فما دام لم يزعم إمكانية معرفة موعد قيام الساعة، وإنما زعم توقعًا بفترة قيامها خلال قرن او عشرات السنين، فأرى أنه من الإجتهاد المشروع بناء على قوله تعالى:﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ وبناء على قول المسيح عليه السلام فى الحديث السابق ذكره

أن الدنيا بعد "يأجوج مأجوج تكون كالحامل المتم لايدرى اهلها متى تفجأهم» **فأهلها يمكنهم** أن يتوقعوا ولادتهافى مدى معين من الزمان لاتتعداه، وهذا ليس من قبيل ادعاء الغيب، لكنه توقع قائم على استنباط،يصح إذا صحت المقدمات، وصحت طريقة الاستنباط ، ويخيب إذا خابت.

وعلى هذا فالسيوطى اجتهداجتهاداً مشروعاً وأخطأ، وهذا يرفع اللوم عنه ويبرؤه مما وُصِفَ به بعض العلماء. اوبعض الكتاب من مدَّعى العلم.

وعلى كل حال مازال أمام قول السيوطى فرصة لتثبت صحته، وهى إذا ماتمت بيعة المهدى عليه السلام خلال العشرين او الثلاثين سنة الأولى من القرن الخامس عشر الهجرى فإن الحقيقة لن تبعد كثيرا عن قوله،وقد مضى حتى الآن قرابة الثمانية عشر عاما، وقد ظهر السفيانى الذى يسبق المهدى مباشرة ممايجعل فرصة ثبوت صحة قوله رحمه الله قوية . والله تعالى أعلى وأعلم

الفصل الثانى

أهداف علم أشراط الساعة وفوائده

٢٦ـ فوائد علم أشراط الساعة

٢٧ـ اهم أهداف علم اشراط الساعة هو معرفة تسلسل الوقوع للاحداث التى تدل عليها النصوص.

٢٨ـ الحكمة من حجب العلم بأزمنة وقوع الفتن والملاحم

(٢٦) فوائد علم أشراط الساعة

يقف العلماء من قيام هذاالعلم موقفين متعارضين:

الأول : الذين يؤيدون إمكانية قيام هذا لعلم، وإمكانية تحقيق فوائده الى درجة كبيرة،حتى يمكن توقع الأحادث المقبلة على مدى المستقبل القريب اوالمستقبل البعيد، ويقدم هؤلاء حججاً كثيرة يدللون بها على صحة موقفهم شرعاً.

بل يذهب البعض الى القول **بوجوب إقامة هذا العلم**، حتى يستفيد المسلمون من نتائجه فى ميدان الصراع الحضارى والعسكرى الدائر بينهم وبين اعدائهم لأن النصوص الصحيحة، إذا نجحنا فى مطابقتها للوقائع التاريخية المعاصرة، يمكن ان تدلنا على الاحداث المقبلة وتعطينا تصوراً قريباً من صورة الصراع وتفاعلاته المستقبلة، أو على الأقل ترسم لنا خطوطه العريضة التى تمكن أصحاب القرار من اتخاذه على بصيرة. **وأهم هذه الأدلة هي:**

١ـ دلت النصوص على أن القرآن الكريم والسنة فيهما خبر من قبلنا من الأمم ونبأ من بعد جيل الصحابة، وما كتب الفتن وأشراط الساعة وأبوابها فى كتب السنة إلا برهاناً ساطعاً على ذلك، وحيث ان هذاقسم عظيم ورئيسى من اقسام الوحي: قرآنا وسنة، وحيث أن الرسول ﷺ كان يستعيذ بالله من علم لاينفع،وتوجيهاً لنا حتى نحرص على النفع من كل علم، فإن نفع هذا القسم الرئيسى من الوحى إنما يتمثل فى توقع احداث المستقبل القريب ومعرفة الأعداء الحقيقيين الذين يشكلون الخطر الأكبر على المسلمين فى صراعهم معهم.

فمن يرفض قيام هذا العلم فكأنما يحرم المسلمين من فائدة هذا القسم من الوحي، ويجعله علماً بلا نفع، وهو الأمر الذى استعاذ رسول الله ﷺ منه، لانه يصبح يوم القيامة حجة على العلماء، وليس حجة لهم.

وليس هذا دليلاً على جواز قيام هذا العلم فحسب، بل هو دليل على

أنه من الفروض او الواجبات الكفائية على الأمة، أى على العلماء منهم، وبخاصة اصحاب هذا التخصص.

٢ـ **أن دراسة هذه النصوص ومطابقتها على الوقائع الماضية،** لمَّا يزيد الإيمان فى قلوب المسلمين، حيث يعتبر مطابقة الحديث الشريف على واقعة من الوقائع التى حدثت كما نص عليها الأثر الشريف معجزة جديدة تضاف الى معجزات النبيﷺ وبرهاناً جديداً على صدق نبوته، **ومن ثم** يصبح من الواجب على العلماء متابعة أحوال الأزمنة السابقة عليهم وأحداث زمانهم وفى نفس الوقت عليهم مراجعة الكتاب والسنة والتأمل فى نصوصهما وتدبر معانيهما لمطابقة هذه النصوص على الوقائع التاريخية والأحداث المعاصرة، فإذا قام علماء كل جيل بذلك ظلت السنة متجددة فاعلة مؤثرة من بعده إلى أن يأتى أمر الله وهو مما يهدى به الله سبحانه قلوباً جديدة الى الإسلام ويزيد به المؤمنين إيماناً

٣ـ **إن محاولة توقع أحداث المستقبل القريب** بناء على دراسة منهجية جادة وموفقة وبأدلة علمية وبراهين أصولية يقبلها أهل هذا العلم، او العلماء بعامة، **ليس ضربا من الرجم بالغيب** او الكهانة اوالتنجيم حتى يرفضه بعض العماء ، ولايجيزون هذه المحاولات اوقيام هذا العلم. مادام الهدف المستقبلى قائم على توقع وترقب الحدث من غير تحديد لموعده او زمنه.

إن أكثر حجج الرافضين تدو حول المحاولات التى اخفقت فى التوقع لحدث معين فى زمن معين، هذه المحاولات التى لم تنقطع خلال تاريخ الإسلام كله.

من ذلك مثلاً: مَنْ توقع من العلماء أن **المهدى** سيخرج على رأس الثلاثمائة بعد الألف، وقد بنى توقعه على فهم معين للنصوص وترتيب محدد عنده للأحداث، **وغيره** توقعه على رأس القرن الربع عشر الهجرى،ولكن خيبة هذا التوقع وذاك اوغيرهما لاتفيد بطلان المحاولة اوعدم جواز قيام هذا العلم وتحريم اوكراهة البحث فيه، وما دام البحث بعيداً عن الموعد المحدد لقيام الساعة، وعن كل

ماثبت أن الله تعالى استأثر بعلمه، فللمجتهد المخطئ أجره، وللمصيب منهم أجران، لأنه علم مشروع وله فائدته للأمة.

إلا أن هذه المحاولات كانت تتم بصورة فردية حيث لم يقم للمستقبل علم مستقل له أصوله وأسسه وأهدافه ومناهجه، الأمر الذى كان له أثره فى نتائج هذه المحاولات.

٤- **إن أهم مسائل هذا العلم وقضاياه** هى ترتيب الأحداث التى تضمنتها النصوص بحسب وقوعها فى الزمان ، لأن الوصول إلى هذا الترتيب الصحيح ، يجعل التوقع ممكناً، بل وصحيحاً إلى درجة كبيرة، وهذا يحتاج إلى دراسة للنصوص لاستبعاد الضعيف جدا أو الموضوع منها ثم تقوية مايمكن تقويته من الضعيف ووضعه فى القائمة للاسترشاد به وسداً للثغرات، ثم تصنيف هذه النصوص ، ثم ترتيبها بحسب الزمان منذ وفاة رسول الله ﷺ الى العصر الراهن، ثم ترتيب ماتبقى منها حسب توقع حدوثه فى المستقبل الى قيام الساعة، وذلك غير محاولة تحد يد موعد محدد للحدث اى محاولة معرفة يوم الحدث وشهره وسنته،وأما القول بأنه آت وسيحدث فى المستقبل القريب فهذا جائز.

الثانى : وهو موقف العلماء الرافضين للبحث فى امور المستقبل وتوقع الأحداث زعماً منهم أن هذا رجم بالغيب، وأنه مما يحدث الفتنة ويثير الأضطرابات فى نفوس المسلمين، والتواكل أحياناً والتهور أحيانا أخري.

وقد تقدم فى حجج الفريق الأول الرد على بعض هذه المزاعم.

(٢٧) أهم أهداف أشراط الساعة هو معرفة تسلسل الوقوع للأحداث التى تدل عليها النصوص.

لقد **وردت** أشراط الساعة منجمة ومتفرقة خلال آيات القرآن الكريم، كما جاءتنا من خلال أحاديث الرسول ﷺ، من غير تحديد أو بيان لزمان الأحداث اللهم إلا من بعضها الذى اشتمل على مايفيد حدوثها فى آخر الزمان، أو بين يدى الساعة، أو فى آخر الأمة كما أسلفنا، وهذا بيان عام لايتضمن ذكرا للشهر أو للعام، ولالليوم، حتى نص ابن كثير فى النهاية على أن الأثار المتضمنة لوقوع حدث مافى سنة محددة غير صحيحة(١)

وأما خطبة رسول الله ﷺ الطويلة التى استغرقت نهاراً كاملاً من بعد صلاة الصبح حتى آذان المغرب، تلك التى لم يتوقف عنها إلا لصلاة الظهر وصلاة العصر، فلم تصلنا بنفس السياق و بنفس الترتيب وبنفس التفاصيل التى عرض بها رسول الله ﷺ أحداث الدنيا منذ بدء الخلق الى نزول أهل اجنة منازلهم فى الجنة ونزول أهل النار منازلهم فيها، أى أنه ذكرفيها ماكان حتى عصره ثم ماسيكون من بعده.ﷺ.

وعلة عدم وصولها الينا كما ذكرها رسول الله ﷺ بالإضافة إلى أن هذا مراد لله تعالى لحكمة جليلة ـ هى أنه لم يكن فى استطاعة أحد من الصحابة متابعة الخطبة من اولها إلى آخرها متابعة واعية يقظة تمكنه من حفظها كما سمعها لأن **هذا فوق طاقة البشر**، فمن تابعها منهم تعذر عليه أن يحفظها كما سمعها بتتابع أحداثها.

يدل على هذا قول حذيفة رضى الله عنه فى الحديث المتفق عليه كما ورد بلفظ البخارى رحمه الله: « لقد خطبنا النبى ﷺ خطبة ماترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشئ قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذاغاب عنه فرآه فعرفه»(٢)

وروى الإمام احمد بسنده عن ابى زيد الأنصارى قال: «صلى ﷺ الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد

(١) النهاية فى الفتن والملاحم مجلد ١ صـ٩

(٢) عن إتحاف الجماعة للتويجرى مجلد ١ ص١٣

المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنابما كان وماهو كائن فأعلمنا أحفظنا»(١)

وروى **البخارى** فى الصحيح بسنده عن عمربن الخطاب رضى الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه»(٢).

وروى **أبو داود** فى سننه عن حذيفة قال: «قام فينارسول الله ﷺ مَقَاماً فما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه اصحابى هؤلاء، وإنه ليكون الشئ فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه»(٣) . **ثم قال ابن كثير** رحمه الله تعالى بعد أن أورد هذه الروايات الثلاث: وهكذا رواه البخارى من حديث سفيان الثوري، ومسلم من حديث جرير كلاهما عن الأعمش به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن على بن زيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ذات يوم، ثم قام فخطبنا إلى أن غابت الشمس فلم يدع شيئاً مما يكون إلى يوم القيامة الا حدثناه، حفظ ذلك من حفظه ونسى ذلك من نسيه، فكان مما قال : يا أيها الناس إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء، إلى أن قال: وقد دنت الشمس أن تغرب، وإن ما بقى من الدنيا فيما مضى مثل ما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه»(٤)

ومع تضعيف على بن زيد أحد الرواة فى سند هذه الرواية الأخيرة إلا أن ابن كثير قبله لوجود مايقويه فى روايات صحيحة اخري.

ومايمكن تسجيله من ملاحظات على هذه الروايات مايلي:

١ـ ورد فى الرواية الأخيرة أنه قام عليه الصلاة والسلام فيهم بعد **صلاة العصر**

---

(١) عن النهاية لابن كثير، مجلد ١ ص ٢٧.

(٢) صحيح البخارى ك/ بدء الخلق.

(٣) عن ابن كثير فى الفتن والملاحم، مجلد ١ ص ٢٨.

(٤) نفس المصدر ص٢٨

بينما جاء فى الرواية الأولى أنه قام فيهم بعد **صلاة الصبح** ، وليس فى هذا أدنى اختلاف اوتعارض، إذقد يكون بسبب أن الصحابى الجليل صاحب الرواية الأخيرة **وهو أبو سعيد رضى الله عنه** لم يحضر من هذا المقام إلا ماكان منه بعد صلاة العصر فروى ماسمعه فيه، وقص ماشاهده، بينما أصحاب الروايات الأخرى حضروا المقام من اوله اى بعد صلاة الصبح،

يؤكد هذا أنهم إتفقوا على ان موضوع الخطبة: هو جميع الأحداث منذ بدء الخلق من حيث أن رواية ابى سعيد ذكرت ماسيكون الى يوم القيامة وهو الجزء الذى حضره من هذا المقام العظيم للنبيﷺ

٢ـ جاء فى الرواية الأولى استمراره ﷺ من بعد صلاة الصبح حتى المغرب قائماً لم ينزل من مقامه إلا للصلاة ، بينما لم يأت هذا صريحاً فى الرواية الثانية والثالثة، وربما جاء تلميحاً فى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «قام فينارسول الله ﷺ مقاماً».

وفى قول حذيفة رضى الله عنه:« قام فينا رسول الله ﷺ قائماً» ، وهذا وذاك تَعْريبان عن طول القيام وعظمة المقام وأهمية المقال، فهو بمثابة الإجمال لما جاء تفصيلاً وفى رواية حذيفة، أى الرواية الأولى وهذا وذاك لا يتعارض اويختلف معها.

٣ـ أفادت جميع الروايات أن هذه الخطبة كانت طويلة حيث يصح القول بأنها تملأ أسفاراً،ومن ثم لم يستطع بعض الصحابة، مع كثرة المستمعين، ولا حتى واحد مهم أن يحفظ هذا الحديث العظيم الطويل كاملا بتفاصيله وترتيب أحداثه التى هى أحداث الكون منذ نشأته الى يوم الخلود.

يدل على هذا عبارة: حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه، وكذا عبارة فأعلمنا أحفظنا، وهى بنفس معنى العبارة الأولى وتدل على أن الأكثر علماً بهذه الأشراط هو الأقوى حفظاً وذاكرة.

ولكن الذى نود الوصول إليه هو أنه لم يثبت عن احد من الصحابة انه روى هذا

الحديث كامـلا منفصلاً مرتبا كـما سمعه من رسـول الله ﷺ فلم يصلنا بـهذه الصورة لافى خبر متواتر او خبـر آحاد، وإنما وصلنامفرقا مجزءاً موزعاً على مـاقسمه العلماء من بعد أبوابا وفصولا لأشراط الساعة وأحداث الفتن والملاحم .

ومن ثم تصبح مسألة ترتيب هذه الأحداث حـسب تسلسل وقوعها فى الزمان من أهم واخطـر مسائل أشراط الـساعة على الإطـلاق، ومن المهام والـواجبات الكفـائية على الأمة تلك التى سيُحاسب عليها العلماء والمفكرون بصفة خاصة.

(٢٨) الحكمة من حجب العلم بأزمنة وقوع الفتن والملاحم والأشراط وتفاصيل الأحداث والأسماء الحقيقية لشخصيات الفتن.

لايقع شئ أوحدث أو أى أمر: عَظُمَ وكَبُرَ حقر أوصغر فى الكون إلابقدر الله تعالى ومشيئته وعلمه، ومن ثم فما من شئ يحدث إلاويكون وفق الحكمة الإلهية الخاصة من حدوثه، وفى نفس الوقت يكون متمشياً مع الحكمة الإلهية من خلق الكون عامة ومتوافقة معها ومحققة لهاأيضاً.

والحكمة الإلهية العامة أو الكلية من خلق السموات والأرض والإنسان هى الابتلاء، كماوضحنا هذا من قبل بأدلته،والحكمة من نزول الوحى السماوى على رسل الله تعالى وأنبيائه هى توصيل الهدى الربانى لكى يفوز الذين يتبعون هدى الله تعالى بالجنة،فالخلق عطاء إلهى دنيوى وأُخروي مَعًا.

أماالعطاء الإلهى فى الدنيا فهو لتحقيق الابتلاء،وأما العطاء الإلهى فى الآخرة فهو للجزاء، ومن هدى الله تعالى ورحمته بالناس عامة وبالمؤمنين خاصة حجب تفاصيل الغيب والمستقبل عنهم، وكذا أحداث الابتلاءات التى منها الفتن، والمراحل الرئيسية التى يمر بها الوجود البشرى وسيجتازها كل الناس، وسواء الذى سيجتازه الإنسان: فرداً أو جماعة او نوعاًوذلك لان الإخفاء التام المطلق يحرم الناس اوالمؤمنين من خير عظيم، هذا الخير يتمثل فى تثبيت إيمانهم بالغيب واليقين بالساعة، وكما يحرمهم الإخفاء المطلق من أهم فوائد الهدى الربانى، وهوتوقي الوقوع فى الفتن، والردى والخسران فى الإبتلاء ات، من ذلك على سبيل المثال إخفاء موعد موت العبد عنه، لأن موته هو ساعته الخاصة، وكذلك إخفاءالمكان الذى يموت فيه، وكذلك إخفاء ماسيكسبه فى مستقبل ايامه حتى الغد الذى هو اقرب الأيام إلى حاضره، لأن إخفاء هذا كله من أهم ضرورات تحقيق الابتلاء قال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾

ولكن فى نفس الوقت تحدث لهذه النفس التى حجب الله تعالى عنها متى وأين تموت، وماذا تكسب فى المستقبل، تحدث لها علامات وإمارات وأشراط تدل على قرب انتهاء الأجل منها الشيخوخة مثلاً، أو حادث يطرأ يؤثر على صحته، وبالنسبة للمؤمن فقد ثبت أن الله تعالى يَمُنُّ عليه بإعلامه بقرب الأجل بالمبشرات وهى الرؤيا الصالحة يراها او ترى له، فيتوقع لقاء الله تعالى، ونفس السُّنَّة التى تحكم علاقة الفرد بالمستقبل تحكم علاقة الإنسان النوع بالمستقبل وبالساعة العامة أيضاً.

لقد اخفى الله تعالى موعد الساعة، فلا يعلمها غيره سبحانه وتعالي، فى نفس الوقت أعطى للمؤمنين عن طريق الوحى والنبوة علامات متمثلة فى أحداث رئيسية وشخصيات يدل ظهورها على قرب أجل الدنيا وقرب قيام الساعة.

فالحكمة من إخفاء موعد الساعة علاوة على أنه من العلم الذى خص الله تعالى به نفسه، هى الابتلاء حتى يؤمن مَنْ يؤمن عن بينة، فينال الثواب برحمة الله تعالى وفضله، ويكفر من يكفر عن بينة، فينا ل الجزاء بعدل الله تعالي، ففى قوله تعالي: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ حجب لهذه الخمس فلا يعلمهن إلا الله عزوجل ، ومع حجبه سبحانه علم الساعة عن جميع خلقه فإنه عزوجل لم يخفيها عنهم إخفاء مطلقاً، قال تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾(طه:١٥) .وذلك لأن إطلاق الإخفاء متعارض مع الهدى الربانى، ومع مهمة النبى باعتباره نذيراً وبشيراً وهاديا، ومن ثم قال تعالى ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ وفى هذا دلالة على تفضل الله تعالى على عباده بقدر من الإعلام بها متمثلاً فى الأخبار بسوابقها ونذرها وعلاماتها التى تدل على قربها، وهذا مما انزله الله تعالى على جميع رسله وأنبيائه، وفى جميع كتبه فما من نبى إلا حدث قومه عن اليوم الآخر،و عن الساعة وعن أهم أشراطها. فالحكمة من الإخفاء غير المطلق ظاهرة، والحكمة من الإعلام المقدر المحدود ظاهرة أيضاً.

أما الحكمة من وصول أشراط الساعة بما فيها من الفتن والملاحم بغير الترتيب

الزمنى لحدوثها فهى وثيقة الصلة أيضاً بحقيقة الابتلاء،وكذلك هى رحمة من الله بالمؤمنين، فلم يخبرنا الله تعالى فى كتابه،ولم يخبرنا رسول الله ﷺ فى سنته من هذه الأخبار إلا بالقدر الذى نهتدى به، ومنع عنا من التفاصيل أو الأوقات والأزمان ومن الأسماء الحقيقية لشخصيات الفتن التاريخية مايضر الناس معرفته، وأخبر من مجمل الأحداث مانتتفع به، ورَمَزَ لنا عن الأشخاص مايمكن أن يعلم به العلماء أو الفقهاء عنهم مايكتمونه ولايذيعونه إلا بقدر مايمنع ضلال الناس وتهافتهم على الباطل وافتتانهم به.

لذا: فإن من أخبار الأحداث والفتن ماصرح به الرسولﷺ لصحابته مثل امير المؤمنين على بن ابن ابى طالب وحذيفة بن اليمان وأبى هريرة رضى الله عنهم جميعاً،ولكنهم لم يصرحوا بكل ماعلموا أو سمعوامن رسو ل الله ﷺ، إلا بقدر محدود مراعاة للظروف والأحوال وتحسباً للنتائج المترتبة على هذا بين عامة الناس.

يدل على هذا ماجاء فى كنز العمال: عن حذيفة قال :« لوحدثتكم ماأعلم لافترقتم عَلَىَّ ثلاث فرق: فرقة تقاتلنى ،وفرقة لاتنصرنى ، وفرقة تكذبنى»(١).

كما عبر عن هذا المنهج فى الإبداء والإخفاء من حديث الرسول ﷺ فقال حذيفة: «ضرب رسو ل اللهﷺ أمثالا واحداوخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر، وفسر لنا منها واحداً، وسكت عن سائرها فقال : إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة فقاتلوا قوماً كانوا اهل حيلة وعداء، فظهروا عليهم واستعلوهم وَسَلَّطُوهم فأسخطوا ربهم عليهم»(٢). وقد تحقق هذا الحدث بإستيلاء اليهود على فلسطين والقدس، ولقد كانوا اهل ذلة ومسكنة وضعف ، وكان المسلمون اهل حيلة وعداء فانقلب الحال وظهر اليهود على العرب استعلوهم وأذلوهم واسخطوا ربهم عليهم ، فإخفاءأنهم اليهود فى هذا الحديث له حكمة عظيمة وهى حتى لايترك ا لمسلمون الجهاد فى معاركهم ضد اليهود قائلين انهم سيهزموننا وردت بهذا السنة فالحكمة من الإخفاء واضحة كما أن التفسير لهذا المثل لم يأت بتصريح وتوضيح بقدرما أتى بتلميح

(١) الشيخ على المتقى الهندي/ كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، مجلد ١١ ص ٢٢٧، حديث رقم ٣١٣٢١ مؤسسة الرسالة.

(٢) نفس المصدر والصفحة ، حديث رقم ٣١٣٢٢

وتكنية وعلامات يمكن ان يفهمها خاصة العلماء والفقهاء دون عامة القراء والدارسين.

وبالنسبة لشخصيات الفتن وقادة الفرق فقد كان حذيفة يعرف اسماءهم رضى الله تعالى عنه، كما كان يعرف أسماء المنافقين، لكنه مأمور بان لايصرح بها او يذكرها بأعيانها، يدل على هذا ما اخرجه نعيم بن حماد فى الفتن بسنده عن حذيفة بن اليمان قال:« ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائه إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة، كل ذلك مما علمنيه رسول الله ﷺ قالوا : بأعيانها؟ قال : أو أشباهها يعرفها الفقهاء ، أو قال : العلماء ، إنكم كنتم تسألون رسول الله ﷺ، عن الخير، وأسأله عن الشر،وتسألونه عماكان وأسأله عما يكون»(١)

فقول السائل لحذيفة: بأعيانها؟أى هل تقول الأسماء بأعيانها، تلك الأسماء التى يُعْرَف بها قادة الفتن فى أزمانهم فكان جوابه رضى الله عنه أو اشباهها يعرفها الفقهاء أوقال العلماء، أى أن بعض شخصيات الأحداث يقولها بأسمائها، والبعض لايقول الأسماء، وإنما يخبربما هو دلالة وعلامة او كناية عنه، ممايكون مفهوما للعلماء دون عامة الناس.

وحكمة إخفاء هذا كله او الغيب بعامة عن الناس مرتبطة بالابتلاء لأن الله تعالى يبتلى العباد أفرادا وجماعات ودولاً، وأيضاً على مستوى النوع الإنسانى كله بأحداث جبرية تصيبهم قسراً وتنتهى بأفعال إختيارية بإرادتهم الفردية والجماعية، ونتيجة الابتلاء تكون بالضرورة إما شراً وإما خيراً، قال تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾(الأنبياء / ٣٥) وقال تعالي﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِن﴾(التغابن / ٢) أى بعد الابتلاء يصير الناس إلى فريقين:مؤمنين وكافرين ، بعد أن كانوا بمقتضى الميلاد مؤمنين وموحدين بالفطرة وتحقيق الابتلاء لايكون إلا بإخفاء القَدَر المكتوب عن المبتلي، سواء أكان القدر الجبرى اى الأمر الذى سيُبْلَىَ به، أم كان القدر الأختيارى الذى قَدَّرَ الله وقوعه من العبد، وليس قدراً عليه كالأول(٢)

---

(١) الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد/ كتاب الفتن، تحقيق سمير أمين الزهيري، مجلد ١، ص ٣١، حديث رقم ١٦، ومكتبة التوحيد القاهرة، وأورده صاحب ا لكنز

(٢)راجع كتابى القضاء والقدر فى الإسلام الجزء الأول، فصل القضاء والقدر، المكتب الإسلامي، بيروت

فمعرفة الابتلاء سلفاً مفسدة للابتلاء ومتعارضة معه.

ولبيان هذا نضرب مثلاً فنقول : لو ان المسلمين فى موقعة من المواقع الحربية فى مواجهة أعدائهم قد علموا أنهم سينتصرون وذلك بعلم يقينى من الوحى الذى يؤمنون به فإنهم سيتهاونون فى القتال ويتواكلون، وقد يؤدى هذا إلى فتنتهم، بل قد يؤدى هذا إلى قلة المقبلين على الجهاد فى هذه الموقعة وهذا فى حد ذاته فتنة عظمى.

وإذا علموا أنهم فى موقعة ما سينهزمون فإن هذا يؤدى إلى تقصيرهم ونكوصهم وتولى البعض منهم يوم الزحف، وشيوع الروح الأنهزامة فى الأمة، وهذا فيه ضياع عظيم للأمة وفتنة عظمى إذْ يؤدى كل هذا إلى إبطال الجهاد.

ولكن هذا العلم الذى يؤدى بالمسلمين إلى هذه النتائج لا يتحقق إلا إذا جاء خبر هذه الموقعة مفصلا واضحا مع النص على زمانها ومكانها وقادتها وأطرافها وأسبابها، ولذلك لم يرد فى نصوص الوحى مثل هذا الخبر المفصل ولو مرة واحدة، وإنما تأتى أخبار الفتن والملاحم وأشراط الساعة فى صيغ مجملة موجزة مجردة من التحديد أو التعيين للزمان والمكان والأسماء الحقيقية للشخصيات، ومن ثم فغالبا لا تعرف تأويلات هذه الأخبار الحقيقية إلا بعد حدوثها، إلا أن القلة القليلة من العلماء المتخصصين قد يعرفونها قبل وقوعها.

وقد يتضمن بعض الأخبار تفصيلات محددة على عكس هذا المنهج العام، أى فى أحوال استثنائية وهى التى تكون فيها هذه التفصيلات ضرورة للتحذير من شر خطير أو للحض على خير عظيم.

مثال ذلك ما جاء عن شخصيتين من شخصيات آخر الزمان نذكرهما:

١- **المهدى وأسمه محمد بن عبد الله** وهو من آل بيت النبي ﷺ من نسل الحسن بن على رضى الله عنهما، جاء عن وصفه وبيعته وأفعاله الفصول الكاملة فى كتب السنة، وذلك حتى لا يكون لمن يرفض بيعته حجة، وحتى يلتف المؤمنون المخلصون حوله ليعيد الخلافة الراشدة بإذن الله تعالى وعونه وقد حددت الأخبار أنه يأتى فى آخر الزمان.

٢- **المسيح الدجال** وقد جاء وصفه ومخرجه وأفعاله والأماكن التي يرتادها، وحربه للمسلمين ونهايته على يد المسيح الحق عيسى بن مريم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم، وذلك العلم التفصيلي لتحذير المؤمنين من فتنته لأنها أعظم فتنة في تاريخ البشرية منذ آدم إلى قيام الساعة.

لهذا كله لم يصلنا حديث رسول الله ﷺ الذي خطب الصحابة خطبة طيلة نهار كامل عن أخبار الدنيا منذ بدء الخلق إلى انتهاء المؤمنين إلى منازلهم في الجنة والكافرين إلى منازلهم في النار، لم يصلنا كاملا متسلسلا لأن هذا مفسد للإبتلاء وهو الحكمة العليا التي من أجلها خلق الله تعالى السموات والأرض والإنسان علاوة على أنه يضر بالمؤمنين كما أسلفنا، ومن ثم فإن وصول أخبار هذه الخطبة مفرقة ومختلفة عن ترتيبها الذي قاله رسول الله ﷺ، أمر مقصود ومراد- ككل صغير وكبير في الكون- لله رب العالمين وذلك للحكمة التي ذكرناها من قبل، وما لبعض أخبار الغيب من آثار على الناس قد تضرهم في دينهم ودنياهم.

قال حذيفة فيما رواه عنه نعيم بن حماد بسنده: «لو حدثتكم بكل ما أعلم ما رقدتم في الليل»(١)

وهذا يدل على أنه يكتم كثيرا مما أخبره به رسول الله ﷺ من أحداث المستقبل القريب منه والبعيد أيضا، لما سيصيبهم من الفزع، وربما يؤدي الخير إلى أن ينقسم المستمعون إليه فرقة تكذبه ولا تصدقه وفرقة تعاديه أو تقتله، وفرقة لا تنصره على عدوه كما ورد قوله من قبل.

ومن ثم كان من منهج العلم بأشراط الساعة الإجمال أكثر من التفصيل، والتلميح بدلا من التصريح، وذلك حتى يتوقع خاصة المسلمين وعلماؤهم النابهون المتفقهون في هذا الفن الحدث بعد الحدث في موعد قريب من زمن حدوثه غالبا على وجه التقريب وليس على وجه التحديد، وعلى سبيل الظن والتغليب والترجيح، وليس على سبيل الجزم والتأكيد، لأنه لا يعلم الغيب على وجهه الصحيح وبصورته الدقيقة إلا الله عز وجل وحده، وهو سبحانه لا يظهر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى

من رسول ومن خلال هذه النافذة أو الثقب المتاح لنا من بعد رسول الله ﷺ للنظر من خلاله إلى المستقبل ومن خلال ما وصلنا عن صحابته الأجلاء وعن تابعيهم وممن تبعهم إلى عصرنا هذا من علماء الحديث يمكننا أن نترقب أحداثا وأن نتوقع أحوالا وأشخاصا يخرجون على البشرية بالخير، وبعضهم بالشر، ومن ثم يكون هذا العلم هاديا للمؤمنين، ومرشدا ومبشرا ونذيرا، وتتحقق به مهمة رئيسية من مهام خاتم النبيين ﷺ، محققا متجددا عبر الزمان عن طريق فهم ما أخبرنا به ومطابقته بالأحداث.

الباب الرابع
علم أشراط الساعة بين السابقين والمعاصرين

الفصل الأول: خطة الحافظ نعيم بن حماد رحمه الله تعالى فى ترتيب كتابه الفتن وتصوره لتسلسل الأحداث.

الفصل الثانى : أبو عمر وعثمان بن سعيد الدانى وكتابه السنن الواردة فى الفتن وعوائلها والساعة وأشراطها.

الفصل الثالث : خطة القرطبى رحمه الله تعالى فى كتابه التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة.

الفصل الرابع : خطة ابن كثير فى كتابه النهاية فى الفتن والملاحم.

الفصل الخامس : خطة الشريف محمد بن رسول الحسينى البرزنجى رحمه الله تعالى فى كتابه: «الاشاعة لأشراط الساعة».

الفصل السادس : ترتيب السفارينى للأشراط فى كتابه لوامع الأنوار البهية.

الفصل السابع : كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية لرائد علم أشراط الساعة المعاصر أبو الفيض أحمد بن محمد الصديق الغمارى الحسنى رحمه الله تعالى.

الفصل الثامن : كتاب الشيخ حمود بن عبدالله التويجرى «إتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

الفصل التاسع : الشيخ أبو بكر الجزائرى ورسالتاه: **اللقطات فى بعض ما ظهر للساعة من علامات، والأحاديث** النبوية الشريفة فى أعاجيب المخترعات الحديثة.

الفصل العاشر : الخطة وتقسيم الأشراط فى كتاب أشراط الساعة للأستاذ يوسف الوابل.

الفصل الحادى عشر : ترتيب الأشراط حسب وقوعها بين الأولين والمعاصرين.

الفصل الثانى عشر : ترتيبى للأحداث التى تترقبها أجيالنا المعاصرة استخلاصا من النصوص ومما إتفق عليه جمهور العلماء.

الفصل الأول

٢٩ـ خطة الحافظ نعيم بن حماد رحمه الله تعالى في كتاب الفتن

(٢٩) خطة الحافظ نعيم بن حماد رحمه الله تعالى لترتيب كتاب الفتن

إختلف العلماء قديما وحديثا فى عرض أحاديث الفتن وأشراط الساعة، وسنعرض لخطة كل منهم ومنهجه فى العرض وترتيبه العام للأشراط بحسب الأسبقية فى الزمان.

ولعل أقدم الحفاظ الذين أفردوا للفتن كتابا خاصا مستقلا هو الحافظ **نعيم بن حماد المروزى** المتوفى عام ٢٨٨هـ وهو ممن روى عنه البخارى رحمه الله تعالى فى غير الصحيح، وذلك لأن نعيما رحمه الله عند البخارى وعند العلماء فى أحاديثه شيء، فقد قال عنه **الذهبي**: «نعيم من كبار أوعية العلم لكنه لا تركن النفس إلى رواياته»، وقال أيضا : «لا يجوز لأحد أن يحتج به، وقد صنف كتاب الفتن فأتى فيه بعجائبه ومناكيره».

وقال عنه النسائي: قد كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة فصار فى حد من لا يحتج به.

وقال عنه مسلمة بن القاسم: وله أحاديث منكرة فى الملاحم انفرد بها(١) .

ولعل أكثر المأخوذ على نعيم رحمه الله أن أحاديثه منكرة وغريبة لما تضمنته من أخبار تكاد تكون مخالفة للمعهود والمألوف فى زمانهم، ومع أن ما تعيشه البشرية الآن من مخترعات وأساليب فى الاتصالات والمواصلات والمعمار وغير ذلك كله أمور غريبة جدا ومنكرة، ولا يمكن إذا عرضت على القدماء تصديقها وأكثر أحاديث الفتن تتضمن أخبارا أنكرها العلماء، لأنها غريبة وغير طبيعية بالنسبة لزمانهم فظنوها من خرافات الدجالين والكذابين والإسرائيليات التى دخلت على نعيم رحمه الله تعالي، بينما هي واقعية وعادية بالنسبة لزماننا الذى حدث فيه من الإختراعات ما يعد بالنسبة لهم خيالا وخرافة.

ولا شك أن نعيما رحمه الله من **العلماء الثقات**، وإن كانوا قد صنفوه فى **الضعفاء** لأسباب أخري، ومن ثم فإن كثيرا من أحاديثه قواها العلماء لورودها عن

أسانيد وطرق أخري، وما سوى ذلك فهو ضعيف، وقد يكون القليل منه ضعيف جداً.

أما عن خطته في ترتيب النصوص حسب أحداث الفتن وأسبقية الأشراط في الزمان فقد عمد إلى تصنيف الأحاديث والآثار التي تتحدث عن فتنة بعينها أوعن شخصية من شخصيات الفتن فجمعها تحت عنوان واحد، وفي جزء من أجزاء الكتاب يخصها.

وفي نفس الوقت رتب الأشراط أو الأجزاء حسب ما رأى أنه **الأسبق في الزمان**، وبطبيعة الحال فقد كان موفقا في ترتيب الفتن والأشراط والأحداث التي حدثت من بعد وفاة النبي ﷺ **حتى عصره**، وذلك بعد أن جاء تأويل هذه النصوص في الواقع وفسرها التاريخ كما فسرت هي أحداثه.

أما بالنسبة للنصوص التي تحدثت عن أحداث لم تحدث حتى عهده فقد أجتهد في ترتيبها، وكما سنرى لم يكن توفيقه في هذا الترتيب تاما، إذ جانبه الصواب في بعضها، حيث حدثت بعض هذه الأحداث مخالفة للترتيب الزمني الذي سجله في كتابه.

لذلك جمع منهجه بين الترتيب الزمني وبين التصنيف بحسب الأبواب والموضوعات التي دلت عليها النصوص، وأما بالنسبة للأشراط التي بين يدي الساعة فقد اجتهد في ترتيبها أيضا ووافقه اللاحقون له من العلماء على بعضه وخالفوه في البعض الآخر.

وحيث أنه وجد بعض الأحداث والملاحم والفتن التي لم يعرف موضعها التاريخي في الترتيب الذي وضعه فقد أفرد لها أبوابا بعناوين مستقلة دون أن يبين العلاقة الزمنية التي بينها وبين الأحداث الأخري، فجاءت في أجزاء منفصلة مقطوعة عما قبلها وعما بعدها.

وقد اطَّلَعْتُ على كتاب الفتن من خلال صورة المخطوطة المودعة بمكتبة مخطوطات جامعة أم القرى، وأثناء دراستي لها ظهر الكتاب مطبوعا في مجلدين

فتحولتُ من صورة المخطوطة إلى هـذه النسخة المطبوعة التى اقتصر عـمل المحقق فيها على ترقيم الأحاديث والآثار الواردة بالكتاب.

ولقد أفرد نعيم رحمه الله فى الكتاب عددا من الأبواب للموضوعات الفقهية مثل ما يُستحب من الأعمال فى زمان الفتن مع بعض الأحكام الفقهية التى يُحْتَاجُ إليها المسلم للإهتداء بها فى الفتن للوقاية من الوقوع فيها .

بل إنه صنف بابا بعنوان« المعقل من الفتن» سرد فيه الآثار والروايات التى تنص على الجهات أو الأمصار أو الأقاليم أو المدن التى يحتمى المسلم فيها من الفتن العظمى، مثل ما جاء من أن مكة والمدينة هما المعقل من فتنة الدجال، والطور هو المعقل من فتنة يأجوج ومأجوج، والمعقل من فتنة المغرب اليمن وهكذا.

ولقد بدأ نعيم الكتاب بالأحاديث النبوية التى نبأت بالخلفاء من بعد وفاة النبى ﷺ وهم الخلفاء الراشدون الأربعة ثم انتقل بعد ذلك إلى النصوص الدالة على ملك بنى أمية والفتن التى حدثت فى عهودهم ثم خصص جزءا للنصوص التى نبأت بانقطاع ملكهم وعلامات ذلك، ثم عرض النصوص الخاصة بقيام دولة العباسيين حتى عصره.

وحيث أن نعيما رحمه الله قد توفى فى خلال دولة بنى العباس فإن ترتيبه للنصوص الدالة على الفتن والملاحم حتى عصره جاء مطابقا للواقع كما قلنا لكن ترتيبه للنصوص التى تتحدث عن أحداث وفتن وأشراط بعيدة أو قريبة من الساعة وهى التى لم تحدث حتى عصره جاء اجتهاديا قابلا للخطأ وللصواب.

ومن ثم جعل باباً من أبواب الجزء الثالث بعنوان« **أول علامة تكون فى انقطاع ملك بنى العباس» وأيضاً ما يذكر من علامات فى السماء فيها انقطاع ملك بنى العباس» ثم ختم هذا الجزء بعنوان «ما يذكر من غلبة سفلة الناس وضعفائهم».**

وحيث **أن** هذا العنوان الأخير من أحوال آخر الزمان الذى بين يدى الساعة، والتى تقع فيه الأشراط القريبة منها فإن هذا يدل على أن نعيما اعتبر العباسية هى آخر

دول الإسلام يلى سقوطها على الفور عصر الفتن والملاحم الذى يسود ويحكم فيه سفلة الناس فجعل موضوع الجزء الرابع من الكتاب بعنوان« أول علامة تكون من علامة البربر وأهل المغرب فى خروجهم» كذلك «ما يكون من فساد البربر وقتالهم فى أرض الشام ومصر»، ثم عنوان يلى حملة البربر يتحدث عن صفة السفيانى وأسمه ونسبه، وتستمر أخبار فتنة السفيانى هذا خلال موضوعات الجزء الرابع والخامس وحتى فى الأجزاء التى تلى الخامس باعتبار أن السفيانى هو الشخصية الأهم والأخطر فى الشخصيات الإسلامية عنده.

ثم يعرض بعد ذلك النصوص التى تتحدث عن المهدى الذى يأتى مباشرة بعد السفيانى ويتسلم منه خلافة العالم الإسلامي.

ثم يذكر ما جاء عن الدجال وهى أحاديث وآثار كثيرة تتحدث عن أو صافه وأفعاله وفتنته وأتباعه ومخرجه وخروجه وأساليبه فى فتنة الناس، ومدة ملكه للأرض ما عدا مكة المكرمة والمدينة المنورة حتى نزول المسيح الحق ابن مريم عليهما السلام وقتله للدجال وما يكون من صلاة المسيح عليه السلام خلف إمام المسلمين وقائدهم وهو المهدى الثانى أو الثالث ثم خروج يأجوج ومأجوج.

ثم خصص الجزء التاسع من كتابه للأحاديث والآثار الخاصة بالخسف والزلازل والرجفة والمسخ، ثم جعل بقية كتابه فى الأمور العظام وهي: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة التى تكلم الناس، ثم خروج الحبشة وهدمهم الكعبة المشرفة.

ثم خصص الجزء الأخير من كتابه للنصوص التى تحدد أوقات الفتن بالسنين والشهور والأيام وهكذا يمكن القول أن نعيما رحمه الله تعالى خالف بتصنيفه وترتيبه الواقع التاريخى الذى حدث بعده فيما يلي:

١- لقد ذكر فى مستهل الجزء الرابع النصوص التى تتحدث عن خروج البربر وأهل المغرب وغزوهم لمصر والشام، وذلك بعد الفصل الخاص بزوال الدولة العباسية ، وهذا الأمر لم يحدث حتى الآن رغم مرور قرون عديدة على زوالها.

٢- ذكر نصوصا تتحدث عن صراع بين العباسيين والأمويين بقيادة السفياني ، الذي يدفع الخلافة للمهدي، وذلك بعد نصوص أحداث حملات البربر وأهل المغرب ، معلوم أنه لم يحدث شيء من هذا بعد سقوط العباسيين منذ قرون طويلة والبرر وأهل الغرب الذين يغزون مصر يأتون من الحدود الغربية لمصر.

٣- عرض نعيم النصوص الدالة على مجيء الرايات السود من خراسان لتأييد المهدي، وجعل هذه النصوص وكل ما يتعلق بالمهدى من موضوعات الجزء الخامس، الذى يلى الجزء المتضمن لنهاية الدولة العباسية، مما يدل على أن تصوره للأحداث اشتمل على اعتقاد أو توقع بأن العلامات الكبرى التى تبدأ بالسفياني ثم المهدى ثم الدجال تأتى مباشرة بعد سقوط الدولة العباسية، وهذا كله مخالف للواقع التاريخى من بعده.

٤- بالرغم من تضمن كتاب الفتن لنصوص كثيرة عن الترك إلا أن نعيما لم يتصور أن تقوم خلافة إسلامية تركية أى العثمانية بعد سقوط الخلافة العباسية، ومن ثم صنف هذه النصوص ضمن حملات إعتداء غاشمه على أمصار العالم الإسلامى تأتى من الغرب مرة ومن الروم مرة ومن الشرق مرة ومن الترك مرة ومن الحبشة على جنوب مصر مرة أخرى، وأيضا من الحبشة على الحجاز لهدم الكعبة فى آخر الزمان، وفى حين أن الواقع التاريخى أثبت أن العثمانيين الأتراك أقاموا خلافة إسلامية وَحَّدَت، العالم الإسلامى قرابة خمسة قرون.

ولكنه محق فى هجوم تركى غاشم على العراق وسوريا عبر الجزيرة وهو الذى نترقبه بعد الحلف الإسرائيلى الأمريكى التركى المعاصر[1].

٥- تضمنت الأجزاء بدءا من الرابع والخامس حتى الأخير أخبارا متفرقة عن السفياني فبدا أن أكثر وأخطر الفتن هى التى فى عهده أو هى على الأقل تلى فتنة الدجال فى الخطورة والأهمية، مع أنه مجرد شخص واحد من شخصيات الفتن، وأرى أن هذا يعكس صورة الصراع الذى ترك ظلاله على عصر نعيم، وهو الصراع بين العباسيين والأمويين مما جعل نعيما يتوقع نهاية الدولة العباسية على أيدى الأمويين ، وتصور بالتالى أن السفياني الذى هو من نسل أبى سفيان، هو الذى

---

(١) راجع تفاصيل أحاديث نعيم عن هذا الهجوم بكتابى البيان النبوي.

سيقضى على الدولة العباسية، ثم يأتى المهـدى الهاشمى ليقضى على حكم السفياني، ويقيم بعده الخلافة الراشدة التى تملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما.

٦- **وكما خلت تصنيفات نعيم من تصور للدولة العثمانية** فقد خلت أيضـا من تصور لما حدث من الـيهود فى الـعصر الحـديث من الإفسـاد فى الأرض بعامة، وفـى فلسطين بخاصـة، لأن أحدا من علماء المسلـمين لم يكن ليتـصور هزيمة المسلمين أمامهم ولذلك لا نجد عن هذا فصلا فى كتابه، مع أن الأحداث التى تعيشها الأمة الإسلامية مـنذ سقوط الخلافة العثمانـية حتى الآن تستحق أن يفرد لـها فصولاً تحت عنوان« فتنة الـيهود والملاحم التى بينهم وبين الـعرب» وغير ذلك من الأحداث التى تعيشها الأمة منذ عشرات السنين، لكن هذا لا ينسينا أن نعيما أخرج نصوصا عن اليهود وقـتالهم فى آخر الزمـان، لكن هذا ضمن قتال مـسيح الهدى ابن مريم عـليها السلام للمسيح الدجال ، فهو لـم يتصور أن يكون لليهود دولة فى فلسطين إلا برئاسة الدجال بعد خروجه المعلن،وهذا مخالف لـلواقع المعاصر لأن دولة اليهود قامت قبل السفيانى والمهدى وهما قبل زمن الدجال، وهم لم يخرجوا جميعا بعد.

٧- **تحدث نعيـم عن ملحمة الأسـكندرية**، إذ يغزوهـا جيش من المـغرب وجعل هذا فى زمان المهـدى مع أن الإسكندرية قد جاءها من الجيوش الـغربية جيش نابليون وجيش نلسون الإنجليزى منذ قـرن وربع تقريبا، ولم يكن هذا فى زمن المهدى ، وهو مخـالف للواقـع إلا أن تكون هذه الحـملة لم تحـدث بعد وهذه المـلحمة غـير معارك الملحمة العظمى

٨- **رتب الأشراط الـعظمى أو الآيـات العشر العـظمى للـساعة** التى وردت فى أحاديث متعددة فجعل الخسوف الثلاثة: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيزة العـرب، بعد يأجوج ومأجوج، وهذا يختلف معـه فيه بعض من جاء بعده من الـعلماء، إذ جعلوا الخـسوف قبل الدجال ولـكن مهما يكن مـن ملاحظات على تصنـيف الحافظ نعيم بن حمـاد رحمه الله فى الفتن، فإنه بلا شـك الأستاذ لكل الذين جاءوا بعده ممن كتبوا فى هذا العلم وصنفوا فى أشراط الساعة.

الفصل الثانى

أبو عمرو: عثمان بن سعيد الدانى وكتابه السنن الواردة فى الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها

٣٠- خطة الدانى فى كتابة السنن الواردة فى الفتن

٣١- ترتيب العلامات والامارات والآيات حسب تسلسلها عند الداني.

(٣٠) خطة أبي عمرو: عثمان بن سعيد المقريء الداني في كتابه: السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها:

هو أبو عمرو: عثمان بن سعيد المقريء الداني نسبة إلى دانية والقرطبي نسبة إلى قرطبة، كان من موالي بني أمية بالأندلس، ولد سنة ٣٧١هـ أو ٣٧٢هـ كما أخبر هو عن نفسه، وعاش ٧٢ سنةإذ كانت وفاته سنة ٤٤٤هـ(١).

اقر له المؤرخون أمثال الذهبي وابن الجوزي بأنه كان على عقيدة أهل السنة والجماعة بمذهب السلف في صفات الله تعالى، وسائر المسائل الأعتقادية التي خالف فيها المتكلمون والفلاسفة عقيدة السلف رحمهم الله تعالى.

وقد أثنى عليه العلماء والمؤرخون واعتبروه علما من أعلام القراء والحفاظ في عصره فقال عنه الذهبي: الإمام الحافظ المجود المقريء الحاذق عالم الأندلس(٢)

وقد قام الدكتور ضياء الله بن محمد ادريس المباركفوري بدراسة الكتاب وتحقيقه ونشرته دار العاصمة بالرياض عام ١٤١٦هـ ،١٩٩٥م، في ثلاثة مجلدات ضم كل مجلد جزأين فجاء الكتاب حسب خطة مصنفه في ستة أجزاء.

قدم المصنف أبو عمرو الداني في الجزء الأول أبوابا عن أحكام الفتن وما يجب على المؤمن أن يتخذه من مواقف وأعمال للنجاة من غوائلها، فذكر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الآمرة باتقاء الفتن مثل قوله تعالي: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنفال] ، وقول الرسول ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم»(٣)

فجاءت عناوين بعض هذه الأبواب دالة على هذا المعنى مثل باب ما جاء في التعوذ من الفتن وجعل بعضها تحذيرا شديدا من الوقوع فيها مثل قوله «باب ما جاء

---

(١) السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها تأليف أبو عمر وعثمان بن سعيد المقريء الداني تحقيق الدكتور رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة الرياض..

(٢) مقدمة السنن للمحقق ١٠٩.

(٣) السنن ص ٢٥٧.

فى القاتل والمقتول فى الفتنة» وباب قوله ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»(١)

وقدم النصيحة للمؤمنين فى الفتنة تحت عنوان «باب الإمساك فى الفتنة» وأيضا «باب الأمر بلزوم البيوت فى الفتنة»(٢)

كما عقد باباً بعنوان «النهى عن الخروج عن الأئمة والأمراء وخلعهم وسبهم والطعن عليهم وما جاء من التغليظ فى ذلك»(٣)

وعقد المصنف باباً فى النهى عن بيع السلاح والدواب فى الفتنة، بل عقد بابا فى النهى عن الكلام فى الفتنة فأورد الأحاديث الدالة على ذم الكلام فيها، وأن بعض وقع اللسان قد يكون مثل الضرب بالسيف أو أشد منه.(٤)

كذلك أورد المصنف أكثر من أثر يحذر من كسب المال فى الفتنة وبسببها مثل قوله ﷺ: «من أصاب ديناراً أو درهما فى فتنة طبع الله على قلبه بطابع النفاق حتى يؤديه، وقوله ﷺ: «ستكون فتنة لا ينجو منهاإلا من لم يصب منها شيئا، فمن أصاب من مالها كمن أصاب من دمها» (٥)

كما وضح المؤلف فى هذا الباب أن حب الفتنة والرضا القلبى عنها وعن وقوعها أو ميل قلب العبد لأحد طرفى الفتنة وتأييده له ضد الطرف الآخر ولو بالقلب فقط هو مشاركة حقيقية ووقوع فى الفتنة كمن شارك فيها بالعمل والقول، ومن ثم يتحمل أوزارها مثلهم تماما: دماءا وأموالا وأعراضا.

وأورد فى هذا المقام حديث ابن مسعود الذى قال فيه: «تكون أعمال مَنْ رَضِيَهَا ممن غاب عنها فهو كمن شهدها، ومن كرهها ممن شهدها فهو كمن غاب عنها» (١)

وأورد كذلك قول النبى ﷺ لفريق من المتقاتلين فى الفتنة ينتهى بصاحبه إلى نفس المصير فى الآخرة.

---

(١) السنن ص ٣٣١.

(٢) السنن ص ٣٦٣.

(٣) السنن ص ٣٨١.

(٤) نفس المصدر ص ٤٤٣.

(٥) نفس المصدر ٤٦٣.

(٦) المصدر السابق بص ٤٦٥.

لعل أبو عمرو الدانى يكون رائدا في إثبات هذا المعنى فى باب مستقل بغية التنبيه إلى خطورة الوقوع فى الفتنة ليس بالعمل أو بالقول فقط بل أيضا بالتأييد القلبي.

ويمكننا أن نستنبط من هذا الجزء من كتاب الدانى أن مفهوم الفتنة عنده هى نزاع أو خلاف بين طائفتين من المسلمين يصل بهما إلى الاقتتال بالسلاح وإراقة الدماء، ومن ثم فليس الواقع فى الفتنة هو فقط الذى يحمل السلاح فى وجه أخيه المسلم، بل هو أيضا الذى أسهم فى النزاع بالعمل وبالمال وبالتحريض قولا وفعلا وبيعا وشراءا، وحتى بالميل القلبى مؤيدا هذا الفريق أو ذاك راضيا بقلبه عن إراقة دماء الطرف الذى يعارضه.

ولعل القول باللسان الذى يكون أشد من الضرب بالسيف فى الفتنة هو مثل ما يكون في زماننا هذا من الإعلاميين المستخدمين وسائل الإعلام المعاصرة مرئية ومسموعة ومقروءة، لأن الكاتب فى الصحف أو المتحدث فى الإذاعة والتليفزيون له تأثيره وتضليله لملايين المسلمين الأمر الذى يؤدى بالضرورة بكثير من المسلمين إلى المشاركة في إراقة كل نقطة دم فى المعركة وساهم فى قتل كل قتيل، وهذا يكون بلا شك أكبَر وزرا ممن شارك بسيفه وقتل أو جرح بعض الأشخاص.

من أجل ذلك عقد المؤلف رحمه الله تعالى بابا أورد فيه من النصوص ما يدل على التحذير الشديد من الخروج على الحكام والأمراء أيا كان ظلمهم وتجاوزهم، لأن ما يحدث نتيجة الخروج من انتهاك للحرمات دماء أ أو أعراضا وأموالا أعظم شرا بكثير من ظلمهم، ومن ثم فإن الخارجين على السلطان يتحملون أوزار ذلك كله.

وهكذا اقتصر الجزء الأول والثانى من كتاب السنن للدانى على بيان الفتن وما جاء فيها من نصوص تحذر من الوقوع فيها، والنصائح التى يتوخاها المؤمن للنجاة من غوائلها فلم يخرج موضوع هذين الجزئين عن الفتن.

ومن ثم فإن خطة الكتاب جاءت موافقة لعنوانه وهو «السنن الوردة فى الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها » فاستغرقت الفتن الجزأين الأول والثاني، واستغرقت موضعات الساعة وأشراطها الأجزاء الثلاثة: الرابع والخامس والسادس.

أما الجزء الثالث فقد جاء حاملا لموضوعات هي بين الفتن والأشراط وكأن المؤلف يرى أنها لا هي إلى الفتن فقط، ولا هي إلى الأشراط فقط، إذ هي من وجه من الفتن ومن وجه آخر من الاشراط.

فموضوعات الجزء الثالث هي التي أوردها بعض العلماء بعد الداني على أنها أشراط دائمة مستمرة تأخذ خلال الزمان صفة الاستمرار والانتشار مثل الأحوال والعادات والبدع والأهواء المضلة والأفعال المنافية للشرع كظهور المنكر واعتياد الناس عليه حتى يصير معروفا وغياب المعروف حتى يصبح مع تقدم الزمان غريبا على الناس ويصير عندهم منكرا وغير ذلك من قلب الأحوال والأوضاع والقيم.

وهذا كله من الفتن الدائمة المستمرة المتزايدة عبر الزمان، وهي في نفس الوقت مما يزداد مع تقدم الزمان فيكون دليلا على الاقتراب من نهاية الدنيا، ويكون أيضا من إمارات الساعة وأشراطها القريبة.

لكن أبا عمرو الداني التزم مفهوما خاصا للفتنة حصره في الحديث الساخن الذى تمثل في القتال بين طائفتين مسلمتين أو على الأقل اعتبار هذا الحديث هو قمة الفتنة التي تحدث بين المسلمين.

كذلك نستطيع أن نستنبط من تصنيف وتبويب أبي عمرو الداني لكتابه أن الخسف والمسخ والقذف والرجف والطاعون وغير ذلك من الكوارث ليست عنده من الفتن كما أنها ليست من الأشراط بل هي عقوبات ربانية يعاقب بها الله تعالى الأمة على المعاصي والفسق والذنوب بناءاً على وقوعهم في الفتن،إذ هذه الأحداث هي مما تصيب البشرية منذ وجودها على الأرض فهي ليست من أشراط الساعة، كما أنها مترتبة على وقوع الناس في الفتن وليست هي من الفتن .

ولذلك أورد هذا كله ضمن موضوعات الجزء الثالث عند أبي عمرو الداني عن تدهور الحالة الإيمانية بين شعوب الأاة الإسلامية مع تقدم الزمان وانتشار الفسق والمعاصي بينهم وزيادة بعد الأمة عن دينها، مع تقدم الزمان، الأمر الذى قد يشيع روح اليأس من الإصلاح والعودة إلى الكتاب والسنة، ، فيثبط هذا روح الدعاة، ويضعف عزيمة المجاهدين.

ومن ثم لم ينس المصنف رحمه الله تعالى أن يختم هذا الجزء بباب هام أراد أن ينبه إلى مزية من مزايا الأمة الإسلامية، وخاصية من خصائصها التى تنفرد بها عن سائر الأمم السابقة، وبخاصة اليهود والنصاري، ألا وهى استمرار طائفة الحق والإيمان بين طوائف الأمة الضالة وفرقها المنحرفة، ليس فقط استمرارها وجودا، بل استمرارها ظاهرة لتكون حجة على سائر الفرق والأمم الضالة الأخري، فعقد بابا لقول النبى ﷺ :«لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين» وأنها «لا تجتمع على ضلالة »وأنه «لا يزال فيها من إذا سئل وفق» ونحو ذلك.

وتبدو لنا أهمية ختم الجزء الثالث بهذا الباب إذا علمنا أن الفتن والأحوال السيئة التى تصيب أكثر طوائف وشعوب الأمة، بحيث يصبح البعض كفارا خارجين عن الملة، والبعض فساقا عصاة خارجين عن دائرة أهل السنة والجماعة لا تؤدى إلى ضياع أمة الإسلام على النحو الذى حدث لليهود أو للنصاري، فاجتمعوا على الضلال، ولا يستلزم حدوث هذا كله فى تاريخ أمة الإسلام اليأس من الإصلاح والعودة لدين الله تعالي، إذ يفيد هذا الخبر الصحيح نجاة طائفة من الأمة من الفتن مهما اشتدت وشاعت وترسخت فلا يصيبها ما أصاب الفرق والطوائف الأخرى من الضلالات والفتن.

وهذه الطائفة تظل هى المسلمة المؤمنة المجاهدة فى سبيل الله القابضة على دينها كالقبض على الجمر، فتكون غريبة بين الطوائف والفرق الأخرى المفتونة، ويكون أهلها هم الغرباء الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالدرجات العلى والأجر الجزيل بقوله عليه الصلاة والسلام مبشراً: «..... فطوبى للغرباء».

أما الجزآن الرابع والخامس فقد خصصهما المصنف للساعة وأشراطها ودلائل اقترابها والملاحم والفتن والآيات.

أما الجزء السادس والأخير من الكتاب فقد خصصه للأخبار الواردة فى الملحمة العظمى بين العرب والروم التى تنتهى بفتح القسطنطينية وورومية ثم خروج الدجال ونزول المسيح عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج.

وبعدها ذكر أخبار الدابة وطلوع الشمس من مغربها ثم ختم الكتاب بباب عن النفخ فى الصور وهو الحدث الذى تقوم به الساعة الوسطي.

(٣١) ترتيب العلامات والأمارات والآيات حسب تسلسلها عند أبي عمرو الداني

ذكرنا من قبل أن الموضوع الرئيسى والصريح للأجزاء الثلاثة الأخيرة من الكتاب هو أشراط الساعة.

لكن ليس معنى هذا أن الأجزاء الثلاثة الأولى تخلو تماما من بعض الأشراط، إذا وسعنا مفهوم أشراط الساعة من المفهوم المحدد الذى استخدمه أبو عمرو الدانى فى خطته، ذلك أنه يصح القول أن المصنف يفرق بين مفهوم الفتنة ومفهوم شرط الساعة.

ذلك بالرغم من أن المفهومين متداخلان، وليسا مستقلين، لأن كثيرا من الأشراط فى الحقيقة هو من الفتن، كما أن كثيرا من الفتن وردت فى الرويات والآثار على أنها من أشراط الساعة.

فإذا صح القول بأنه ليس كل شرط من أشراط الساعة فتنة بالضرورة، فإنه مما يصح أيضا، أن كل فتنة ورد ذكرها فى السنن من أخبار المستقبل هى من أشراط الساعة سواء أكانت من الأشراط البعيدة أم القريبة التى بين يَدَيْ الساعة

ومن أمثلة أشراط الساعة التى ليست من الفتن المهدي، ونزول المسيح عليه السلام، فالأول تنعم الأمة فى عهده نعمة لم تنعمها قط من الرخاء والغنى والعدل والقوة والعزة والمنعة والنصر على أعداء الإسلام، ومعلوم أن المهدى من الاشراط التى بين يَدَيْ الساعة.

والثاني: وهو نزول المسيح عليه السلام ليقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويعم به الإسلام ربوع الأرض، فهو قضاء على أعظم فتنة فى تاريخ البشر ألا وهى فتنة الدجال، وهو فى نفس الوقت من أعظم أشراط الساعة بل هو من آياتها العشر. وهو أيضا من أعلامها.

لكن يصح القول بأن كل فتنة من الفتن التى نبأت عنها الروايات هى شرط من أشراط الساعة، إذا فهمنا الأشراط بأنها الأحداث والأحوال والتغيرات التى تصيب الأمة منذ وفاة رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة، فهذا المفهوم الواسع أو هذا الماصدق» الشامل يجعل الأشراط قسمين: بعيدة عن الساعة وقريبة أو مباشرة لها.

ومن ثم فكل فتنة شرط أو علامة من علامات الساعة، وليس كل شرط أو علامة فتنة، وعلى هذا لم يكن تخصيص بعض الأجزاء للفتن فى كتاب أبى عمرو موافقا لهذا المفهوم، لأن هذه الفتن هى أشراط وعلامات وإمارات للساعة، كما أن كثيرا من الأحداث والأحوال التى وضعها ضمن أبواب الأشراط هى فى حقيقتها من أعظم الفتن، مثل فتنة الدجال الذى جاء ذكره ضمن الآيات العشر أى الأشراط العشر الخارقة للسنن، التى يدى الساعة، ومع هذا فقد ورد عند المصنف من الأشراط ولم يرد ذكره فى الفتن.

وهكذا ضمن أبو عمرو رحمه الله الأجزاء الثلاثة الأولى كثيرا من أشراط الساعة البعيدة ، باعتبارها فتنا، وليس باعتبارها أشراطا، فكأنه خصص هذه الأجزاء الثلاثة الأولى لما تعارف عليه العلماء من بعده بالأشراط الصغرى أو البعيدة وأطلق عليها الفتن، ثم جعل بقية الكتاب لما تعارف عليه العلماء من بعده باسم الأشراط الكبرى أو الأمارات القريبة من الساعة التى هى الآيات العشر، وما يتخللها من أمارات وعلامات سماها العلماء الأشراط العظمى أو الكبري.

لذلك جعل عنوان الباب الأول من الجزء الرابع بعنوان ما جاء فى الساعة وأشراطها ودلائل اقترابها، فحصر مفهوم الأشراط عنده فى العظمى تلك التى تدل على القرب الشديد للساعة، وهذا واضح من قوله فى نهاية عنوان الباب : ودلائل اقترابها.

ثم سرد كثيرا من هذه الأشراط التى اتفق جمهور العلماء على أنها من العلامات الكبرى القريبة مثل ذهاب العلم وكثرة الجهل، ومثل تقارب الزمان والتطاول فى البنيان، وموت الفجأة، وانتفاخ الأهلة، ورفع الأشرار، ووضع الأخيار، وكثرة النساء، وقلة الرجال، وخراب البلدان الواحدة تلو الأخري، فذكر خراب المدينة المنورة

ومكة المكرمة والكوفة والبصرة والشام ومصر وهكذا ..... وكلها عند أكثر العلماء من العلامات التى تسبق قيام الساعة بزمن يسير.

كذلك مما اتفق عليه العلماء أن الملاحم العظيمة بين أمة الإسلام من ناحية وبين النصارى (الروم) واليهود بقيادة الدجال من ناحية أخري، هى من العلامات القريبة التى تسبق أو تصاحب الآيات العشر وتعاصرها. ومن ثم عقد الدانى الجزء الخامس والسادس من كتابه للملاحم ولمعاقل المسلمين من الملاحم والفتن فذكر فى الجزء الخامس ما ورد فى السنن عن الآيات ومنها:

خروج النار ، والدخان، والريح، كما ذكر ما ورد فى العلامات القريبة المعاصرة لبعض الآيات مثل القحطانى والسفيانى والمهدى وهذه كلها من الشخصيات المعاصرة لأحداث آخر الزمان والمتخللة للآيات.

لكن الملاحظ أن الترتيب الذى جاء بهذه الأحداث ليس موافقا لوقوعها إذ جعل بابا فى أول الجزء لخروج النار، مع أنها آخر الآيات، كما نص على ذلك الحديث الشريف، ووضع فى هذا الباب الآثار الواردة فى النار التى تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب، ووصفها الحديث بأنها أول أشراط الساعة، ولم يحاول المصنف أن يوضح ما إذا كانت هذه غير تلك أم هى نار واحدة، ومعلوم أن هذا الخلاف قائم بين العلماء فيرى فريق أنها نار واحدة ويرى الآخر أن هذه غير تلك.

ثم ذكر أخبار الدخان ثم الريح التى تقبض نفوس المؤمنين ثم أخبار القحطانى ثم السفيانى ثم المهدى ثم ذكر خبر الجيش الذى يتوجة لغزو الكعبة، فيخسف به ثم خبر موقعة كلب التى تكون بين المهدى والسفياني.

وترتيب الدانى لأخبار هذه الأحداث فى خطته يوافقه عليه أكثر الذين كتبوا وصنفوا فى الأشراط فى بعض الأحداث، ويخالفونه فى البعض.

لأن الدخان والريح من الأحداث التى تقع بعد نزول المسيح عليه السلام، فهما ليسا قبل السفيانى والمهدى كما وردا عنده.

أما ترتيب ظهور السفيانى فالمهدى فخسف الجيش فموقعة كلب فهو مما لا خلاف فيه عند جمهور العلماء.

أما القحطانى الذى جعله سابقاً للسفيانى فلم يرد من الآثار ما يدل على أسبقيته للسفياني.

واتفق الدانى مع جمهور العلماء على ترتيب أحداث الملاحم فى الجزء السادس حسب وقوعها فى الزمان بإذن الله تعالي، فجعل الباب الأول من هذا الجزء فى خروج الروم للملحمة ففتح القسطنطينية ففتح رومية ثم خروج الدجال ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم ذكر ما ورد فى عيسى بن مريم عليه السلام، ثم ما جاء فى الدابة ثم عقد بابا بعد ذلك لطلوع الشمس من مغربها، ثم ذكر نفخ الصور الذى ستقوم به الساعة.

وهذا الترتيب موافق عليه الجمهور ما عدا ذكره يأجوج ومأجوج قبل نزول المسيح عليه السلام لأن يأجوج ومأجوج لا يخرجون إلا بعد أن يقتل المسيح عليه السلام الدجال كما دلت على هذا النصوص ذاتها، كذلك خالف أبو عمرو الدانى العلماء إذ ذكر أخبار الدخان فى الجزء الخامس منفصلا عن طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة مع أن الثلاثة تحدث فى يوم واحد تقريبا، وكل منها إذا ظهر فى مكان ما فى الأرض يغلق بخروجه باب التوبة فأكثر العلماء أنها تحدث فى أوقات متقاربة إذا ظهرت واحدة فإن الأخرى تظهر على أثرها قريبا.

ومع هذا يمكن القول أن تصور الدانى لتسلسل الآيات والعلامات أكثر وضوحاً من سابقيه، وأقرب لما أتفق عليه أكثر من كتبوا عن الأشراط من بعده، حيث نضج علم الأشراط خلال المصنفات العديدة التى صنفها، وحققها كثير من علماء الحديث اللاحقين له ، وكتابه هذا بلا شك بما تضمنه من تبويب لموضوعات الفتن والأشراط، ولما دلت عليه خطته من ترتيب للأحداث حسب فهم المؤلف رحمه الله تعالي، أقول

يعتبر ركيزة هامة من ركائز علم الأشراط فى الإسلام، هذا العلم الذى أسهم فيه المؤلف بكتابه هذا إسهاما هاما كان له أثره المستمر العميق فى نمو هذا العلم ونضجه على أيدى من جاءوا بعده.

وبالرغم من أن المؤلف لم يميز بين الآيات العشر وبين الأشراط الكبرى التى هى متخللة ومصاحبة للآيات من ناحية، كما لم يميز تمييزا دقيقا بين الفتن والأشراط، إلا أن سفره هذا يعتبر بحق من أهم وأوضح وأنفع ما صنفه علماء السنن فى الفتن والأشراط.

رحم الله أبا عمرو عثمان بن سعيد الدانى وجزاه الله تعالى عنا وعن المسلمين المنتفعين بعلمه خير الجزاء.

الفصل الثالث :

خطة القرطبى رحمه الله تعالى فى كتابه التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة

(٣٢) خطة القرطبى (١) ومنهجه فى كتاب التذكرة فى احوال الموتى وأمور الأخرة

يتضح لنا من عنوان كتاب الإمام القرطبى رحمه الله تعالى أن أكثر موضوعاته عن الموت والبرزخ والبعث والحساب والميزان والصراط والحوض والجنة وما فيها من نعيم والنار وما فيها من ألوان العذاب، وقد استغرقت هذه الموضوعات أكثر أجزاء أو فصول الكتاب، وهى لا تدخل فى موضوعنا، أما الذى يدخل فى موضوعنا فقد شغل ماأطلق عليه القرطبى «كتاب الفتن» وهو آخر كتب هذا السفر الذى شغل قرابة سبعمائة صفحة نال منها كتاب الفتن قرابة مائة وسبعين صفحة عرض فيها مع الشرح والبيان والتعليق النصوص الواردة فى كتب السنة وكتب التفسير عن موضوعات الفتن منذ مقتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه باعتبار أن هذا أول باب من أبواب الفتن فتح ولم يغلق بعد ذلك أبدا، ثم عرض بابا بعنوان «لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه»، أى أن الفتن تزداد كلما تقدم الزمان، ثم عرض ما يجب على المؤمن علمه حيال الفتن من اعتزال الفريقين المتصارعين من المسلمين، ثم جاء بالنصوص الدالة على وجوب تعلم كتاب الله تعالى والإلتزام بأحكامه، وتقوى الله تعالى توقيا للفتن والنجاة منها.

وبعد أن تحدث عن بعض المسائل المتعلقة بالفتن ذكر مقتل الحسين رضى الله تعالى عنه. ثم تحدث عن التحذير من فتنة المال والنساء، ثم بدأ الكلام عن إمارات الملاحم وتداعى الأمم على أهل الإسلام، فذكر ما جاء فى قتال الترك للمسلمين وسياقتهم للمسلمين (٢) وسياقة المسلمين لهم (٣) ، ثم تحدث عن ملاحم البصرة وبغدد والا سكندرية ثم تحدث عن الخليفة الكائن فى آخر الزمان ويقصد به المهدى وأفرد بضع صفحات للسفيانى الذى يسبق حكمه خلافة المهدى، وفَصَّلَ القول فى

---

(١) هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ.

(٢) الأرجح عندى أن سياقتهم للمسلمين هو كناية عن حكمهم للمسلمين من خلال الخلافة العثمانية.

(٣) فى آخر الزمان فى عهد المهدى حيث يفتح القسطنطينية مرة ثانية.

المهدى وفيمن يوطئ له ملكه، وهم اصحاب الرايات السود القادمون من خراسان، وذكر حكمه وأعماله حتى فتح القسطنطينية للمرة الثانية، ثم أفرد عنوانا لأشراط الساعة، وهو يقصد بها الآيات العظمى فذكر الخسوف ثم الدجال ثم تحدث عن نزول المسيح عليه السلام، وذكر خبرا يقول: إن حوارى المسيح عليه السلام بعد نزوله هم أصحاب الكهف، وتحدث بعد هذا عن يأجوج ومأجوج.

ثم تحدث عن دابةالأرض التى تكلم الناس، وذكر خبرا يقول إنها ناقة صالح عليه السلام ، ثم أفرد بابا لطلوع الشمس من مغربها، وغلق باب التوبة والأخبار الواردة فى زمن مكوث الناس فى الدنيا بعد ذلك ومدته.

ثم تحدث عن أحوال الناس بعد ذلك حتى تقوم الساعة.

وقد أفرد القرطبى بابا للآيات العشر التى تكون قبل قيام الساعة وعرض النصوص الواردة فيها ولم يحاول ترتيبها بحسب وقوعها فى الزمان، وعرض روايات متعددة تختلف فى الترتيب، من هذه الروايات ما تضمن الترتيب التالي:-

١- خسف بالمشرق.
٢- خسف بالمغرب.
٣- خسف بجزيرة العرب.
٤- الدخان.
٥- الدجال.
٦- دابة الأرض.
٧- يأجوج ومأجوج.
٨- طلوع الشمس من مغربها.
٩- نار تخرج من قعر عدن.
١٠- نزول عيسى عليه السلام.

الثانية: ومنها ما جاءت فيه الآيات بالترتيب التالي:

١- الشمس من مغربها.
٢- الدخان .
٣- الدجال.
٤- الدابة.
٥- خسف بالمشرق.
٦- خسف بالمغرب.
٧- خسف بجزيرة العرب.
٨- نزول المسيح عليه السلام.
٩- يأجوج ومأجوج.
١٠- نار تخرج من قعر عدن.

الثالثة : فى رواية ثالثة جاء هذا الترتيب:

١- طلوع الشمس من مغربها.
٢- الدجال .

٣- الدخان. ٤- دابة الأرض.

٥- يأجوج ومأجوج. ٦- نزول المسيح عليه السلام.

٧- خسف المشرق. ٨- خسف المغرب.

٩- خسف جزيرة العرب. ١٠- نار عدن.

ومن ثم عقب على ذلك القرطبي قائلا: « جاءت هذه الآيات مجموعة غير مرتبة ما عدا حديث حذيفة المذكور أولا، فإن الترتيب فيه بِثُمَّ وليس الأمر كذلك على ما نبينه.» (١)

وذلك لأن الأحاديث الصحيحة تضمنت ما يفيد نقض هذا الترتيب أيضا، وتوجد روايات لحديث حذيفة لا يتضمن (ثُمَّ) حسب وقوعها في آخر الزمان، وإنما جاءت في الروايات مجتمعة على سبيل الإحصاء، ومن ثَمَّ اختلفوا حول ترتيبها في الوقوع.

ويرى القرطبي أن الخسوف وقعت أو وقع بعضها منذ عصر النبوة والصحابة، وعلى هذا فقد جعلها أولى الآيات وصرح بوقوعها، وهذا خطأ وقع فيه بعض العلماء من بعده، وكذا صاحب كتاب الإشاعة في أشراط الساعة كما سيأتي الكلام عنه بعد.

ومما ورد في كتاب القرطبي خبر بعنوان« دروس الإسلام وذهاب القرآن»، قبل الكلام عن الآيات العشر مع أن هذا الحديث لا يكون إلا بعد طلوع الشمس من مغربها كما هو معلوم بالضرورة، لأن أهل الإيمان والقرآن موجودان في أيام بعض هذه الآيات، وإنما يكون رفع العلم والقرآن بعد الريح التي تقبض أورواح المؤمنين، وهي لا تكون إلا بعد غلق باب التوبة بالآيات الثلاث (الشمس - الدابة الدخان).

ولكن هذا لا يعتبر خطأ من القرطبي لأنه رحمه الله لم يقصد عرض الأشراط والآيات مرتبة حسب وقوعها في الزمان أي أنه لم يحاول ذلك، ولم يرغب إليه، ولم يبن خطة كتابه على هذا الأساس بدليل أنه جعل أخبار الآخرة والجنة والنار قبل أخبار أشراط الساعة.

---

(١) القرطبي / التذكرة ص ٦٥٣

الفصل الرابع

خطة ابن كثير فى كتابه النهاية فى الفتن والملاحم

(٣٣) خطة الحافظ ابن كثير الدمشقي (رحمه الله) فى كتابه النهاية فى الفتن والملاحم

هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى المولود سنة ٧٠٠هـ أو بعدها بقليل كما ذكر ذلك الذين ترجموا له، وتوفى سنة ٧٧٤هـ ومن أشهر كتبه« التفسير» و«البداية والنهاية» وهومرجع نفيس فى التاريخ فى ١٤ مجلد كبير(١). وقد أرخ فيه من بدء الخلق حتى أحداث سنة ٧٦٨هـ أى قبل وفاته رحمه الله بنحو ٦ سنوات

أما المجلدين الخامس عشر والسادس عشر من هذا الكتاب فهما بعنوان «النهاية» وكما سماها ابن كثير نفسه لأنه جمع فيهما ماصح لديه من أخبار الفتن وأشراط الساعة والملاحم وأحوال الآخرة(٢). ، وقد تم طبعهما فى سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨١ م بنفس الأسم(٣).

***أما عن خطته فى الكتاب:* فقد بدأ بذكر الأحاديث الصحيحة** التى أخبر بها رسول الله ﷺ عن أحداث عامة وخاصة ستقع بعده وتحدث لصحابته من بعده،وقد حدثت بالفعل كما اخبر بها الصادق المصدوق ﷺ، ممايعد إعجازا للنبى وأدلة كثيرة على صدق نبوته ﷺ، وقد جعل عنوان هذا الباب : بعض ما أخبر الرسول ﷺ، وبدأها بإخبار الرسول ﷺ بأنهم سيفتحون مصر، وإخباره بذهاب دولتى فارس والروم، وثم إشارة نبوية الى أن عمر رضى الله عنه سَيُقْتَل، ثم أشارة نبوية الى ما سيصيب عثمان بن عفان رضى الله عنه من المحنة، ثم جعل بعد ذلك عنوانا: إشارة نبوية إلى أن عماربن ياسر سَيُقْتَل، ثم ذكر الخبر بأن مدة الخلافة ثلاثون سنة، ثم تتحول إلى ملك، ثم إشارة نبوية إلى أن الحسن سيصلح الله به بين فتنتين عظيمتين من المسلمين، وهو كما حدث عند ما بايع الحسن رضى الله عنه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما.

---

(١) طبعته مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٥٨هـ

(٢) قام بتحقيق كتاب النهاية الأستاذ محمد عبد العزيز ونشرته دار التراث الإسلامى بمصر سنة ١٩٨١

(٣) بتحقيق الأستاذ محمد أحمد عبد العزيز نشر دار الفكر العربى

وهكذا نجد أن ابن كثير قدرتب فصول هذا الباب ترتيبا موافقا تماما لتحقيق هذه الأحداث فى الواقع التاريخى بعد وفاة رسول الله ﷺ، فجعل خبر فتح مصر قبل خبر القضاء على دولتى فارس والروم، تماما ثم جعل بعدهما خبر مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لأن هذا موافق لتسلسل هذه الأحداث، ثم خبر محنة عثمان رضى الله عنه ومقتله، ثم خبر مقتل عمار بن ياسر رضى الله عنه بعد ذلك، وأتى بعد هذا بخبر تحديد مدة الخلافة الراشدة بثلاثين سنة، وقد تمت هذه الثلاثين بستة أشهر، تولى فيها الخلافة الحسن رضى الله عنه، بعد مقتل الخليفة الراشد الرابع على بن ابى طالب رضى الله عنه، وبعدها صارالحكم ملكياً على يدى معاوية رضى الله عنه.

كل هذا يدل على النزعة التاريخية عند ابن كثير رحمه الله تعالي، فهو يتوخى التسلسل التاريخى للأحداث، وعلى اساس هذا التسلسل يصنف الأحاديث الشريفة الصحيحة، التى نبأ بها الرسول ﷺ، عن هذه الأحداث، وهو يتوخى من هذا هدفا هاما،وهو تقديم المزيد من الأدلة على صدق النبوة المحمدية، لمن تنفعه مثل هذه الأدلة من غير المسلمين فيؤمن، وكذلك هى نافعة للمسلمين إذ تزيدهم إيمانا مع إيمانهم، ومثل هذا الأمر يعد هدفا لذاته سعى إليه البيهقى فى كتابه دلائل النبوة، ولكن ابن كثير فى النهاية يبدأ بإيراد أخبار الأحداث،التى حدثت بعد وفاة النبي ﷺ، ويمضى قدما فى الكتاب حتى ينتهى بأخبار أهل الجنة وأحوالهم ومعيشتهم الأبدية فيها،وكذا أخبار أهل النار وألوان العذاب فيها،ومن ثم فهو يرى ان الأحداث التى بدأت بعد وفاة النبى ﷺ هى بداية النهاية، والنهاية عنده ليست بقيام الساعة بل بدخول الجنة او النار والعياذ بالله تعالى منها.

وحيث أن كتاب النهاية يقع فى مجلدين فإن الأول تناول أكثر أشراط الساعة التى بدأت كما ذكرنا بأخبار فتح مصر والقضاء على فارس والروم وانتهى بالنصوص التى تتحدث عن لحظة قيام الساعة بعد ذكر أكثر أخبار الأشراط التى حدثت قبل عصره وأثبت حدوثها إثباتا تاريخيا.

مثال ذلك: ذكره للحديث الشريف المتضمن« ظهور نار من أرض الحجاز تضئ لها أعناق الإبل ببصرى من ارض الشام»، ثم تعقيبه على الخبر بقوله: أن هذه النار ظهرت فى المدينة المنورة واستمرت شهرا عام ٦٥٤هـ.

ثم انتقل بعد هذا الخبر إلى تصنيف الأحاديث الحاملة للاخبار التى هى غيوب مستقبلية بعد زمانه فقال : ذكر إخباره ﷺ بالغيوب المستقبلية بعد زماننا هذا»(١)

والتى لم يعد بعضها غيبا بالنسبة لزماننا فذكر أولا من الفتن التى ستصيب الأمة بدلالة الأحاديث الصحيحة وأحوالا عامة للأمة مثل ما أشار اليه النبيﷺ من تعاقب الخير والشر،وعودة الإسلام غريبا كما بدأ غريبا، ومثل افترق الأمة ، كذلك ما خص الله تعالى به أمة المصطفى الخاتم من أنها لاتجتمع على ضلالة، بينما اجتمعت الأمم السابقة؛ اليهود والنصارى وغيرهما على الضلال.

كذلك عرض بعض الأحكام التى يحتاج إليها المسلم فى الفتن من الإذن باعتزال الناس عند إشتداد الفتن وتحكم الأهواء، والنهى عن تمنى الموت، ومع جواز تمنى الموت والدعاء به اتقاء الفتنة وخوفا منها.

وبعد هذه الصفحات القليلة انتقل ابن كثير رحمه الله تعالى إلى ماهو مباشر ورئيسى فى موضوعنا وهو ماأدرجه تحت عنوان: « بعض أشراط الساعة التى اخبر بها رسول الله ﷺ»، فذكر رفع العلم فى آخر الزمان، ثم بعد ذلك ذكرفضلا فى المهدى الذى يكون فى آخر الزمان، وأورد من الأخبار الواردة فيه، والتى صحت عنده صفحات عديدة ثم اورد نصوصا تحت عنوان: ذكرأنواع من الفتن ستكثر وتتفاقم فى آخر الزمان.

ثم تحدث عن أمور تَعْلَم انها حدثت فى عصرنا هذا، منها ما جعله تحت عنوان: إخبار الرسول ﷺ بما ستنفجر عنه الأرض العربية من ثروات هائلة، وما سيكون لهذه الثروات من إثارة الشقاق وأسباب النزاع والقتال بين الناس.

ولكنه يورد تحت هذا العنوان قول هﷺ: «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من

---

(١) ابن كثير/ النهاية ج ١ص ٢٧/ دار الفكر العربى .

ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا[1]»

وكان العنوان يشير إلى أن ابن كثير رحـمه الله تعالى يفهم أن هذا الجبل من ذهب إنماهو كناية عن ثروات تخرج من باطن الأرض العربية وإن لم يصرح بذلك.

والحق ان البترول الذى انفجرت عنه الأرض العربية هو ماينطبق عليه انه ثروات هائلة، كما انه كان سببا فى النزاع والقتال بين العرب، واقرب حدث للأذهان هو غزو العراق للكويت،و ما ترتب عليه من تواجد للقوات الأمريكية بالكويت والجزيرة والخليج بعد ذلك درءاً لتكرار هذا الغزو، وانقسام العرب وفرقتهم المستمرة.

ثم ذكر خبر الدجالين الذين يسبقون الساعة وخروج الناس أفواجا من الدين وردة بعضهم الى الصنمية، وتجمع الأمم وتكالبهم على المسلمين مع كثر ة عددهم طمعا فيهم واستخفافا بهم.

ثم ذكر خبر انتشارالغدر والخيانة بين الناس حتى لايأمن المرء جليسه، وانتشار أنواعها من الفتن والشرور تكون النجاة منها فى اعتزال المجتمع.

ثم ذكر اخبار فتنة الأحلاس التى تدوم وتستمر، ثم خبر الفتنة التى يكون وقع اللسان فيها كوقع السيف، ثم اخبارفتح القسطنطينية وورمية.

ثم ذكر بعض الأخبار عن خراب بعض البلدان إلا أنه حكم على الحديث بالوضع،ثم انتقل بعد ذلك إلى الموضوع الرئيسى فى موضوعات الفتن وهو العلامات أو الآيات التى تقع بين يدى الساعة، وهى الآيات العشر، فذكر اولا بعض العلامات التى بين يدى الساعة وأهمها فتح القسطنطينية وورمية بعد الملحمة الكبرى.

ثم تناول الآيات العشراللاتى بين يدىْ الساعة أيضا، فذكر حديث حذيفة ابن أسيد الذى جاءت الآيات مرتبة فيه كما يلى :

١ـ الدخان .	٢ـ الدجال.
٣ـ الدابة .	٤ـ طلوع الشمس من مغربها .

---

(١) النهاية ج ١ ص ٦٤ وقد عزا الحديث للبخارى .

٥ـ نزول عيسى بن مريم عليه السلام.　　٦ـ يأجوج ومأجوج.
٧ـ خسف بالمشرق.　　٨ـ خسف بالمغرب.
٩ـ خسف بجزيرة العرب.
١٠ـ نار تخرج من قبل المشرق تسوق الناس الى محشرهم.

ثم عقب بعد ذلك برواية أخرى جاء فى آخرها: ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس او تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل حيث قالوا.

كأنه بذلك يقبل هذا الأخير فى الحديث ولم يحاول ابن كثير ترتيب هذه الآيات بحسب وقوعها فى الزمان أى الترتيب الذى ستقع به، ولكنه عاد مرة اخرى إلى ذكر قتال الملحمة العظيمة مع ا لروم الذى آخره فتح القسطنطينية، إذ بعد فتحها فتح رومية ثم يخرج الدجال، فأورد الأحاديث التى صحت عند العلماء حول هذه الملحمة العظيمة، وكأنه عمد الى ترتيب الحدث قبل الحدث، حسب وقوعه فى الزمان، لأنه أتى بعد هذابخبر نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وقتله للدجال.

وذكر بعض أحاديث عن الروم وبعض خصالهم الحسنة وكثرتهم فى الناس قبيل قيام الساعة، ثم أورد حديث الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة اشهر [(١)] وهذا يفيد ترتيب هذه الأحداث وقربها الشديد وهى تدور حول آيتين من الآيات العشر، هما خروج الدجال ونزول المسيح وقتله إياه.

إلا أن ابن كثير لم يرتب الآيات حسب الترتيب المرتقب أن تحدث به فى الزمان، فقد عاد وأ فرد للأحاديث الواردة فى الدجال عنوانا رئيسيا «الكلام على احاديث الدجال»[(٢)]، ذكر فيها احاديث ابن صياد ثم التحذير من الدجال واوصافه وانتهى الى ترجيح القول بان ابن صياد هوالدجال الأكبر، وإن كان احد الدجاجلة الكبار الكثار، ثم ذكر حديث الجساسة ونزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ومقتل الدجال، واستمر فى ذكر أخبار الدجال حتى شغل قرابة المائة صفحة ثم انتقل إلى ذكر نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء الى الأرض [(٣)].

---

(١) النهاية ج ١ ص ٩٧.
(٢) النهاية ج ١ ص ١٠٣.
(٣) السابق ص١٨٢.

ثم بعد ذلك أتى بالأحاديث التى تتحدث عن يأجوج ومأجوج [1]، ومن ثم فإن ابن كثير يتفق مع نعيم بن حماد رحمهما الله تعالى على النحو التالى :

١ـ المهدي. ٢ـ فتح القسطنطينية وروميه.

٣ـ خروج الدجال . ٤ـ نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال.

٥ـ خروج يأجوج ومأجوج.

ثم عقد بضع صفحات ضمت اخبار خروج الدابة من الأرض [2]. ثم ذكر خبر طلوع الشمس من مغربها [3] ثم ذكرالدخان الذى يكون قبل يوم القيامة [4].

ومِنْ ثَمَّ يكون ابن كثير قد رتب الآيات الست على النحو التالي:

١ـ الدجال. ٢ـ نزول عيسى عليه السلام.

٣ـ خروج يأجوج ومأجوج. ٤ـ الدابة

٥ـ طلوع الشمس من مغربها ٦ـ الدخان.

ويتفق أكثر العلماء معه فى هذا الترتيب فتكون خطته فى عرض هذه الآيات الست موافقة لترتيب حدوثها فى الزمان، ويبقى بعد هذا اربع آيات هي:

١ـ خسف المشرق. ٢ـ خسف المغرب. ٣ـ خسف جزيرة العرب.

٤ـ النار التى تخرج من قعر عدن وهى آخر العلامات.

بيد أنى لم اجد فى خطة ابن كثير ما يشير الى ترتيب حدوث هذه الآيات الأربع، والجدير بالذكر أن ابن كثير رحمه الله تعالى لم يعمد الى الترتيب الزمنى للأشراط والآيات التى بين يدى الساعة، ولم يحاول ذلك، إلا أنه رتب بعض الآيات بحسب وقوعها فى الزمان دون البعض، لأن بعض لآيات ورد بالنصوص ما يفيد اسبقية حدوثها على بعض، وهذه هى التى أوردها مرتبة، اما الأربعة الأخيرة وهى الخسوف الثلاثة والنار فقد تحير فى ترتيب حدوثها كثير من العلماء ومنهم نعيم كما ذكرنا ، ومن ثم سكت عنها ابن كثير.

لكن من الجدير بالذكر ايضاً أنه ذكر من الأشراط قبل الآيات مالايحدث إلا بعد

---

(١) السابق ص ١٩٤. (٢) السابق ص٢٠٨.

(٣) السابق ص ٢١٤ . (٤) السابق ص٢٢٣.

وقوع بعض الآيات او مايحدث متخللاً للآيات منها: رفع العلم، وغزو الأحباش للكعبة المشرفة وهدمها، إذ جعلها قبل طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وفى هذه خلاف بين العلماء، ولكنه يتفق مع أكثر العلماء، إن لم يكن كلهم فى ان المهدى وفتح بلاد الروم يسبقان خروج الدجال.

وهذه النتيجة لها قيمتها الكبرى علميا وتاريخا، لأن ابن كثير له منهجه النقدى المتشدد سواء للسند او للمتن، هذا التشدد الذى جعله يسقط كثيرا من الأخبار والنصوص الصحيحة لغرابتها أو لمجرد الضعف الخفيف فى السند الأمر الذى يجعلنا مطمئنين الى صحة النصوص التى تنبئ بمجئ المهد ى وإقامة الخلافة الراشدة وفتح قسطنطينية مرة ثانية ثم فتح روما التى منهاجانب فى البحر وجانب فى البر ، ومن ثم يخرج الدجال على اثر ذلك ، ثم ينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام على اثر خروجه او بعد اربعين يوما لخروجه. ثم يقتله ثم خروج يأجوج ومأجوج بعد ذلك.

لأنه إذا كان منهج ابن كثير المتشدد فى النقد قد قبل هذه الأخبار فلاسبيل لأحد بعده لإنكارها.

والخلاصة: أن خطة ابن كثير رحمه الله تعالى لم تجعل ترتيب الاشراط التى لم تحدث حتى عصره حسب وقوعها مطمحا رئيسيا، ولم تجتهد لمعرفة ترتيب الآيات،وما تَوَصَّلَ اليه من ترتيب الآيات الستة المذكورة ليس اجتهادا وإنما هو بدلالة النصوص الصريحة، ومن ثم لم يذكر مطلقا الآيات الأربع ، وهذامنهج العالم الحصيف الذى لايكتب ولايتحدث إلابما تثبت صحته لديه.

ولئن كان ابن كثير كذلك، وهو بلا شك منهاج وسبيل الراسخين فى العلم من علماء هذه الأمة، فإن علماء آخرين آثروا الأجتهاد فى هذه القضية الهامة غير خائفين من الخطأ املا فى ان يمن الله تعالى عليهم بالحق واصواب، فينفع الله باجتهادهم المسلمين ، وينالوا أجر المجتهد المصيب ، اويمن الله تعا لى عليهم بالمغفرة إذا أخطأوا وينالوا اجر المجتهد الذى لم يوفق الى الصواب

من هؤلاء الذين سنعرض لخططهم ومنهجهم البرزنجى والسفارينى وبعض العلماء المعاصرين.

الفصل الخامس

خطة الشريف محمد بن رسول الحسيني البرزنجي رحمه الله تعالى في كتابه: «الإشاعة لأشراط الساعة»

٣٤ ـ خطة البرزنجي في كتابه الإشاعة

٣٥ ـ تسلسل احداث «الأشراط العظمي» الأمارات والآيات عند البرزنجي

(٣٤) خطة البرزنجي فى كتابه الإشاعة لأشراط الساعة

هو الشريف محمد بن رسول الحسينى البرزنجى من فقهاء الشافعية له علم بالتفسير والأدب، رحل الى بغداد ودمشق ومصر، استقر فى المدينة ودرس بها، وفيها توفى سنة ١١٠٣هـ وله عدة كتب هذا واحد منها.

وقد صدرت الطبعة الأولى للكتاب بدون تحقيق بالقاهرة وذكرالبرزنجى ما دعاه الى تأليف الكتاب بقوله:« فإنى لما رأيت الحافظ جلال الدين ابا الفضل عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى ذكرفى خطبة كتابه الذى ألفه فى بيان حال الموتى المسمى بشرح الصدور بشرح حال الموتى فى القبور مانصه: وأرجو إن كان فى الأجل فسحة ان اضم إليه كتابا إن شاء الله تعا لى فى أشراط الساعة وآخر فى احوال البعث والقيامة وصفة الجنة والنار على وجه الاستيعاب ايضا، حقق الله ذلك بمنه وكرمه.

ووجدته قد ألف فى أحوال البعث وما بعده كتابا سماه «البدور السافرة فى أمورالآخرة» ولم اجد له كتابا فى اشراط الساعة إما لعدم تأليفه او لانعدامه اولغير ذلك، احببت ان أؤلف فى أشراط الساعة كتابا مستوعباً لها، وكما أراد الحافظ السيوطى فيكون برزخا بين كتابيه شرح الصدور والبدور السافرة اومقدمة لهما[١].

ومن ثم يمكن القول ان البرزنجى هو اول من افرد لأشراط الساعة كتابا مستقلا مستوعبا لما كتبه السابقون عليه فى هذا الموضوع، إذ كان اكثر العلماء يجعلون الأشراط فصلا فى باب الفتن، كما خلط بعضهم بين الفتن والأشراط فى حين كل فتنة من ا لأشر اط، وليس كل شرط من اشراط الساعة فتنة، لأن المهدى الذى يعتبره العلماء من الأشراط العظمى ليس فتنة، اوزعيما لفتنة، وإنما هو خليفة راشد وقائد هدى وقامع فتنة، على هذا فموضوع الأشراط مستقل عن الفتن، إن كان ثم تداخل بينهما ، الأمر الذى يوجب إفراد هذا الموضوع فى كتب مستقلة، و هومافعله البرزنجى بتوجيه من السيوطى رحمهما الله تعالى .

---

(١) ا لإشاعة ص ١

ذكر البرزنجي خطته العامة في الكتاب بقوله : انقسمت الأمارات الى ثلاثة اقسام:

١ـ قسم ظهر وانقضى وهى الإمارات البعيدة

٢ـ وقسم ظهر ولم ينقض، بل لا يزال يتزايد ويتكامل، حتى إذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث.

٣ـ والقسم الثالث هو الأمارات القريبة الكبيرة التى تعقبها الساعة كنظام خرز انقطع سلكها.

فلنذكر كل باب على حدته، وهذاترتيب لم اره لغيري، ولعله اقرب الى الضبط وانفع للعوام إن شاء الله تعالي»[١]

ومن ثم جعل الكتاب ثلاثة ابواب لكل باب قسم من ا لأشراط، وقد جعل عنوان القسم الأول : الإمارات البعيدة التى ظهرت وانقرضت، وقد بدأها بموت النبى ﷺ، وهو من اعظم المصائب فى الدين بل هوأعظهما»[٢]

ثم استرسل فى سرد النصوص النبوية التى نبّأتْ عن الأحداث التالية التى هى اقرب للشر وللفتن، مثل قتل عمر بن لخطاب، ثم قتل عثمان بن عفان رضى الله عنهما، ثم وقعة الجمل ووقعة صفين ووقعة النهروان ثم مقتل الإمام على بن ابى طالب رضى الله عنه ، ثم موت الحسن بن على رضى الله عنه، ثم مقتل الحسين رضى الله عنه ثم وقعة الحرة ومنها خراب المدينة، ثم قتل ابن الزبير وهدم الكعبة، ثم بعد ذلك انتقل الى فتنة الفاطمية واستيلائهم على المغرب، وثم غزو التتار للعالم الإسلامي.

كذلك لم يقتصر فى هذا الباب على الأحادث التاريخية، إذ أضاف اليها بعض الأشراط التى نبأ بها رسول الله ﷺ فى مجال الأحداث الطبيعية او الكونية او الجيولوجية، مثل نار الحجاز التى اضاءت لها اعناق الإبل ببصرى بالشام هذا الحدث

---

(١) البرزنجي / الإشاعة ص ٣

(٢) الإشاعة ص ٤

الذى ذكر ابـن كثير رحـمه الله أنه حدث فى عـصره وذكر البـرزنجى أنه قد صـاحبه زلازل شديدة وحدث بـعده بسنتين غـرق اهل بغداد والعراق بـفيضان شديد لـنهر دجلة ثم غزو التتار وقتل الخليفة المستعصم.

ثم ذكر فـتنة الرافـضة واستبـدادهم بالملك بـعد ذلك، ومن اهـم علاماتهـم انهم لايشهدون جمعة ولاجماعة ويطعنون على السلف الأول اى يسبون الصحابة.

ثم ذكر خبر خروج الدجالين الكذابين الذين زعموا أنهم رسل الله عز وجل، كما نبأ عنهم المصطفى الخاتم ﷺ.

وتحدث بعد ذلك عن القرامطة بإعتبار ان أبا طاهر القرمطى احد هؤلاء الدجاجلة وتحدث عـن زوال الجبـال عن اماكـنها ووقـوع الخسـوفات الثـلاث وكثـرة الزلازل والرجف والمسخ والقذف والريح الحمـراء، وظهورالكوكب الذى له ذنب ، ورضخ رؤرس اقوام بكواكب من السماء، وكثرة الموت والقحط.

ثم يختتم هذا الباب بتنبيه فى قوله ﷺ (الفتن بعدالماتين) فقال : إن هذا يحتمل أن تكون الماتتان بعد الـهجرة،ويحتمل أن تكون الماتتان بعد الألـف، ثم يرجع الإحتمال الأول لان اكثـر ما ذكره فى هـذا الباب من الـفتن الخلافـية وفتن الفـرق والأحداث الجيولـوجية من الـزلازل والخسف قد حدث فـى القرن الثـالث وما بعـده، والجدير بالذكر هنا ان البرزنجى قد رأى ان الخسوفات الثلاثة التى هى بعض الآيات العشر قد حدثت فيما حدث بعد الماتيْن وقبل الألف، وهذاخطأ منه سنوضحه فى حينه من بعد بإذن الله تعالي.

وهو يرى أنه لو كان المقصود بالماتين بعد الألف لايلزم أن يتأخر المهدى الى القرن الثالث عشر لانه يجوز أن يأتى المهدى قبيل هذه الآيات التى يكون المقصود بها طلوع الشمس من مغربهـا والدابة والدخان، ومن ثم يرجح ظهور المهدى خلال المائة الثانية بعد الألف أى قبـل عام ١٢٠٠هــ وقطـع بذلك بقـوله (فـلا يتأخـر عن المائة الثانية قطعاً).

ثم انتـقل بعد هذا إلـى الأحاديث التى أنبأنا فيـها الرسول ﷺ عن الأمـارات التى

ظهرت واستمرت، بعد ظهورها، وتتزايد الى ان تتكامل فيحدث بتكاملها القسم الثالث من الأشراط

وقد أطلق البرزنجى على هذا القسم من الأشراط الأمارات المتوسطة،و هو موضوع الباب الثانى من الكتاب، وبقراءة هذا الباب ندرك انه يقصد بالأمارات التى لاتنقضى وتستمر وتتزايد الأحوال السياسية والاقتصادية والعلاقات الدولية وكذا احوال المسلمين الخلقية والأسرية وتطورات هذه الأحوال عند البشر عموماً.

فأورد الأحاديث التى تدل على زيادة الشر فى الأرض يوما بعد يوم وطغيان الكفر والإلحاد وانحسار الإسلام والإيمان رويدا رويدا حتى لايكون الإيمان إلا فى الحجاز اومكة والمدينة المنورة وهذا فى آخر الزمان بطبيعة الحال.

والأحاديث الدالة على الإنحلال الجنسى وإباحة الزنا والشذوذ وقطيعة الرحم وحكم الرويبضة وسفلة الناس واللئام، وفشو الكذب والغدر وكذا تخوين الأمين وإئتمان الخائن الى آخر ذلك من الأمور الخلقية والأحوال الاجتماعية للناس التى نبأ عنها رسول الله ﷺ وبدأ حدوثها منذ قرون وتزداد وتشيع بين الناس حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا ومنها شيوع الربا.

ولا شك ان التغيرات الاجتماعية والخلقية والسياسية والاقتصادية هى من الأمورالتى تحدث خلال اجيال متعددة وليس حدوثها طفرة خلال العام الواحد او الجيل الواحد.

وكذا ما يستحدث من تطور عمرانى او تقدم صناعى أيضاً هو من هذا القسم لأنه يتحقق خلال الأجيال والقرون مثل التطاول فى البنيان الى ان نطحت العمارات السحب.

وكذلك مثل زخرفة المساجد وتحلية المصاحف وإطالة المنابر وما ورد عن حديث الرجل لسوطه،وكثرة القذف،وتقارب الأسواق وغير ذلك من الأحوال المتزايدة حتى إذا اكتملت بدأ القسم الثالث من الأشراط وهى التى افرد لها الباب الثالث.

وغنى عن البيـان ان البرزنجى لم يعاصر اكتمال هـذه الاشراط الوسطي، وإن كان قد شاهد وعاين كثيرا منها كما ذكر ذلك اكثرمن مرة.

اما القسم الثالث فقد خصص له البـرزنجى الباب الثالث والأخير من الكتاب وقد سماه فى الأشراط العظام والأمـات القريبة التى تعقبها الساعـة، وقد افرد لهذا الباب اكثر من مائتة وعشرين صفحة اى قرابة ثلـثى الكتاب، وهى عنده التى ستبدأ فى آخر الزمان بين يدى الساعة بعد ان تكتمل الأشراط الوسطى تماما.

ومعلوم لنا مماسبق أن مـوضوع هذا القسم مما اختلف فيه العلماء فـلم يتفقوا على ترتيب احـداثه، إلا فيما يخـص بعض الأحداث التى دلـت الأحاديث على ترتـيبها، ومعلوم لنا ايضا مماسبق ان الآيات العشر الـتى تسبق الساعة مباشرة هى اهم احداث هذا القسم، وللبرزنجى اجتهاده الخاص لترتيب هذه الأحداث كما سنري.

(٣٥) ترتيب وقوع الأشراط العظيمة (الإمارات والآيات) عند البرزنجي

١ ـ الفتن الواقعة قبل المهدي.

٢ ـ العلامات التى يعرف بها والأمارات الدالة على قرب خروجه

٣ ـ اسمه ونسبه ومولده ومبايعته ومهاجره وحليته وسيرته.

٤ ـ ذكر الملحمة الكبرى وهى التى تكون بين الأمة الإسلامية بقيادة المهدى وبين الروم (أوربا)

٥ ـ ذكر خروج الدجال : اسمه ونسبه ومولده.

٦ ـ حليته وسيرته وزمنه

٧ ـ خروجه ووقته ومدته وكيفية خروجه وطريق النجاة منه.

٨ ـ نزول عيسى بن مريم عليه السلام، حليته وسيرته

٩ ـ قتله للدجال

١٠ ـ مدته ووفاته.

١١ ـ خروج يأجوج ومأجوج ثم هلاكهم.

١٢ ـ خروج القحطانى والجهجاه والهيثم والمقعد.

١٣ ـ طلوع الشمس من مغربها.

١٤ ـ الكلام على دابة الأرض

١٥ ـ الدخان.

١٦ ـ الريح الطيبة التى تقبض ارواح المؤمنين

١٧ ـ عقم النساء.

١٨ ـ رفع القرآن من المصاحف والصدور

١٩ ـ هدم الكعبة

٢٠ ـ رجوع الناس الى عبادة الأوثان

٢١ ـ ريح تلقى الناس فى البحر

٢٢ ـ قصد الزمان وتقارب الأيام.

٢٣ ـ نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى محشرهم وهى آخر الآيات العشر.

ثم ختم الكتاب بخاتمة فى ذكر الباقى من عمر الدنيا الى قيام الساعة بعد خروج النار،و أورد قبل ذلك ان عمر الدنيا بعد قبض المؤمنين بالريح وبقاء الأشرار مائة وعشرين عاماً.

والذى يمكن ملاحظته على خطة البرزنجى مايلي:

١ـ لاشك أنه يُعتبر حتى عصره من **أكثر العلماء توفيقاً** فى وضع خطة التى لم يسبقه احد إليها، فهى تمتاز بوضوح الرؤيا بالنسبة لأشراط الساعة، إذ جعل الأبواب بحسب طبيعة الأشراط مع مراعاة ترتيب الأشراط فى كل باب بحسب اسبقية كل منها فى الحدوث فكان تاريخيا بالنسبة لما وقع من الأشراط قبل عصره، وكان ترتيبه اجتهاديا بالنسبة لما هو مستمر حتى عصره وبالنسبة لمابعده.

٢ـ اخطأ البرزنجى بوضع الخسوفات الثلاث ضمن الباب الأول باعتبار أنها قد حدثت فى زمن بعض الخلفاء العباسيين معتمدا على وقوع بعض الخسوف والزلازل فى مختلف بلاد العالم الإسلامي، وقد ذكر عددا كبيرا من الخسوف والزلازل تدليلا على رأيه هذا،ولكن هذا خطأ منه لأسباب متعددة:

أ ـ أن **الخسوفات الواردة ضمن الآيات العشر** ثلاث بالعدد كما نصت عليها الأحاديث الخاصة بالآيات وهي: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، بينما الخسوف التى ذكرها اكثر من ثلاثة.

ب ـ **الخسوفات الثلاث** آيات فهى إذن أحداث خارقة لسنن الطبيعة اوقوانين إضطرابات القشرة الأرضية التى تحدث بين الحين والأخر فى بعض قطع الارض

غير المستقرة ذات البراكين والزلازل، وكونـها آيات، اى انها ستكون خسوفا عظيمة ولم يحدث لها نظير من قبل ، بينما الخسوف التى عرضها البرزنجى من قبيل الأحداث الجيولوجية المحلية المعروفة المتكررة.

ج ـ **الآيات كلها تقع بين يدى الساعة**، وهى من العلامات العظمى كما عبر عنها البرزنجى فكيف يقع بعضها فى القرو ن الخمسة الهجرية الأولى ، ثم يتأجل أو يتأخير وقوع البعض حتى نهاية القرن الحادى عشر الذى عاصره البرزنجى وكذلك حتى نهاية القرن الرابع عشر الذى نعاصره نحن الآن و معلوم أن الآثار كثرت فى إثبات ان الآيات كخرزات منظومات فى سلك، إذا انقطع تساقطت منه تباعا بحيث لايكون بين بعضها والآخر فترات زمنيه طويلة .

د ـ **لم يدرج البرزنجى الخسوف ضمن الأشراط الكبرى** كما انه لم يفرق فى هذه القسم بين الآيات والأشراط او العلامات، ومع ان حديث الرسول ﷺ لم يطلق على هذه العشرة سوى لفظ الآيات ومنها الخسوف ، فإذا بالبرزنجى يدخل فى هذا القسم من الأشراط ماليس من الآيات ، كما انه ادخل فى غير هذا القسم الخسوف وهى من الآيات.

هـ ـ **ونتيجة لإسقاط الخسوف من الآيات نجد البرزنجى** قد رتب الآيات السبع الباقيات كالتالى :

٣ـ الدجال. ٤ـ نزول المسيح عليه السلام

٥ـ يأجوج ومأجوج ٦ـ طلوع الشمس من مغربها.

٧ـ الدابة ٨ـ الدخان

٩ـ النار التى تخرج من قعر عدن

وهو بلاشك موفق بالنسبة لترتيب هذه الآيات اكثر من غيره من العلماء السابقين، عليه كما رأينا وكما سنرى تفصيلاً، ولو لم يغفل وضع الخسوف معها لكان له سبق الوصول إلى الترتيب الذى ترجح صحته عندى فى الجزء الأول من هذا الكتاب

و- **يلمس القارئ لهذا القسم من كتاب البرزنجي بعض التردد والاضطرابات** حيال ترتيب العلامات العظمى المصاحبة والمتخللة للآيات وهو ما وجدته عند كل السابقين عليه، من هذا مثلا: أنه جعل رفع القرآن الكريم من الصدور والمصاحف بعد قبض أرواح المؤمنين بالريح الطيبة وهذا قول متناقض لان الصدورالحاملة اللقرآن الكريم صدور مؤمنين وبالتالي لايبقى صدر بعد الريح التى تقبض أرواح المؤمنين حافظاً للقرآن كما لايبقى قرآنٌ فى المصاحف بعد قبضهم حيث لاينتفع به احد من الكافرين.

ولكن أيّاً كانت الملاحظات على خطة البرزنجي فى كتابه، فمن حقه علينا أن نقول أنها أفضل خطة للأشراط حتى عصره وأنه رحمه الله تعالى قد صدق عندما قال عنها،« وهذا ترتيب لم أره لغيري، ولعله اقرب الى الضبط وانفع للعوام ان شاء الله تعا لى» وأشهد أنه كما قال بإذن الله تعالى.

بل ربما صح القول أنه لم يكتب بعد البرزنجي فى الأشراط أحدإلا وتأثر بخطته غير المسبوقة ، وأثره واضح فى المعاصرين كما سنرى عندهم بإذن الله تعالى.

الفصل السادس
ترتيب السفارينى للأشراط في كتابه لوامع الأنوار البهية

٣٦ـ ترتيب السفارينى للاشراط فى كتابه لوامع الأنوار

(٣٦) خطة العلامة محمد سالم السفاريني في كتابه لوامع الأنوار البهية.

عاصر السفاريني رحمه الله القرن الثاني عشر الهجري حيث توفى بنابلس عام ١١٨٨هـ، ومن ثم يكون قد استفاد من الشريف البرزنجي وممن سبقوه من العلماء الذين كتبوا في هذ العلم، ويعتبر كتابه «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية»، سفراً ضخما بحث في الجزء الأول منه جميع مسائل التوحيد الرئيسية وعرض فيها لأقوال الفرق المخالفة لعقيدة السلف وأهل السنة والجماعة وتصدى للرد عليها لبيان زيفها ومواضع الإنحرافات فيها.

وفي الجزء الثاني تناول بعض السمعيات التي تختص باليوم الآخر والموت والبرزخ وانتهى الى عقد باب خاص بأشراط الساعة عرض فيه للأقسام الثلاثة حسب خطة الشريف البرزنجي.

أ - ما قد مضى وانقضي.

ب - ما ظهر واستمر.

جـ - العلامات الكبري

وقد اختصر القسمين الأول والثاني في بضع صفحات ثم فصل تفصيلاً دقيقا في القسم الثالث في قرابة الثمانين صفحة حتى يحق لنا ان نعدل عنوان هذا الباب عنده ليكون في أشراط الساعة الكبري بدلا من العنوان الحالي وهو في اشراط الساعة، لان الأشراط ماقبل الكبرى لم تكن عنده إلا كتمهيد لموضوع الأشراط الكبري.

ومع ان السفاريني قد بدأ الاشراط الكبرى بأحاديث المهدى على الفور من غير أن يقدم الترتيب الذي سيتبعه في عرض الأشراط الكبرى والآيات إلا أنه يفاجئنا في منتصف الباب تقريبا بعد الكلام عن طلوع الشمس من مغربها وهي العلامة الثامنة عنده بعقد مبحث صغير عن ترتيب الآيات،وكان الأجدر ان يكون هذا المبحث في اول الفصل، إذ يتضمن هذا المبحث خطته في عرض الآيات والأشراط الكبرى قال السفاريني: وقال الحليمي من الشافعية : أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها».

«قلت: [1] والذى يظهر،و الله أعلم، أن أول الآيات خروج المهدى ثم الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم هدم الكعبة ثم الدخان ثم ارتفاع القرآن ثم طلوع الشمس من مغربها،ويحتمل ان طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها فى يومها اوقريبا منها، وهذا هو النسق الذى مشينا عليه وإخترناه والله أعلم، وأما خروج السفيانى فإنه و إن كان قبل خروج المهدى إلا انه لم يعد خروجه آية وإنما هو علامة لخروج المهدى والله أعلم[2].

(٣٧) ترتيب السفارينى للإمارات والآيات التى يطلق عليها الكبرى حسب حدوثها فى الزمان:

أما ترتيب الأشراط عنده، فقد اجتهد رحمه الله تعالى ليقدم لنا الأشراط والآيات متسلسلة من أول العلامات الكبرى إلى آخرها التى تقوم بعدها الساعة،وهى عنده كالتالى :

١ـ مايسبق المهدى من علامات وفتن هى

أ ـ خروج السفيانى ويعاصره الأبقع والأصهب والأعرج الكندي

ب ـ خروج **الحارث والمنصور، و ذكر شعيب ابن صالح**

٢ـ العلامة الأولى **المهدي**: اسمه واسم ابيه وسبب تسميته بالمهدى ونسبه وحليته وصفته وسيرته وبيعته ومايتصل بها ومدة ملكه.

٣ـ العلامة الثانية وهى **الدجال**

أ ـ ماجاء فى صفته وقول البعض انه شيطان لاإنسان

ب ـ عظم فتنته ومدة بقائه وطول بعض ايامه.

---

(١) القائل هو السفارينى انظر لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٤١

(٢) السفارينى / . لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٤٢

انا استخدم مصطلح الكبرى هنا التزاما بأمانة عرض مذهبه،وإن كنت لا اوافق عليه حسب ما فصلته من قبل تحت عنوان المصطلحات الأربعة. د. الدسوقى.

ج ـ جنة الدجال وناره، هل حقيقة ام تخييل؟!

د ـ المؤمن الذى يقتله الدجال.

٤ـ العلامة الثالثة وهى نزول **عيسى** عليه السلام.

أ ـ الأدلة على نزوله من الكتاب والسنة والإجماع.

ب ـ حليته وسيرته.

ج ـ وقت نزوله ومحله وما يجرى على يديه

د ـ قتله للدجال وقتل المسلمين لأتباعه من اليهود

٥ـ العلامة الرابعة : خروج **يأجوج ومأجوج**

أ ـ إثبات وجودهم وخروجهم بالكتاب والسنة

ب ـ اشتقاق الاسمين، وإثبات نسبهم وقبائلهم.

ج ـ سبب خروجهم وإهلاكهم

د ـ هلاكهم

٦ـ العلامة الخامسة **هدم الكعبة**

٧ـ العلامة السادسة **الدخان**

٨ـ العلامة السابعة : **رفع القرآن**

٩ـ العلامة الثامنة: **طلوع الشمس من مغربا**.

١٠ـ العلامة التاسعة: **دابة الأرض**.

١١ـ العلامة العاشرة: **النار التى تخرج من قعر عدن**

وبالرغم من أن **السفيانى** من العلامات المعاصرة **للمهدى** إلا أن السفارينى لم يدرجه من العلامات اوالآيات الكبرى، معللاً مسلكه هذا بأنه ليس من الآيات وإنما هو من علامات خروج المهدي.

وما يمكن ملاحظته على خطة السفارينى مايلي:

١ـ خلط السفارينى بين الآيات العشر التى تسبق الساعة مباشرة وبين العلامات فلم يفرق بين مفهوم كل منهما، وهو أمريورث اللبس وهذا ماحدث عنده وعند من جاءوا بعده، وبالرغم من أن رسول الله ﷺ أفرد للآيات العشر حديثا،ولم يطلق اسم الآية إلا عليها ،بينما ذكر ماسوى هذا من العلامات تحت اسم الأشراط،ومن ثم فقد وجب التمييز بين مفهوم الآية ومفهوم الشرط او العلامة كما وضَّحْتُ هذا فى الباب الأول.

٢ـ أدخل السفارينى المهدى فى الآيات، واعتبره واحداً منها، مع ان الروايات لم تذكره منها إذ جاءت فيها جميعاعلى سبيل الإحصاء عشر فقط وليس فيها المهدى ، وأدخل السفارينى أيضا فيها هدم الكعبة ورفع القران الكريم ومن ثم ترتيبه للعلامات العشر قد اشتمل على ثلاث علامات ليست من الآيات، ومع ملاحظة أنه توقف عند آخرها وهى النار التى تخرج من قعر عدن، وهى فى حديث الآيات العاشرة والآخيرة .

٣ـ اغفل السفارينى الخسوف الثلاثة الواردة بأحاديث الآيات، وأحل محلها العلامات الثلاث السابق ذكرها، فانضبط العدد وجاءت النار رقم (١٠) فى العلامات الكبرى، كما أطلق عليها، وعلى هذا فقد اعتبر السفارينى هذه الخسوف من العلامات التى انقضت، ومن ثم فهى ليست من الكبرى عنده، هذا خطأ وقع فيه كما وقع فيه البرزنجى من قبل ، لان هذه الخسوف هى من احداث القيامة المصاحبة لزلزلة الساعة، كما وضحت من قبل فى الجزء الأول .

٤ـ لم يورد السفارينى من العلامات الكبري: الريح التى تقبض ارواح المؤمنين، ورفع العلم بقبض العلماء، والملحمة، وفتح القسطنطينية مرة ثانية، وفتح رومية. هذه جميعا من العلامات الكبرى التى نصت عليها كثير من الأحاديث وهى مصاحبة للمهدى او للعهد المهدوي، وهو لم يوردها لانها ليست من الآيات بالرغم من أنه اورد المهدى الذى تحدث فى عهده هذه الأحداث وهو ليس من الآيات، ولعله رحمه الله توخى ذلك لضبط العلامات إحصائيا فلا تزيد عن العشر. وهذا كله

نتيجة الخلط بين مفهوم الآية ومفهوم الشرط اوالعلامة، وعدم التمييز بين كل منها.

ومن ثم يمكن القول بناء على هذه الملاحظات ان الآيات التى هى خرزات فى سلك تتوالى إذا انقطع ، كما وصفها الحديث الصحيح، هى جميعا من العلامات العظمى، وإن لم تكن كل العلامات العظمي، إذا كان فهمنا للعلامات العظمى انها التى تحدث بين يدى الساعة والمباشرة لها.

فالخسوف الثلاثة إذن هى من العلامات العظمي، ومما يقع بين يدى الساعة، لم تقع من قبل، ومن ثم فهى إما أن تكون قبل المهدى مباشرة، او معاصرة له، أو بعده مباشرة ، أو قد تكون بين الآيات السبع ا لأخري، فمن الخطأ إذن تصنيفها ضمن العلامات الصغرى التى انقضت من قبل فى عصر الخلافة العباسية او ما بعدها.

لاشك ان المهدى من العلامات العظمي، بدليل معاصرته للدجال ومعاصرته ايضا لنزول المسيح عليه السلام، وكل منهما من الآيات من ثم فهو عندى من الأمارات.

ومن ثم فإنه يصح استنباط العلماء القائل بأن السفيانى من العلامات العظمى او الكبرى، مع انه ليس من الآيات، وذلك لمعاصرته للمهدي، لكن السفارينى رحمه الله تعالى أصر على أن الكبرى عشر فقط: ثلاث علامات وسبع آيات وهذا مما أورث اللبس والخلط بين الآيات والعلامات عند العلماء من بعده، وعقد مسألة ترتيب وتعيين زمان الخسوف وموضع هذه الآيات الثلاث بين الآيات العشر.

لذا يمكن القول ان هذا الترتيب الذى وضعه السفارينى للأشراط الكبرى إنما هو مجرد نقل عن البرزنجى مع الاختصار والحذف

وليس للسفارينى من اجتهاد سوى اختيار مصطلح العلامات الكبرى متحاشيا لفظ الأشراط، كما انه لم يعتبرهذه العشر هى الآيات، وإن كان أغلبها من الآيات .

ولو توقف رحمه الله تعالى قليلا للتمييز بين الآية والشرط،واستخدام كل واحد منهما حسب مفهوم محدد له ، لما وقع فى هذا الخطأ، ولما وجد نفسه مضطرا لاستخدام لفظ «العلامة» بدلا من «الشرط والآية» وهما اللفظان الواردان فى

الكتاب والسنة،و لكن يعلل هذا كله ويبرره عنده ويصبح عذراً للسفاريني ان موضوع الأشراط في كتابه الكبير ليس سوى فصلا من باب ضمن أبواب كثيرة تضم فصولا متعددة رحمه الله تعالى وأثابه على اجتهاده ورحمنامعه وأثابنا معه وغفر لنا زلاتنا العلمية وخطاياناالسلوكية وكلاهما يستحيل ان ينجو اى عالم او باحث من الوقوع فيهما لماكتبه الله تعالى على ابن آدم، إذ خلقه خطاءاً.

ولكن تحدثاً بنعمةِ الله وفضله عَلَيَّ أن أُنَوِّه هنا الى ان التمييز بين المصطلحات الأربعة:الشرط والعلامة والامارة والآية كما وردت فى هذا الجزء الذى بين يدى القارئ وأيضا ماجاءعن الآيات فى الجزء الأول،كل هذا يرفع اللبس حول ترتيب هذه الأحداث ، هو مما لم يسبقنى أحد من العلماء إليه، وما ذكرته إلا تحدثا بنعمته عَلَيَّ التى خَصَّني بها سبحانه كما امرنا عزوجل بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فله الحمد والشكر سبحانه.

الفصل السابع

كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية لرائد علم أشراط الساعة المعاصر أبو الفيض أحمد بن محمد الصديق الغماري الحسني رحمه الله تعالى

٣٨ ـ كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية للغماري.

٣٩ ـ أهداف الشيخ الغماري من تصنيف كتاب المطابقة.

(٣٨) كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية للغمارى.

توفى الشيخ الغمارى رحمه الله فى أوائل التسعينيات الميلادية من هذا القرن، ولا شك عندى أنه ـ لا غيره ـ **رائد علم أشراط الساعة فى هذا العصر**، بكتابه المذكور أعلاه، وبالرغم من أهمية هذا الكتاب القصوى فى مجال علم أشراط الساعة إلا أنه لم يطبع تقريبا إلا طبعة واحدة منذ أمد طويل يدل على هذا الورق الأصفر وغلاف الكتاب وطريقة إخراجه وقامت بنشره دار الرشيد الحديثة بالدار البيضاء، مع أنه مطبوع بلبنان، هذا كله يدل على أن الكتاب طبع طبعة واحدة فى الخسمينيات أو الستينيات من هذا القرن الميلادى على الأكثر.

وكنت قد سمعت من بعض الأساتذة الزملاء بجامعتى الملك سعود وأم القرى عن هذا الكتاب وما تضمنته صفحاته من مفاهيم وتفسيرات رائدة وجديدة سواء منها ما يختص ببعض آى الذكر الحكيم عن أشراط الساعة أو تلك التى تخص كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة عنها، ومع البحث والسؤال عنه كثيرا لم نعثر عليه إلا بالدار البيضاء، ويقع الكتاب فى أكثر من أربعين ومائة صفحة من القطع المتوسط.

وينفرد المُصَنِّف رحمه الله تعالى بكتابه هذا عن جميع الذين سبقوه والذين صنفوا بعده فى أشراط الساعة من حيث الهدف من التصنيف والخطة والأسلوب، وإن كان يتفق مع كتب الأقدمين فى الفتن والأشراط من حيث المنهج لأن الشيخ رحمه الله تعالى من علماء الحديث المعاصرين، بل ويشهد له كتابه هذا أنه من الحفاظ المجتهدين الملهمين، فهو من ناحية لم يتأثر فى خطة كتابه بخطط وتصنيفات العلماء السابقين الذين عرضنا لمصنفاتهم ابتداءاً من نعيم بن حماد وانتهاءاً بالسفارينى رحمهم الله تعالى جميعا، فلم يجعل الغمارى رحمه الله فصول الكتاب بحسب ما شاع بين العلماء من تصنيف للأشراط البعيدة والقريبة، وذكر شخصيات الفتن فى فصول خاصة كالسفيانى والدجال ويأجوج ومأجوج وغير ذلك مما علمناه من العروض السابقة لمصنفاتهم وخططهم، ولعل ما حدا بالشيخ الغمارى رحمه الله

تعالى إلى التفرد بخطة خاصة لم يسبقه أحد إليها كما لم يتبعه فيها أحد ممن كتبوا بعده فى الأشراط فى أيامنا هذه، أقول إن الذى حدا به إلى هذا هو الهدف الذى توخاه رحمه الله تعالى من مصنفه.

(٣٩) أهداف الشيخ الغمارى من تصنيف كتاب المطابقة.

لقد كان للتطور التقنى والصناعى والعلمى فى العصر الحديث وقع شديد على نفوس الناس، وهذا التطور والتحول الحضارى الذى أخذ يتسارع بشكل مذهل مع أوائل القرن العشرين الميلادي، فلم ينتصف هذا القرن حتى ظهرت الاختراعات فى الآلات والأجهزة التى تغطى جميع مناحى الحياة فى مجال الاتصالات والمواصلات وآلات الزراعة والصناعة والتجارة والبناء والإدارة وأسلحة الحرب فى البر والبحر والجو وعمارة المدن من شق الطرق والأنفاق بنسف الجبال وإزالتها فاستحدث الإنسان فى هذه المجالات جميعا ما أذهل المعاصرين وأثار عجبهم، وما جعلهم على يقين بأن ما حدث يصعب بل يستحيل أن يصدقه أهل الأجيال السابقة، ومن ثم جرى على ألسنة المؤمنين سؤالٌ عن وجود أخبار هذه العجائب فى القرآن الكريم والسنة الشريفة، خاصة أنه قد ورد أن فيهما نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا إلى قيام الساعة.

لقد تساءل كثير من المسلمين: ألم يخبرنا سيد البرية عليه الصلاة والسلام عن هذه الأمور الغريبة العجيبة التى تحدث، وصارت واقعا معاشا ولم يكن أحد من السابقين يتصور وقوعها أو يصدق بحدوثها لو أخبر بها؟.

وكما أخبر الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى عن نفسه إذ كان قد تلقى هذا السؤال كلما انتقل من مصر إلى مصر آخر من أمصار الأمة الإسلامية، فسألوه عن هذا فى المغرب وفى مصر وفى الشام وفى الحجاز، ومن ثم دفعه هذا إلى مراجعة كتب السنن بحثا عن إجابة لهذا التساؤل فى أحاديث المصطفى الخاتم ﷺ **فإذا به يفاجأ بالأخبار الكثيرة فى الفتن** التى تتحدث: إن صراحة وإن ضمنا أو إشارة، عن كل ما جرى من اختراعات، بل يفاجأ بحديث رسول الله ﷺ عن الأمور العظام التى ستحدث فى آخر الزمان بين يدى الساعة، وأنها ستكون غريبة على الناس، حتى يتساءل المسلمون حينئذ: هل حدث نبيكم ﷺ عن هذه الأمور فيما حدث عن أشراط الساعة، وعن أنباء المستقبل؟.

فأورد الشيخ الغماري رحمه الله ما رواه البزار والطبراني في الكبير من حديث سمرة أن النبي ﷺ قال: «سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاما تقولون هل كنا حدثنا بهذا، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة»(1).

كما ذكر رواية لأحمد في حديث طويل عن الدجال جاء قوله ﷺ: **«ولن يكون ذلك حتى تروا أمورا يتفاقم شأنها في نفوسكم وتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً؟»**(2).

قال الشيخ الغماري تعقيبًا على هذين الخبرين: «فهكذا والله كنتُ أسأل في المجالس فيقال لي عند ذكر هذه المخترعات: هل أخبر النبي ﷺ: بهذه العجائب؟ أو هل ورد في الأحاديث النبوية ما يشير إليها؟ فأجيب بما في علمي من ذلك(3).

ثم بدأ الشيخ رحمه الله تعالى فألف الكتاب لتحقيق الهدف الذي يعبر عنه عنوانه بدقة وهو «مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية».

فجعل عنوان الموضوع الأول من مواضيع المطابقة هو إخباره ﷺ بظهور «بابور السكة الحديد والأطومبيل وما في معناهما»(4).

فيتحدث في هذا الفصل عن وسائل الركوب الجماعية ثم وسائل الركوب الفردية ويذكر الآيات الكريمة المشيرة إلى وسائل المواصلات الآلية الحديثة ثم يفسرها بما ورد من أحاديث عن رسول الله ﷺ في نفس الموضوع فلا يدع مجالا للريب أو الشك أو أدنى احتمال لرفض تفسيره بالرغم من مخالفته لما فسر به المفسرون القدماء هذه الآيات.

وهذا هو منهجه في معالجة مواضيع الكتاب إذ يبذل جهده ويقدم من النصوص والاستنباطات ما يؤكد به المطابقة بين ما أخبرت به السنة وبين الواقع البشري المعاش في هذا العصر. فذكر قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي

---

(1) المطابقة ص٥.

(2) نفس المصدر ص٦.

(3) نفس المصدر والصفحة.

(4) المطابقة ص٦.

الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾(١). ويرفض تفسير القدماء الذين فسروا قوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ بالإبل وهو يعذرهم لأنه لم يكن فى زمانهم ما يشبه الفلك فى حمل الركاب والبضائع سوى الإبل، وهو يقطع ببطلان القول بأنها الإبل، ويؤكد بأن المثل المقصود فى الآية هو السكة الحديد والحافلات والطائرات.

ويستدل على هذا بقول ابن عباس والحسن والضحاك: «وخلقنا لهم سفنًا أمثال تلك السفن يركبونها»(٢). ثم ذكر قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(٣). أى من جنس المخلوقات للركوب والزينة وهى كما ذكرها الشيخ الغمارى رحمه الله: أنواع العَجَلْ والعربات من بسكليته وأوطمبيل وغيرهما(٤).

فآية سورة يس فى وسائل الركوب الجماعة، وهذه الآية فى وسائل الركوب الفردية.

ويستدل أيضًا على هذا كله بقوله تعالى فى أشراط الساعة: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾(٥)، ولأن العشار هى الإبل التى بلغت عشرة أشهر وتصلح للسفر عليها، وقد تم تعطيلها عن الركوب بعد إختراع وسائل الركوب الفردية منها، ويؤكد الشيخ رحمه الله تفسيره هذا بقول الرسول ﷺ فى نفس المعنى: «والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها»، والقلاص جمع قلوص بفتح القاف وهى من الإبل كالفتاة من النساء(٦).

فهذا الجزء الأخير من الحديث الشريف يفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ بترك استخدامها فى السفر وحمل البضائع، وهو ما حدث بعد اختراع وسائل الركوب الحديثة.

وهكذا يستطرد الشيخ فى كتابه تحقيقا للمطابقة بين نصوص الوحى الحاملة لأخبار المستقبل وأشراط الساعة وبين ما قد تحقق فعلا من هذه الأخبار.

---

(١) يس آية ٤١.
(٢) المطابقة ص ٧.
(٣) النحل آية ٨.
(٤) المطابقة ص٧.
(٥) التكوير آية ٤.
(٦) نفس المصدر والصفحة.

لكن الهدف الذى يسعى إليه الشيخ من كتابه ليس هو المطابقة فحسب، وإن كانت المطابقة هدفا يتحقق به اليقين فى صدق النبوة المحمدية، ومن ثم زيادة إيمان المسلم، وهذا من أعظم وأجل الأهداف التى ينبغى للعالم المصنف أن يسعى إليها، إذ لا يلبث القارىء فى كتاب المطابقة أن يشعر بأن صاحبه رحمه الله تعالى يجعل المطابقة وسيلة لتحقيق هدف آخر له خطورته العظمى فى حياة الناس بعامة والأمة الإسلامية بخاصة، هذا الهدف هو البرهنة بما لا يدع مجالا للشك عند القاريء بأن البشرية تعيش فى آخر الزمان[1].

فهذا الحديث الشريف عن تعطيل القلاص أو العشار يربط بوضوح وجلاء بين زمن نزول المسيح عليه السلام وبين وجود وسائل المواصلات الحديثة، ومن ثم قرر الشيخ أن البشرية قد دخلت عصر الأشراط الكبرى بهذه المخترعات الحديثة، وأن الأمة الإسلامية على وشك الدخول فى عصر المهدى والدجال ونزول المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام، ويؤكد الشيخ الغمارى هذه النتيجة بما يورده من الآثار التى تفيد أن المسيح الدجال لعنه الله تعالى يستخدم السيارات والطائرات والوسائل الحديثة إذ ثبت فى الروايات الصحيحة أنه يطوى الأرض فى أربعين يوما ويطوف الأرض على دابة وأن سرعته كالغيث استدبرته الريح وهذا إشارة إلى الطائرة التى تسبق الريح وتجعله خلفها.

ويورد الشيخ أيضًا الأحاديث الواردة فى المهدى وتدل على أنه يذهب من مكة إلى المدينة، ثم يعود إلى مكة، ثم إلى المدينة، ثم إلى مكة، ثم إلى المدينة، ثم إلى مكة، خلال الفترة من انتهاء الحج فى منتصف ذى الحجة حتى ليلة عاشوراء حيث يبايع عند المقام، الأمر الذى اعتبره السابقون منكرا لعجز الإبل عن قطع هذه المسافة ذهابا وإيابا بين الحرمين ثلاث مرات، خلال خمسة وعشرين يوما، لكنه أصبح الآن بالسيارة أو بالطائرة ميسورا فى ساعات أو أيام قليلة ويستنبط من هذا الخبر نتجتين:

الأولى: أن زمن ظهور المهدى قد قرب وآن أوانه بعد اختراع وسائل المواصلات الحديثة.

---

(١) ولا يقدح فى قولى هذا تشدق بعض المتعالمين (الهواة) الذين يحاولون ابطال هذا القول بالقول أن نهاية الدنيا وآخر الزمان بدأ منذ بعث المصطفى الخاتم ﷺ.

الثانية: أنه لا غبار على متن هذه الأحاديث وما فى معناها التى تحمل أخبارا حكم عليها السابقون من العلماء بأنها منكرة لاختلافها مع ما كانت عليه أساليب معيشتهم وصبغة حضارتهم، وأنه كان من الخطأ الحكم على الحديث الذى صحح أو حسن سنده بالضعف، لأنه يخبر عن أمور منكرة فى زمن هؤلاء السابقين، وكان الأولى بهم ما دام الحديث صحيحا سندا أن يفوضوا أمر هذه الأخبار إلى الله تعالى.

ولو ربط السابقون بين حديث رسول الله ﷺ الذى قال فيه: «سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاما...»، إلى آخر الحديث وبين هذه الآثار التى أنكروها، لعلموا أن هذه الأخبار المنكرة ستكون بإذن الله تعالى وقدره معتادة، ولَماَ رفضوا بذلك هذه الأخبار التى حدث بها الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى.

لقد فسر الشيخ رحمه الله تعالى الأحاديث النبوية الشريفة عن زى الأرض زيًا، أى انضمام بعضها إلى بعض، بأن هذا قد تم بعصر السرعة وتقدم وسائل المواصلات، وكذلك الأخبار الكثيرة عن تقارب الزمان وتقارب الأسواق إذ هى إشارة أو كناية عن تقدم وسائل الاتصال الحديثة والمعاصرة من برق وهاتف وتلكس.

وقدم الشيخ من النصوص ما تتضمن إشارات واضحة إلى أجهزة الصوت الحديثة مثل الميكروفون وجهاز التسجيل والراديو.

وفسر قول الله عزوجل ﴿.... وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ بحشرها فى أقفاص حدائق الحيوان، وفسر قوله تعالى: ﴿.... وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ بأنها آبار البترول الكائنة فى باطن الأرض بحارا ممتدة، وتسجيرها أو حرقها داخل الأفران فى المصانع فى محركات القطارات والسيارات والماكينات وجميع الآلات والأجهزة التى تدور بمشتقات البترول.

وفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ بأنه قد حدث فى هذا العصر إذ نسفها الإنسان بالديناميت ثم حملها بالسيارات إلى خارج المدن وذلك لشق الطرق ونقب الأنفاق داخل الجبال.

ويؤكد الشيخ الغمارى صحة تفسيره هذا بقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى

تروا أمورا عظاما لم تكونوا ترونها وحتى تزول الجبال عن أماكنها»[1].

ففى هذه الرواية لهذا الحديث هذه الزيادة إذ من أعظم الأمور التى يصعب على غير أهل العصر أن يصدقها أن ينقل الإنسان الجبل ويحمله بعيدا عن مكانه.

كما يفسر الشيخ الغمارى أيضا قوله تعالى فى شرط آخر من أشراط الساعة الكبرى ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ بأن هذا الشرط قد تم وحدث الآن وانكدرت النجوم فلم يعد الناس فى المدينة المضاءة بالمصابيح الكهربائية الساطعة قادرين على رؤية النجوم، فقد انكدر ضوؤها بسبب الإشعاعات الصادرة من مصابيح المدينة.

كما فَسَّرَ الخبر الوارد عن مخاريق الدجال بقوله: للسماء أمطرى فتمطر، وللأرض انبتى فتنبت بأنه قد حدث بالمطر الصناعى وبالتقدم التقنى الزراعي.

وهكذا يمضى الشيخ الغمارى فى تقديم الأحاديث التى تحمل الإشارة الصريحة إلى بعض المخترعات العصرية كما يقدم الروايات التى تشير إليها أو يستنبط منها حدوث هذه المخترعات باعتبار أنها من .الامارات التى بين يدىْ الساعة :.

ثم ينتقل إلى المرويات الدالة على الأحوال الخلقية والدينية المنهارة مثل إخباره ﷺ بطغيان النساء[2]، وخروجهن سافرات عاريات[3] واتجارهن مع الرجال فى الدكاكين وهو شائع الآن.

كذلك ذكر الروايات المُخبرة عن كثرة الشرط لاعتماد الحكام على الشرطة فى زمن حكم الجبابرة، ثم انتقل إلى المرويات التى نبأت عن الأحوال السياسية والدولية للأمة، ويدلل على مطابقتها لما عليه هذه الأحوال[4].

كذلك عقد الشيخ الغمارى فى كتابه فصلا للآثار الواردة التى تتحدث عن قيام دولة إسرائيل بمساعدة الأمم والشعوب الأخرى تحقيقا لقوله تعالى: ﴿... إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ وذكر أخبار تدل على قتال أهل مصر وأهل سوريا لليهود إشارة إلى حروب عام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣.

---

(١) المطابقة ص٨.
(٢) المطابقة ص٤٠.
(٣) نفس المصدر ص٤٢.
(٤) نفس المصدر ص٥٠.

ثم بعد ذلك عقد فصولاً للمرويات التى أنبأت عن التغيير الذى أصاب الأمة فى العادات، مثل تركهم للعمائم وذكر الأثر الوارد الذى قرن بين ترك الأمة للعمامة وضياع عزة الأمة وقوتها، وهو قول الرسول ﷺ: «العمائم تيجان العرب فإذا وضعوها وضعوا عزهم»، وقد فعل المسلمون والعرب ذلك تقليدا أعمى للفرنجة المستعمرين فكان من علامات ضياع العِزَّة بذوبان شخصية العربى الإسلامية فى الشخصية الغربية، وليس أكثر هوانا للمرء من ذوبان شخصيته فى غيره فما بالك إذا كان ذلك تقليدا لعدوه الكافر.

ثم عقد فصولاً لذكر المرويات التى تنبىء بإشاعة الزنا والمجاهرة به وعدم الحياء من مزاولته والإعلان عن ذلك كما جاء فى حديث رسول الله: «... فلا يستحى يومئذ من الزنا...»[1].

كذلك تعرض الشيخ للتغير الذى حدث فى النظام التربوى الإسلامى وقلدت فيه الأمة أهل الغرب وذكر المرويات التى نبأت بهذا.

ويستمر الشيخ فى عرض الفصول التى حاول خلالها المطابقة بين ما نبأت به النصوص وبين أحوال وأخلاق وأنظمة طرأت على حياة الأمة الإسلامية وحدثت كما نبأ بها رسول الله ﷺ.

كل هذا ليثبت أن البشرية دخلت عهد الأشراط العظمى، وأن الآيات العشر ستحدث بين يوم وآخر، وقد سجل هذا بالعبارة الصريحة بقوله: «وبهذا يعلم أن الساعة قريبة جداً، ولأن ظهور أشراطها الكبرى كالمهدى وعيسى عليهما السلام منتظر من يوم لآخر»[2].

فالإنسان إذن يعيش الآن فجر عصر الآيات العشر، هذه الدعوى التى أعلنها الشيخ الغمارى من أخطر وأهم ما يمكن أن يتلقاه المسلم من أخبار، بل هو أخطر وأهم خبر تلقته الأمة بعد خبر وفاة رسول الله ﷺ، ولم يسبق الغمارى رحمه الله تعالى أحد من العلماء الذين صنفوا أو كتبوا فى أشراط الساعة إلى هذا الزعم الخطير، أو إلى إعلان هذا النبأ العظيم، كذلك لم يبرز هذا النبأ أحد بعده نقلا عنه وتأييدا له وتصديقا لدعواه.

---

(١) المطابقة ص٥٧.

(٢) المطابقة ص ٦٠ .

بل العجب كل العجب أن خبر هذه الدعوة لم ينتشر، وأن زعم الشيخ الغمارى لم يجد من الشيوع والتأثير فى أوساط العلماء والمؤمنين ما يستحقه، بالرغم من أن الشيخ رحمه الله تعالى قد أكد دعواه بكل صفحة، بل وبكل سطر، وكل كلمة فى كتابه، حتى أن القارىء المسلم المؤمن بنصوص الوحى قرآنا وسنة ليزداد قناعة وتصديقا لهذه الدعوى مع قراءة الكتاب وصفحاته، فيسلم معه بأن الدنيا قد آذنت بانتهاء وأن الأشراط الصغرى والوسطى قد تمت، وأن عصر الأمارات القريبة قد بدأ وأننا نعيش أوائل الساعة.

لذلك كله استحق الغمارى أن يكون رائدًا فى علم الأشراط المعاصر بخلاف الكتب السابقة عليه، وبخلاف الكتب اللاحقة له، تلك التى ذكرت المرويات دون محاولة المطابقة بين ما أنبأت به من أحداث وأحوال وبين واقع البشرية الحديث والمعاصر، ومن حاولوا عقد بعضا من هذه المطابقة ممن جاءوا بعده، كانوا ناقلين عنه مقلدين، ولم يعلنوا دعوى بدء عصر الأشراط، وأوائل الساعة صراحة كما فعل الشيخ رحمه الله تعالى.

ومن ثم تتضاءل جميع الكتب والمؤلفات والأسفار التى كتبت عن الأشراط فى هذا العصر أمام كتاب الشيخ الغماري. رحم الله تعالى الشيخ الغمارى رحمة واسعة لريادته لعلم الأشراط المعاصر، ولاعتباره أول من كتب منبها إلى قرب دخول عصر المهدى والدجال ونزول المسيح عليه السلام، ومعلنا بدء عصر الأشراط الكبرى ومجيء أوائل الساعة، ومنذراً بقرب انتهاء أجل البشرية، وأى نذير أخطر من هذا النذير؟

ولكن بالرغم من عظمة النبأ الذى ألقاه إلى الأمة، ووضوح الدعوى التى أعلنها، وقوة الأدلة التى قدمها، إلا أن القليل جدا من المسلمين هم الذين انتفعوا بكتابه الرائد، إذ لم يكتب لكتابه الشيوع والانتشار، ربما لأن قوى الشر والطغيان وحزب الباطل عملوا على حصر الكتاب وحبسه فى أضيق الحدود، كما هو ديدنهم دائمًا حيال ما يخص نشر الحق وبيانه وتبليغه صداً منهم عن دين الله عزوجل.

وسنرى بعد مدى الأثر الذى أحدثه كتاب الشيخ رحمه الله تعالى فيمن كتبوا عن الأشراط من بعده.

الفصل الثامن
كتاب الشيخ حمود بن عبدالله التويجري «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة»

٤٠ ـ خطة الشيخ التويجري في كتابه.

٤١ ـ ترتيب الامارات والآيات عند التويجري.

٤٢ – تأثر الشيخ التويجري بالشيخ الغماري رحمهما الله في بعض المطابقات.

(٤٠) خطة الشيخ حمود بن عبدالله التويجرى فى كتابه.

الشيخ حمود بن عبدالله التويجرى رحمه الله من العلماء السعوديين المعاصرين، ولد رحمه الله تعالى عام ١٣٣٤هـ وتوفى عام ١٤١٣هـ.

ويعتبر كتابه[1] هذا سفراً فى بابه إذ هو من **أوسع الكتب المعاصرة** فى ميدانه، بل هو فى الحقيقة ثلاثة كتب:

الأول: هو كتاب الفتن.

الثاني: كتاب الملاحم.

الثالث: كتاب أشراط الساعة.

ويقع هذا السفر فى ثلاثة مجلدات شغل كتابا الفتن والملاحم المجلد الأول، واستقل كتاب أشراط الساعة بالمجلدين الثانى والثالث.

ومن ثم فإن المجلدين الثانى والثالث من هذا الكتاب يتناولان موضوع الأشراط تفصيلا.

وعلى هذا فإن خطة الشيخ فى هذا السفر تتميز عن خطط ومناهج السابقين بالفصل والتمييز بين الفتنة والشرط من ناحية، وبالفصل والتمييز بين الملحمة والشرط من ناحية أخرى، وهذا الفصل بين هذه الثلاثة: الفتنة، والملحمة، وشرط الساعة، ليس بالهين فهو أمر صعب، لأن هذه الثلاثة من الأمور المتداخلة إلى حد كبير سواء فى المفهوم أو فى النصوص، إذ نجد أن أكثر الملاحم من الفتن، وهى فى نفس الوقت من الأشراط، كما أن كثيرا من الأشراط فتن أيضاً.

لقد بدأ الجزء الأول من الكتاب ببعض الموضوعات المنهجية التى تعتبر من قواعد المنهج السلفي، فجعل الباب الأول فى وجوب الإيمان بما صح عن النبى ﷺ، أنه أخبر بوقوعه أى أن المؤمن الحق يصدق بوقوع كل ما أخبر النبى ﷺ أنه سيقع، وأن بعض ما أخبر به وقع خلال القرون الهجرية الماضية، وما لم يقع حتى الآن، سيقع حتما بإذن الله تعالى، ما دام قد أخبر بوقوعه الصادق المصدوق ﷺ.

---

(١) الطبعة الثانية ١٤١٤ دار العفيفى بالرياض.

وأن ما وقع مما أخبر به رسول الله ﷺ هو من أعلام نبوته ودليل على صدق رسالته، ودليل أيضا على أن ما أخبر به، ولم يقع بعد، سيقع بإذن الله تعالى فى المستقبل، وأنه ﷺ قد أخبر بما كان وبما سيكون من بعده إلى قيام الساعة.

ومن منهج السلف والمحدثين أن الآثار المخبرة عن أشراط الساعة وأنباء المستقبل وسائر الغيبيات أو السمعيات مقبولة ولو لم تكن متواترة لأن السلف اعتمدوا أخبار الآحاد ولم يجحد أخبار الآحاد إلا الزنادقة وأهل الأهواء وزعماء الفرق الغالية.

ويذهب فى هذا الشيخ التويجرى رحمه الله تعالى إلى حد تكفير من يجحد ما ثبت بخبر الواحد العدل.

كما أنه ينهج فى كتابه نهج المحدثين فى قبول الخبر الضعيف ما دام فى الصحيح ما يناظره فى المعنى فيقويه.

كذلك يرى الشيخ أن مطابقة الواقع للأخبار الضعيفة يقويها ويدل على صحتها فى نفس الأمر.

ويعتبر كتاب الفتن عند الشيخ رحمه الله تعالى من أوسع كتب الفتن المعاصرة ومن أحسنها تبويبا وتخطيطا، وهذا الكتاب جامع لأكثر ما جاء فى كتاب الفتن السابقة وبمنهج المحدثين الذى يأتى بالخبر وبمصادره ويبحث فى سنده من حيث القوة والضعف وأقوال أهل الجرح والتعديل فى رواته.

ويمكن أن نستنبط مفهوم الفتنة عند الشيخ بأنها النزاع بين طائفتين أو أكثر من المسلمين، يصل إلى حد القتال بالسلاح وإراقة الدماء، وهو نفس مفهوم الشيخ الدانى رحمه الله تعالى، ولذلك اشتمل كتاب الفتن على بعض الأبواب المتضمنة للنصائح الواجب اتباعها اتقاء للفتن وللتحذيرات من الوقوع فيها: إن بالفعل وإن بالقول، وإن بالرضى القلبي، وحتى ببيع السلاح، إذ يعد هذا كله اشتراكا فى الفتنة.

ثم استعرض الشيخ بعض الفتن التى حدثت فى عهد الصحابة ابتداء من فتنة

قتل عثمان رضى الله عنه، ثم وقعة الجمل، ثم وقعة صفين وقتل عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما.

ثم ذكر ما جرى على يد الحسن بن على رضى الله عنهما من تسكين للفتنة حين بايع معاوية فى عام الجماعة.

ثم أورد الشيخ بعض الفتن التى حدثت فى زمن الأمويين مثل مقتل الحسين رضى الله عنه، ثم فتنة الحجاج وقتل عبدالله بن الزبير رضى الله عنه وعن أبيه.

ثم ذكر الفتن العامة التى ألمت بالأمة حين افترقت إلى فرق كثيرة نبأ الرسول ﷺ عنها، وأنها ستكون اثنتين وسبعين فرقة، كلها على ضلالة إلا واحدة تظل ظاهرة على الحق.

فذكر من أخبار الفرق: الخوارج والروافض والنواصب ثم القدرية والمرجئة ثم أخبار أهل الرأى والقياس، وما أخبر به النبى ﷺ عن الأئمة المضلين.

بيد أن الشيخ رحمه الله تعالى لم ينس بعد ذكر هذه الأخبار التى نبأت عن الفرق الضالة فى تاريخ الأمة أن يبرز ميزة الأمة الإسلامية التى تنفرد بها، وهى أن الأمة لا تجتمع على ضلالة فعقد لهذا بابا خاصا، أردفه بباب عن وجود طائفة ظاهرة منصورة فى الأمة إلى أن يأتى أمر الله تعالى، كما أتى بالأخبار التى نبأت ببعث مجددين للأمة على رأس كل قرن.

وتذكرنا خطة الشيخ هذه بخطة أبى عمرو الدانى فى كتابه «السنن الوادرة فى الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها» حيث نجد التشابه بينهما كبير، بل إن كثيراً من الأبواب والنصوص التى وردت فيها تكاد تكون متطابقة فى الكتابين وتحت عناوين متشابهة فى اللفظ أو متفقة فى المعنى.

وأهم الموافقات بين السفرين: سفر الدانى وسفر التويجرى هو احتواء كل منهما على كتب ثلاثة رئيسية هي: الفتن، والملاحم، والساعة وأشراطها على النحو التالي:

١ ـ فى كتاب أبى عمرو الدانى تضمنت الأجزاء الأول والثانى والثالث مواضيع الفتن العامة منها والخاصة، أى التى تخص أحداثا معينة وتعتبر فى نفس الوقت من أشراط الساعة.

وكذلك الحال عند الشيخ التويجرى إذ استغرق كتاب الفتن عنده معظم صفحات المجلد الأول، وقد ضمت هذه الصفحات الطوال مواضيع عامة وخاصة عن الفتن تشابهت نصوصهما وعناوينهما فى السفرين.

٢ ـ شغل الدانى الجزء الرابع بأخبار الساعة وأشراطها، وهو يقع فى أقل من ثلاثمائة صفحة.

أما كتاب أشراط الساعة عند التويجرى فقد استغرق الجزء الثانى كله ويقع فى ٤٢٥ صفحة وكذا ٢٢٥ صفحة من الجزء الثالث.

أما الشيخ التويجرى رحمه الله تعالى فقد خصص كتابا للملاحم لم يشغل سوى خمسين صفحة لم يجعل من بيهما ملحمة السفيانى والمهدى وملحمة الدجال ويأجوج ومأجوج، إذ وضعها مع الفتن، وأهم ما جاء فى هذا الكتاب عنده ملحمة الروم وفتح قسطنطينية ورومية.

فالشيخان متفقان إذن فى الأقسام الرئيسية لسفريهما فتن وملاحم وأشراط الساعة، وهذا التقسيم عندهما كما ذكرنا من قبل ليس بالأمر السهل لأن هذه الثلاثة من الأمور التى يصعب الفصل بينها، فكثير من الفتن والملاحم هى من أشراط الساعة التى ذكرها النبى ﷺ، باعتبارها أحداثا أو أحوالا ستحدث قبل الساعة أو بين يديها.

كذلك يمكن القول إن كل ما أخبر النبى ﷺ بوقوعه بعد وفاته، هو من الأشراط سواء كان من الفتن أم لا، وسواء كان من الملاحم أم لم يكن.

وهذا التقسيم الذى وجدناه عند الدانى رحمه الله تعالى وتأثر به الشيخ التويجرى رحمه الله تعالى حرمهما من إمكانية أو محاولة مطابقة ترتيب المواضيع أو الفتن أو الملاحم والأحداث السابقة للساعة بحسب توقع حدوثها فى الزمان، ومن ثم

فَقَدَاً أهم الأهداف التى يمكن أن يسعى إليها ويتوخاها من يتصدى للكتابة فى أشراط الساعة.

إن الفصل الذى حدث عندهما فى هذه الثلاثة بالرغم من تداخلها أبعدهما عن مطابقة الأخبار بالأحداث الأول فالأول على النحو الذى برز واضحا وبنجاح وتوفيق عند الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى.

ولا شك أن الكتابة فى أشراط الساعة والفتن التى بين يديها والملاحم التى تسبقها على طريقة المحدثين القدماء التى لا تمييز فيها بين متقدم ومتأخر، ولا عناية فيها للتمييز بين الأحداث الحاضرة والمتوقعة فى المستقبل وبين ما ورد فى نصوص الوحى عن الأشراط، أقول إن الكتابة بهذا المنهج القديم هو من الأعمال التى لا فائدة جديدة للأمة فيها، لأنها تكرار لما هو مكتوب، ومسجل ومطبوع ومتداول بين الناس، وإذا كانت البشرية تعيش فى هذا العصر الغرائب والعجائب والأمور العظام، فإن أهم أهداف علم الأشراط هو، بلا جدال، المطابقة، الأمر الذى يجعل كتاب الغمارى رائدا متقدما فى ميدانه على كتاب الشيخ التويجرى رحمهما الله تعالى.

والخلاصة أن التقسيم الموضوعى الذى التزمه الشيخ التويجرى فى كتابه، منعه من محاولة تخطيط كتابه بحسب الترتيب الزمن الكامل، ومع هذا لم يخل كتاب الأشراط الذى يقع فى مجلدين من ترتيب موضوعى وترتيب زمنى فى آن واحد تمكن الشيخ رحمه الله تعالى من الجمع بينهما بتوفيق من الله عز وجل.

ذلك لأن هدف الشيخ الأول هو فيما يبدو الرد على منكرى بعض الغيبيات الأحداث التى نبأت بها الأحاديث.

فأفرد صفحات طوال للرد على منكرى عودة الخلافة الراشدة على يد المهدى عليه السلام، وعلى منكرى الدجال وعلى منكرى نزول المسيح عليه السلام، وهو يذهب إلى حد تكفير هؤلاء المنكرين.

أما الجانب الموضوعى فى خطته لكتاب الأشراط فيتمثل فى جمع النصوص التى تنبىء عن أشراط الساعة على أساس الموضوع فجعل الأحوال الدينية للمسلمين

وما يصيب هذه الأحوال من التغير في عدة أبواب متتالية، مثل ما جاء في دعاة الضلالة وإقبال الدين وإدباره، وما جاء في غربة الإسلام، وما جاء في ضعف الإيمان.

ومثل ما كتبه عن بعض الأبواب في موضوعات أخلاقية مثل تضييع الأمانة أو رفع الأمانة والحياء ثم رفع الجهاد وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم جمع النصوص الخاصة بالأحوال العلمية للأمة وما يصيب العلماء من فتن.

ثم انتقل إلى الأحوال الاقتصادية فعرض في عدة أبواب فتنة المال وما سيصيب الناس في فتنته كأكل الحرام والربا وفشو التجارة، وإتجار النساء مع الرجال.

ثم انتقل إلى فتنة المرأة بالرجل والرجل بالمرأة وما يصيب هذه العلاقة من انحرافات والإعلان عن الزنا والدعوة إليه وهو من الأشراط القريبة من الساعة والتي تحدث في آخر الزمان.

ثم انتقل إلى عرض بعض الأشراط في الجانب العمراني فأتى بالنصوص التي تحدثت عن التطاول في البنيان ونقشه وزخرفة المساجد وعمارة مكة وعمارة المدينة.

ثم عرض لأحداث متفرقة مثل ظهور معادن جديدة وحسر الفرات عن جبل من ذهب وفيضان المال وكثرة القتل وكثرة الزلازل والخسف والمسخ.

(٤١) ترتيب الامارات والآيات عند التويجري:

١ ـ ذكر **الخسوف الثلاثة**: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب.

٢ ـ ثم **المهدى** وأخباره وصفاته وبيعته.

٣ ـ ثم **القحطاني** ثم **الجهجاه**.

٤ ـ ثم بدأ **بالكلام عن الدجال** وقد استغرق موضوع الدجال في كتابه قرابة المائتي صفحة، وهذا موافق لما جاء عنه من أنه أعظم الفتن منذ آدم إلى قيام الساعة.

٥ ـ ثم ذكر أبوابًا عن نزول **المسيح عليه السلام** والأخبار التي جاءت عنه في السنّة.

٦ ـ ثم عرض أبوابا للنصوص الخاصة عن **خروج يأجوج ومأجوج** ذكر في آخرها باب في أقوال المعاصرين في يأجوج ومأجوج والرد عليهم.

٧ ـ ثم ذكر نصوص **خروج الدابة**.

٨ ـ ثم ما جاء في **الدخان**.

٩ ـ ثم ما جاء في **طلوع الشمس من مغربها**.

١٠ ـ ثم عرض بابًا في **رفع رؤيا** النبي ﷺ في آخر الزمان.

١١ ـ ثم ما جاء في **ترك تعظيم الكعبة المشرفة**.

١٢ ـ ثم ما جاء في **ترك الحج**.

١٣ ـ ثم ما جاء في **رفع الحجر الأسود**.

١٤ ـ ثم ما جاء في **استحلال البيت وهدم الكعبة**.

١٥ ـ ثم ما جاء في **رفع القرآن**.

١٦ ـ ثم ما جاء في **دروس الإسلام**.

١٧ ـ ثم ما جاء في **هبوب الريح الطيبة**.

ثم عرض أبوابا لأشراط أخرى تنبيء عن أحوال الأشرار الذين تقوم عليهم الساعة، ثم ذكر النصوص الخاصة بقيام الساعة والحساب والجنة والنار لا يهمنا هنا ذكر تفاصيلها.

ولا شك أن هذا الجزء من الأشراط قد عمد الشيخ التويجري إلى ترتيبه بحسب وقوع أحداثه في الزمان، ليس فقط بالنسبة للآيات العشر بل كذلك بالنسبة للأشراط المعاصرة لها والتي ليست من الآيات وإنما هي مصاحبة لها فرتب الآيات كالتالي :ـ

١ ـ خسف المشرق. ٢ ـ خسف المغرب.

٣ ـ خسف جزيرة العرب. ٤ ـ الدجال.

٥ ـ نزول المسيح عليه السلام. ٦ ـ خروج يأجوج ومأجوج.

٧ ـ الدابة. ٨ ـ الدخان.

٩ ـ طلوع الشمس من مغربها.

أما الأشراط المصاحبة لها فأهمها المسخ والقذف والزلازل وجعلها أسبق من المهدى ثم المهدى والقحطانى والجهجاه وهؤلاء جميعا قبل خروج الدجال عنده، وهذا مما انفرد به عن علماء سابقين عليه.

بيد أنه اتفق معهم جميعا على أن الدجال ثم المسيح عليه السلام ثم يأجوج ومأجوج آيات متتاليات تحدث فى الواقع بحسب هذا الترتيب.

كذلك اتفق مع العلماء على أن الآيات الثلاث الشمس والدابة والدخان تلى الثلاثة السابقة لكنه انفرد بتقديم الدابة وتأخير الشمس من مغربها ولا بأس فى ذلك لأن النصوص دلت على حدوث الثلاثة فى يوم واحد.

كذلك انفرد الشيخ عن سابقيه من العلماء فى ترتيب العلامات من العاشر حتى السابع عشر، وهو موفق فى هذا إلى حد بعيد، وهذا الترتيب يدل على نضج علم الأشراط واقتراب قضاياه من صورها الصحيحة القريبة من الواقع.

بيد أن الشيخ التويجرى رحمه الله تعالى قد فاته أن يسجل النار التى تخرج من قعر عدن باعتبارها آخر الآيات بالرغم من أنه رفض كونها فتنة وقد نص حديث الآيات على أنها آخر الآيات.

(٤٢) تأثر الشيخ التويجرى بالشيخ الغمارى رحمهما الله فى بعض المطابقات:

كذلك يحق لنا أن نسجل تأثر الشيخ التويجرى بالشيخ الغمارى فى بعض أبواب كتابه أو توافقه معه فيما أقره من مطابقة بعض الأخبار الواردة فى السنن مع الواقع التقنى والصناعى الحديث والمعاصر، وذلك واضح فى باب ما

جاء فى تقارب الزمان والأسواق فقد فسر الشيخ التويجرى تقارب الزمان بأنه إشارة إلى وسائل الركوب الأرضية والجوية بما عرف بعصر السرعة، وكذلك تقارب الأسواق باختراع الآلات الكهربائية الخاصة بالاتصالات التى جعلت تبادل المعلومات فورى ووقتى مما جعل الأسواق كأنها فى بقعة واحدة من الأرض، وقد حدد الشيخ التويجرى مظهر هذا التقارب فى الأسواق فى ثلاثة أوجه:

الأول: سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه.

الثاني: سرعة السير من سوق إلى سوق ولو كانت بعيدة عنها.

الثالث: مقاربة بعضها بعضا فى الأمصار واقتداء بعض أهلها ببعض فى الزيادة والنقصان.

ولم تكن تلك النتائج لتتم لولا وسائل الاتصال ووسائل الانتقال والنقل المعاصرة.

كذلك أردف الشيخ التويجرى هذا الباب بباب يتصل بوسائل المواصلات والنقل والركوب الحديثة والمعاصر تحت عنوان باب ما جاء فى ترك السفر على الإبل، وقد رجح التويجرى سبب الترك باستخدام هذه الوسائل الصناعية المعاصرة، وهذا وذاك مما سبق به الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى.

كذلك أورد بعد هذا الباب بابا بعنوان ما جاء فى الأمور العظام بين يدى الساعة، وذكر أحاديث الرسول ﷺ التى ذكرها الشيخ الغماري.

ولكن نظرا لأن الشيخ التويجرى لم يذكر كتاب الشيخ الغمارى كمرجع له فى هذه الأبواب فقد وضعنا احتمال توافق أفكار ومفاهيم الشيخين حول هذه الأحاديث ومطابقتها للواقع المعاصر، وهذا غير مستبعد بالرغم من أنه قد ثبت أن الشيخ التويجرى قد قرأ كتاب الغمارى رحمهما الله وانتقده فى موضع من المواضع

وعقد لـه فصلا خاصـا بدون عنوان قـال فيه: وسلـك أحمد بن محمد بن الـصديق الغماري في كتابه مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية مسلكا آخر في قيام الساعة، فزعم أن قيامها يكون بسبب القنابل الذرية والهيدروجينية(١).

وقد نقض الشيخ التويجري هذا القول للشيخ الغماري بالرغم من أن الشيخ الغماري لم يقطع به ولم يقل إن قيام الساعة سيكون بانفجار القنابل النووية وإنما قال إنه إذا حدث فقد يكـون من أشراط الساعة أي من الأحداث التي تسبـق قيامها وتدل علـى قربها وهـي أن يجعـلها الله تعـالى حصـيداً بعد أن كـانت عامـرة غنية مـزدهرة بالأمس.

وهذا المعنى الاحتمالي لا يستطيع الشيخ التويجـري أن يقطع بنفيـه، كما لم يقـطع الشـيخ الغـماري بإثـباتـه وحتمـية وقوعـه، لأن بعض الامـارات أي الأشراط العـظمى من فـعل الناس مـثل الدجـال ويأجوج ومأجـوج، وقوله تعـالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ قد لا يكون عن قيام الساعة بـل عن الخسوف الثلاثة التي هي ثلاث من الآيات.

وليس في كتاب الشيخ الغماري رحمه الله تعالى أي عبارة تدل على أن قيام الساعـة يكون بفعـل الإنسان وليس فـيه ما يدل عـلى استبعـاد الصور والنفـخ فيه أو تأويله، ومع هذا فقد قال الشيخ التويـجري في هذا: الوجه الثالـث: (أي خراب الدنيا بأسرها وقيام الساعة لا يكون على أيدي بني آدم بتـفجير القنابل القوية المفعول كما قد توهمه الغماري ...).

والحق أن الـقارىء لكـتاب الغـماري رحمه الله وكـذلك للعبـارة التي أوردها عنه الشيخ التويجري رحمه الله لا يجد فيه ما يدل على هذا الاتهام.

ولا يبرر هذا العبارات القاسية التي وجههـا الشيخ التويجري إلى الشيخ الغماري رحمهما الله تعالى بقوله: (... لا يقول ذلك من له أدنى مسكة مـن عقل، وإنما يقوله

(١) اتحاف الجماعة ج ٣ ص ٢٧٤.

لمعتوهون الذين يتكلمون فى أمور الكون من غير شعور)[1].

مما لا شك فيه أن لكل عالم زلة، وللشيخ الغماري رحمه الله تعالى بعض المطابقات القليلة التى لم يوفق فيها والتى هى من قبيل الاجتهاد الخطأ الذى سيثاب عليه أجرا واحداً بإذن الله تعالى، لكن له الكثير من المطابقات التى سيثاب عليها بإذن الله تعالى أجْرَان، وقد أخذها عنه الشيخ التويجري[2]، أو لعله توافق معه والله أعلم.

ولكن أهم الموضوعات فى كتاب الشيخ التويجرى على الإطلاق هو موضوع الدجال.

فقد بدأ الحديث عن المرويات التى حملت أخبار الدجال من صفحة ٣٢٢، إلى آخر الجزء الثانى أى إلى صفحة ٤٢٥، ومن صفحة ٥ من الجزء الثالث إلى صفحة ٩١ منه، أى أن فتنة الدجال وحدها شغلت من هذا السفر أكثر من ١٩٠ صفحة، وهذا الحجم يناسب ما ورد عنها من أنها أعظم الفتن فى تاريخ البشرية قاطبة، كما أنه يناسب ما حملته السنة من آثار كثيرة عنه تحذيرا وبيانا لفتنته.

وهذا مما تفرد به كتاب التويجرى بين سائر كتب الفتن القديمة والمعاصرة بلا شك، فهى ميزة من ميزاته التى تعطى سفره أهمية قصوى بين الكتب المعاصرة فى موضوع الأشراط والفتن والملاحم.

رحم الله الجميع، وجزاهم عن أمة الإسلام خير الجزاء.

(١) اتحاف الجماعة ج٣ ص٢٧٦.

(٢) من غير أن يشير إلى ذلك.

الفصل التاسع

الشيخ أبوبكر الجزائرى ورسالتاه: اللقطات فى بعض ماظهر للساعة من علامات، والأحاديث النبوية الشريفة فى أعاجيب المخترعات الحديثة

٤٣ ـ الشيخ أبوبكر الجزائرى ورسالتاه.

(٤٣) الشيخ أبوبكر الجزائرى ورسالتاه «اللقطات فى بعض ما ظهر للساعة من علامات» و«الأحاديث النبوية الشريفة فى أعاجيب المخترعات الحديثة» [١]:

من الواضح أن الشيخ الجزائرى قد نهج فى هاتين الرسالتين نهج الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى وبخاصة ما كتبه فى الرسالة الخاصة بأعاجيب المخترعات الحديثة إذ يناظر هذا العنوان ويطابقه فى المعنى وفى بعض الألفاظ عنوان كتاب الشيخ الغمارى «مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به خير البرية».

وكما بدأ الشيخ الغمارى كتابه بذكر تساؤل المسلمين فى عصر الأمور العظام: هل أخبر النبى ﷺ عن هذه الأمور؟ كذلك بدأ الشيخ الجزائرى بهذا الحديث وبنفس الشرح الذى جاء فى كتاب الغماري.

ثم تحدث عن الأحاديث التى أشارت إلى وسائل الركوب الحديثة فذكر قول النبى ﷺ: «سيكون فى أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال.. إلخ»، ويعقب بشرح لهذا الحديث مماثل تماما لشرح الشيخ الغماري.

ثم ذكر ما ورد من أحاديث نبوية تشير إلى المذياع أو الراديو وهو مطابق فى شرحه وفهمه وفى مطابقته لما جاء عند الغمارى بهذا الصدد.

وهكذا يذكر الشيخ الجزائرى فى كل موضوع نفس الأحاديث ونفس الشرح الذى يبين وجه المطابقة بين ما يدل أو يشير إليه النص الشريف وبين ما يقابله من المخترعات الحديثة.

فذكر تقارب الأسواق وسرعة النقل الأمر الذى يشير إلى اختراع البرق والهاتف والتلكس وغير ذلك، وهو عنده كما جاء عند الغمارى رحمه الله أيضًا.

حتى يمكن القول إن رسالتىْ الشيخ الجزائرى ليستا سوى ملخص لبعض أبواب كتاب الشيخ الغمارى رحمه الله من غير أن يشير إليه من قريب أو من بعيد.

---

(١) نشر مطبعة الكليات الأزهرية القاهرة ١٤٠٣هـ.

هذا كله يؤكد ما سبق أن ذكرناه عن أهمية كتاب الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى ومدى تأثيره فى غيره من المعاصرين وتأثرهم به دون أن يبلغوا أهميته أو شمول نفعه وعموم أهدافه.

لقد توخى الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى من كتابه إثبات دخول البشرية عصر أوائل الساعة وبدء الأشراط العظمى أى أماراتها وقرب حدوث الآيات العشر التى تسبقها مباشرة علاوة على ما يتحقق فى نفس القارىء نتيجة إثبات صحة وحدوث ما أخبر به رسول الله ﷺ بمنهج المطابقة الذى اتبعه.

بيد أن الشيخ الجزائرى لم يبرز هدف الغمارى العام فى رسالتيه، وإنما توخى الهدف الثانى وأبرزه أكثر من الأول.

وإرجاعا للفضل إلى أهله رأيت وجوب التنويه إلى ريادة الشيخ الغمارى فى هذا المضمار وأسبقيته إلى الشروح التى أدت إلى المطابقة، والتى أرى أنها فتح من الله تعالى مَنَّ به عليه رحمه الله، فأخذ كثير من المعاصرين منه وتأثروا بما قدمه من فهم جديد لنصوص شريفة كثيرة، فطابق فهمه لها الواقع الحضارى والصناعى والخلقى الذى تعيشه البشرية الآن، ولكن أحداً ممَّن قرأتُ لهم ممَّنْ ثبت أنهم نقلوا عنه لم ينسبوا له ما جاء به من شروح وتفسير يؤديان إلى المطابقة، وكان الأجدر بهؤلاء الناقلين أن يرجعوا الفضل إلى أهله.

الفصل العاشر

الخطة وتقسيم الأشراط في كتاب أشراط الساعة للأستاذ يوسف الوابل

(٤٤) الخطة وتقسيم الأشراط عند يوسف الوابل

الكتاب المذكور رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة التخصص الأولى (الماجيستير) من جامعة أم القرى .

قدم المؤلف أشراط الساعة فى بابين:

الأول: فى الأشراط الصغرى.

والثاني: فى الأشراط الكبرى.

ومهد للبابين بعدة مباحث عن اليوم الآخر، ويوم القيامة، وعلم الساعة ، وقرب قيام الساعة وأشراط الساعة، وأقسامها فقال فى هذا الموضوع الأخير: تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين:

١- أشراط صغرى:

وهى التى تتقدم الساعة بأزمان متطاولة وتكون من النوع المعتاد، كقبض العلم وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتطاول فى البنيان ونحوها، وقد يظهر بعضها مصاحباً للأشراط الكبرى أو بعدها.

٢- أشراط كبرى:

وهى الأمور العظام التى تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع كظهور الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها.

وقسم بعض العلماء أشراط الساعة من حيث ظهورها إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم ظهر وانقضى.

٢- قسم ظهر ولا زال يتتابع ويكثر.

---

(١) يوسف الوابل/ أشراط الساعة ، دار ابن الجوزى الدمام ١٩٩٠،ص٧٧،٧٨.

٣- قسم لم يظهر إلى الآن.

فأما القسمان الأولان فهما من أشراط الساعة الصغرى، وأما القسم الثالث فيشترك فيه الأشراط الكبرى وبعض الأشراط الصغرى[١].

وأول ما يلفت النظر فى الأساس الذى بنى عليه تصنيف الأشراط إلى اثنين: صغرى وكبرى، أو إلى ثلاثة: ما انقضى، وما هو مستمر، وما هو في المستقبل ، هو أن هذا الأساس هو الزمان، أى أنه بالتحديد موقع الشرط أو الحدث فى الزمان ليس بالنسبة للساعة قرباً وبعداً ولكن بالنسبة للمؤلف، ولقد أثبتنا أن أول من نهج هذا النهج هو البرزنجى رحمه الله فى الإشاعة فى أشراط الساعة.

أما الصغرى عنده فهى ما سبقت أو ستسبق الساعة بأزمان متطاولة، والكبرى هى التى تظهر قرب قيام الساعة.

ليته التزم هذا الأساس فى التصنيف إذاً لصار على تصنيف أكثر العلماء ومنهم البرزنجى رحمه الله صاحب التصنيف الثلاثى الذى أورده الباحث وسبق أن عرضناه لكن الباحث وقع فى خطأ فادح كان له أثره المستمر سلباً على خطته كلها.

ويتمثل هذا الخطأ فى اعتماده بجانب هذا الأساس للتصنيف أساساً آخر أدخله مع الأول ربما دون أن يدري، وصنف الأشراط وقسم الأبواب والفصول فى خطته بحسب هذا الأساس تارة، وذاك أخرى وبحسب الأثنين أحياناً.

وهذا خطأ منطقى أدت إلى تناقضات فى الخطة وفى التصنيف مما أورثت فى ذهن القاريء لبساً فى مفهوم الأشراط وتعريف الصغرى، والكبرى منها، وهذا اللبس موجود أساساً فى ذهن الباحث ولم ينتبه إليه، وكذا غفل عنه أساتذته الذين أشرفوا عليه وناقشوا البحث، ولم ينتبهوا له، مع احترامنا للجميع، ودعائنا لهم بخير الجزاء.

وقد ظهر هذا التناقض فى النص المذكور آنفاً والمنقول عنه، فبعد أن ضرب الأمثال للأشراط الصغرى التى تسبق الساعة بأزمان متطاولة حسب تعريفه لها إذا به يقول (وقد ظهر بعضها مصاحباً للأشراط الكبرى أو بعدها..).

فبعد أن عرف الصغرى بأنها التى تسبق الساعة بأزمان متطاولة رجع وقال إن بعض هذه الصغرى قد يظهر مصاحباً للكبرى أو بعدها، والكبرى عنده هى الأمور العظام التى تظهر قرب قيام الساعة.

أليس هذا تناقضا واضحا صريحا ومخالفاً للتصنيف أو التقسيم الذى اعتمده، وألا يدل على أن اللبس واقع فى ذهن الباحث؟

إذ كيف تكون بعض الأشراط الصغرى معاصرة للكبرى أو حتى تظهر بعدها فتكون الصغرى أقرب للساعة من الكبرى وإذا كانت بعض الأشراط كبرى لمجرد أنها أمورٌ عظام أفلا يكون بعض الأشراط التى وقعت فى عهد الصحابة رضى الله عنهم من الكبرى لحملها هذا الوصف.

أليس موت رسول الله ﷺ حدثاً جللاً ومصيبة عظمى لم تصب الأمة بمثلها؟

أليس فتح بيت المقدس أعظم إنتصارات الأمة وأكبر فتح إسلامي؟

أليس سقوط الأندلس والقضاء على المسلمين فيها أمراً عظيماً ومن أعظم وأكبر الفتن؟

إن كثيرا من الأشراط التى هى بعيدة عن الساعة هى من الأمور العظام فكيف تقول عنها صغرى لأنها بعيدة عن الساعة بزمان طويل؟ ومن ناحية أخرى تكون كبرى لأنها من الأمور العظام؟

إن الخطأ عند الباحث يكمن فى جعله أساسين للتصنيف وليس أساساً واحداً وهو خطأ منطقى انسحب على خطته كلها وعلى تقسيمه للأشراط من أول الكتاب إلى آخره.

أما أساسا التصنيف الذى اعتمدهما الباحث فقد ذكر الأول صريحاً وأدخل الثانى معه ضمناً.

أما الأول فهو البعد أو القرب الزمنى من الساعة فجعل البعيد عنها فى الزمان من الصغرى، وما كان مباشراً وقريباً من وقوعها هو الأشراط الكبرى.

أما الثانى : فهو عظمة الحدث فى ذاته ومخالفته للسنن، لقد قال فى الصغرى أنها التى تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، ولو اقتصر على هذا لما حدث اللبس ولكنه عاد وأضاف إلى هذا الأساس الأول لتصنيفه أساساً آخر بقوله: وتكون معتادة الوقوع، ومن ثم تكون الكبرى عنده غير معتادة الوقوع، وزاد عليها أنها تكون من الأمور العظام، واشترط أيضاً أن تكون قبل الساعة بزمن يسير.

ومعلوم منطقيا أن أى تصنيف يقوم على أكثر من أساس لـلتصنيف فهو تصنيف قاسد، ذلك أن بعض الأشراط والأحداث موافق للسنن ومن النوع المعتاد، وهو فى نفس الوقت، يقع قبل الساعة بزمان يسير جداً، وكذلك نجد أن بعض الأشراط هو من الأمور العظام وليست معتادة وبعيدة عن الساعة بأزمان متطاولة.

فكيف تصنف هذه أو تلك ؟

لقد كان من نتيجة هذا أن الباحث لم يستطع أن يدخل بعض الأشراط القريبة جداً من الساعة فى الكبرى، لأنها من الأمور المعتادة، وليست من الأمور العظام على حد تعبيره، ووضعها فى قسم الأشراط الصغرى فتناقض مع تقسيمه حسب الأساس الأول للتصنيف، واقتصرت الكبرى على الآيات العشر فقط، فلم يسجل فى قسم الكبرى غيرها، فى الوقت الذى أثبت فيه من الأمور العظام وغير المعتادة والقريبة جداً من الساعة بل أقرب إليها من الكبرى فى قسم الصغرى.

لقد جعل الباحث كل الأشراط الواردة فى السنة من الصغرى ما عدا الآيات العشر فهى وحدها الكبرى عنده وزاد عليها المهدي، ولقد علمنا أن الآيات العشر هى من الأمور العظام والمخالفة للسنن وهى تسبق الساعة بزمن يسير كما دلت على ذلك الآخبار والآثار باتفاق العلماء.

لكن هذه الآيات تتخللها علامات كثيرة جداً هى من الكبرى لأنها من أمور عظام ولقربها أيضاً من الساعة ومنها المهدي، ومنها قتال اليهود، ومنها فتح رومية، ومنها كلام السباع والجمادات للأنس، ومنها ظهور الخسف والمسخ والقذف، ومنها كثرة النساء وقلة الرجال حتى تصل نسبة النساء إلى الرجال ٤٠ إلى ١، ومنها رفع

القرآن من المصاحف، ومنها عقم النساء فى الجيل الذى تقوم عليه الساعة، ومنها الريح التى يقبض الله تعالى بها نفوس المؤمنين دون الكافرين.

وهذه كلها أمور تحدث قبل الساعة بزمن يسير جداً بعضها بعد حدوث أكثر الآيات وبعضها قبل الساعة مباشرة وأكثرها من الأمور العظام وغير المعتادة ومع ذلك لم يدخلها الباحث فى الأشراط الكبرى بل سجل أكثرها فى قسم الأشراط الصغرى، ما عدا المهدى الذى خصص له الفصل الأول من الأشراط الكبرى بالرغم من أنه لم يرد ضمن الآيات العشر وليس هو من الأمور غير المعتادة. لأنه خليفة مجدد راشد.

إن قضية تصنيف الاشراط إلى صغرى وكبرى ليست واضحة المعالم عند جميع من كتبوا فى الأشراط قبل الباحث، ومن ثم ورث الباحث من المراجع السابقة هذا الغموض واللبس، ولعل البرزنجى رحمه الله قد عزف عن استخدام هذين المصطلحين : صغرى وكبرى لكى يتخلص من هذا اللبس والغموض فالتزم تقسيماً زمنياً للأشراط ما مضى وانقضى وما لا زال مستمراً وما لم يأت بعد.

وهذا التقسيم يكون حسب الزمان ولكن بالنسبة لعصر المولف ومن ثم يجعل الباب مفتوحاً للاجتهاد فى علم الأشراط فى جميع العصور إذ يتعين على علماء كل جيل إضافة ما ظهر من الأشراط فى حياتهم وإحصاء ما بقى منها وما هو متوقع حدوثه فى المستقبل، وهو تصنيف زمنى صرف، وليس فيه وصف لهذا بأنها من الصغرى أو لتلك بأنها من الكبرى، إلا أن يكون هذا وصفاً للحدث أياً كان موقعه فى الزمان سواء فى الماضى أم فى الحاضر أم فى المستقبل.

من أجل تحاشى هذا اللبس الذى نجده ليس عند الأستاذ يوسف الوابل فحسب بل عند كثير ممن يعتمدون تصنيف الأشراط إلى صغرى وكبرى حسب زمن حدوث الشرط عرضت تصنيفى للأحداث الدالة على الساعة إلى : أشراط وعلامات وأمارات وآيات وجميعها- ولله الحمد والمنة مصطلحات مأخوذة من القرآن الكريم، والسنة، وبها يزول كل لبس حول هذا الموضوع.

الفصل الحادى عشر
ترتيب الأشراط حسب وقوعها
بين الأولين والمعاصرين

٤٥- أهمية ترتيب الأشراط متسلسلة حسب وقوعها فى الزمان بين الأولين والمعاصرين.

(٤٥) أهمية ترتيب الأشراط متسلسلة حسب وقوعها فى الزمان بين الأولين والمعاصرين.

إن درجة الأهمية بالنسبة لأى حدث من الأشراط ترتبط بمدى أثر الحدث سواء أكان بالخير والعزة والنَّصر للأمة الإسلامية، أم كان بالفتنة والضر والشر عليها.

وعلى قدر عموم الخير أو الفتنة والشر وشمولهما لأكثر شعوب الأمة الإسلامية يكون الحدث من الأشراط الصغرى أو الكبرى، وهذا الوصف يطابق أساس التصنيف الخاص به، ومن ثم لا يتعارض مع التصنيف الخاص بزمن وقوع الحدث أو الشرط بالنسبة للساعة قرباً أو بعداً.

وحيث أن قيمة كل علم فى نفعه فإن علم الأشراط ترتفع قيمته كثيراً بالنظر إلى ما يمكن تجنبه من الفتن التى ستحدث وشرورها إذا علمناهما قبل حدوثهما لأن النفع لا يتم إلا إذا سبق العلم بها حدوث الفتنة للتنبيه إليها، وإلى شرها وإلى طريق النجاه منها.

وهذا لا يكون إلا إذا صاحب معه العلم بزمان وقوعها على وجه التقريب أو الإحاطة بدلالات وإشارات تفيد توقع الفتنة قبل حدوثها الأمر الذى يساعد المؤمنين على التحرز منها وتوقى شرها .

فالتحذير من الفتنة قبل وقوعها إذا توقع العلماء قرب وقوعها من الأمور الواجبة عليهم، لما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: نادى رسول الله ﷺ الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعِلَ عافيتها فى أولها، وسيُصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجئ الفتنة، فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه ، فَمَنْ أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فَلْتَأتِهِ منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر»[1].

ويدل هذا الحديث الشريف علاوة على ما سبق أن ذكرنا من فائدة نفع العلم بالفتن والأشراط قبل وقوعها- يدل على أن أخطر الأحداث وأشد الفتن وأكثرها شراً هي التي تكون بين يدى الساعة، أى تسبقها بزمن يسير.

---

(١) صحيح مسلم/ كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعه الخليفة الأول فالأول (١٢/ ٢٣٢-٢٣٣) على شرح النووي.

أما الفتن التى فى أول عمر الأمة فهى الأقل خطراً وضراً وشراً يدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها».

ويؤكد هذا أيضا قوله ﷺ «إن بين يدى الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً...»[1].

فهذه الفتن المهلكة التى تكون نتيجتها الكفر، وليس مجرد المعصية إنما تكون بين يدى الساعة.

ومثله ما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[2].

كل هذا يدل على نتيجة هامة بالنسبة لأساس تصنيف الفتن والأشراط، ذلك أن أشد الأشراط خطراً أو ضرراً على الأمة أقربها للساعة.

كما أن فائدة هذا العلم تكون أنجع وأشمل وأجدى إذا اقترن التحذير من الفتنة بالإشارة إلى توقع حدوثها فى عصر أو زمن أو فى سنة ما أو فى زمان وقوعه المرتقب على وجه التقريب، أو ترقب حدوثها بعد أحداث أخرى تسبقها وهكذا.

وتكون الفائدة محققة إذا كانت الأحداث مرتبة ترتيباً متسلسلاً بحيث يكون الحدث أو الفتنة منذرة للمسلمين لما بعدها، فيكون المؤمن على توقع وترقب للفتنة بعد الفتنة وللحدث بعد الحدث ، فيكون علي علم ودراية بكيفية النجاة منها. والسلوك الواجب عليه اتباعه نحوها حتى ينجو من شرها.

ومن ثم فإن أهم ما فى علم أشراط الساعة هو قضية الترتيب الزمنى لها.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/٤٠٨)، ومستدرك الحاكم (٤/ ٤٤٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) صحيح مسلم/ كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن،(٢/ ١٣٣) مع شرح النووي.

ومطابقة أحداث الأشراط بالأحداث والأحوال المتحققة فى الواقع المعاصر لأصحاب هذا العلم.

وترتفع أهميته أكثر إذا صح ترتيب الأحداث المُسْتقبَلَة على الأحداث الحاضرة أو المعاصرة، قال تعالي: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ وهيهات أن يعرف الإنسان الفرد ماذا سيكسب غداً ، وهيهات أن يعرف بأى أرض وفى أى وقت سيموت، فكيف يكون الحال بالنسبة لشعب أو أمة أو الإنسانية كلها؟!

ولكن الأشراط التى هى من الأحداث العامة للأمة هى مما أخبرنا بها الوحي، ويتيح اجتهاد العلماء بمنهج المطابقة بين المدلول الصحيح لنصوص الأشراط وبين الواقع معرفة أو توقع قرب حدوث الحدث الجلل، ومن ثم يمكن للمسلمين: حكاماً ومحكومين الاهتداء بهذه المعرفة لاتخاذ قراراتهم السياسية والاقتصادية والحربية وغيرها، تحرزاً وتوقياً للشر، وليس منعاً لما هو مرتقب، لأن كل مقدر بأمر الله تعالى، واقع لا محالة، ومن ثم تكون الفائدة مجرد التحرز من الشر، ووقاية من الوقوع فى الفتنة .

هذا كله يجعل قضية ترتيب الأشراط وتسلسلها فى الزمان أخطر قضايا هذا العلم.

أقول هذا رداً على بعض الهواة غير المتفرغين للعلم وغير المنقطعين له المعترضين على منهج المطابقة، والذين ظنوا أن الكتابة فى الإسلام والتأليف في علومه- وبخاصة فى هذا العلم، ساحة مفتوحة لكل من تعلم القراءة والكتابة بالنقل ووضع العناوين، وما أسهل أن يطلب الواحد من هؤلاء أحاديث موضوع ما من «الكمبيوتر» ثم يضع لكل مجموعة منها عنواناً، ولكل مجموعة عناوين عنوانا لفصل أو لباب ثم يدفعها إلى المطبعة ويصبح بذلك عالماً إسلامياً أو مؤلفاً وكاتباً إسلامياً، وليته يكتفى بهذا بل لابد، لكى يثبت رسوخه فى العلم، أن يتطاول على غيره، ويسخر من الذين اجتهدوا، وحاولوا مطابقة النصوص على الأحداث التاريخية والمعاصرة، ومن ثم أصابوا، وأخطأوا، فلا يذكر لهم إلا الأخطاء، ولو قلَّتْ أما هو فتد آثر السلامة فلم يجتهد

واكتفى بنقل النصوص فحسب، ومن ثم لم يخطئ، وكيف يقع في الخطأ وهو لم يكتب شيئاً أصلاً، وإنما قام بالنقل فقط؟ فتوهم أنه أعلم وأفقه وأفضل ممن اجتهد فأخطأ أمثال هؤلاد يخفون عجزهم عن المطابقة وجهلهم بأصول وأهداف هذا العلم فيتهمون المجتهدين بالتكلف.

لأمثال هؤلاء أقول: لَئِنْ أَجْتَهِدُ وأُخطِئُ خير لي من المتاجرة بنصوص الوحي بنقلها، ووضع أسمي عليها كما تفعلون.

إن العلم هو الحفظ للنصوص المنزلة من السماء ثم تفسيرها حسب قواعد التفسير وأصول الفقه ثم فهمها وتأويلها في ضوء الواقع التاريخي والواقع الحضاري والصراع المعاصر، أي إن العلم الحقيقي هو تفسير النصوص بالواقع والكشف عن أسرار هذا الواقع الدفينة بالنصوص.

وللمجتهد المخطئ أجر وللمصيب أجران، أما النساخ فلم يرد ما يثبت أن لهم أجر العلماء ولو كتبوا على غلاف ما ينسخون« تأليف فلان».

أما الذين يعتبرون أنفسهم علماء لمجرد حفظ النصوص فإن أشرطة الفيديو والكاسيت أكثر منهم حفظاً، بل إن شريحة في الكمبيوتر أو ديسكاً أو اسطوانة تحمل الآن من العلوم ما يعادل مكتبة جامعة وتحفظه لطالبه ويستحضره الجهاز في أقل من ثانية حين الطلب ومن ثم يقتصر العلم على الفهم، أو هو حفظ مع فهم، أما الحافظ بغير الفهم، فهو أشبه بهذه الأدوات والأجهزة السمعية .

فليس المقصر عن الاجتهاد كالمجتهد وبخاصة هذا الذي لم يجتهد مخافةالخطأ حرصاً منه على سمعته بين الناس والزملاء، وحتى يقولوا عنه أنه عالم لا يخطئ، وهذا هو عين الرياء.

الفصل الثانى عشر
ترتيبى للأحداث التى تترقبها أجيالنا المعاصرة استخلاصاً من النصوص ومما اتفق عليه جمهور العلماء

٤٦ - ترتيبى للأحداث التى بين يدى الساعة التى تَتَرَقَّبُها الأجيال المعاصرة استخلاصاً من النصوص ومما اتفق عليه جمهور العلماء.

(٤٦) ترتيبى للأحداث التى بين يدى الساعة التى تَتَرقبها الأجيال المعاصرة استخلاصاً من النصوص ومما اتفق عليه جمهور العلماء:

١- أحداث القيامة الصغرى بنفخة الصور الأولى نفخة الفزع: زلزال الأرض العظيم الذى يصاحبه خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وهو ما جاءت تفاصيل أحداثه ومقدماته بالجزء الأول.

٢- بيعة المهدى وخسف جيش السفيانى بالبيداء.

٣- إقامة الخلافة الراشدة وتوحيد الأمة وعودة عزتها وقوتها وتحقيق الغنى والرخاء والعدل على يديه.

٤- مصالحة الروم وقيام حلف بين الخلافة وبين أوربا الموحدة ضد عدوٍّ مشترك والانتصار عليه.

٥- غدر الروم (أوربا الموحدة) وهجومهم على العالم الإسلامى العربى كله مرة واحدة فى أعظم ملحمة فى تاريخ البشرية وهزيمتهم وفتح المسلمين لأوربا: قسطنطينية (تركيا) مرة ثانية ثم رومية (روما) لأول مرة وهدم الكنيسة الشركية.

٦- الخروج العلنى للدجال.

٧- نزول المسيح عيسى بن مريم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقتل الدجال واستئصال اليهود وإفسادنهم الأخيرة.

٨- خروج يأجوج ومأجوج وقتل الله عز وجل لهم.

٩- حكم المسيح عليه السلام الأرض بالإسلام وتحقق الرخاء العميم والسلام التام للبشرية لأول مرة فى تاريخها حتى لا يبقى على ظهر الأرض آدمى إلى وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

١٠- موت المسيح ودفنه بجوار رسول الله ﷺ وصاحبِيه.

١١- خروج الشمس من مغربها والدخان من السماء ودابة الأرض التى تكلم الناس.

١٢- قيام ملك الحبشة ذو السويقتين بهدم الكعبة.

١٣- رفع القرآن من المصاحف.

١٤- موت المؤمنين بريح طيبة فلا يبقى فى الأرض إلا المشركون الكافرون جيل أو أجيال الأشرار الذين ستقوم عليهم وعلى أبنائهم أو على أحفادهم الساعة.

١٥-عقم النساء.

١٦- خروج نار من قعر عدن تسوق الناس تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا وهى آخر آيات الساعة.

١٧- فى وقت لا يعلمه إلا الله تعالى وحده يُنْفَخُ فى الصور نفخة الصعق فيموت كل من وما على الأرض من أحياء فى لحظة واحدة وتلك هى القيامة الوسطى.

١٨- بعد هذا بزمن لا يعلم مقداره إلا الله تعالى وحده يُنفخ فى الصور النفخة الثالثة: نفخة البعث ليقوم الناس للحساب ثم الجزاء وأحداث القيامة الكبرى.

إحفظوها وحفظّوها لأبنائكم وأحفادكم، ولاتنسونى من دعائكم.

الباب الخامس

التمييز بين مراحل القيامة الثلاث

الفصل الأول

المفهوم الشائع ليوم القيامة لدى المسلمين في ضوء الكتاب والسنة

الفصل الثاني

اختلاف العلماء في تحديد عدد نفخات الصور من أسباب الخلط بين مراحل يوم القيامة الثلاث

الفصل الثالث

أحداث كل مرحلة من مراحل القيامة الثلاث

الفصل الأول

المفهوم الشائع ليوم القيامة لدى المسلمين في ضوء الكتاب والسنة

٤٧- الخلط بين مراحل القيامة الثلاث:

٤٨- شواهد على تداخل أحداث القيامة الثلاثة عند المفسرين.

(٤٧) الخلط بين مراحل القيامة الثلاث:

ثم اختلاف كبير بين المفهوم الصحيح للقيامة أو للساعة في القرآن الكريم والسنة، وبين المفهوم السائد فى أذهان المسلمين، لا أقول العامة منهم فقط بل وعند كثير من العلماء غير المتخصصين بل والمتخصصين منهم ولو طرحنا استبياناً بين المسلمين عن مفهومهم ليوم القيامة أو الساعة من خلال ما يسمعونه من آيات كريمة ومن أحاديث شريفة تُحَدِّثنا عن مشاهد القيامة وأحداث الساعة لَسَمِعْنَا من كثير منهم قولاً واحداً: أن القيامة أو الساعة هى اسم لمجموع الأحداث التى يتم بها هدم عمارة الكون وموت كل حى فلا يبقى بعدها فى الأرض أو فى السماء نفس النظام أو النواميس القائمة الآن ويموت بسبب هذا الهدم كل حي، من ذلك انتشار الكواكب وتكوير الشمس، وانكدار النجوم ونسف الجبال حتى تصير هباء منبثاً وانفجار البحار وتسجيرها وانشقاق السماء، وانفطارها وكشطها، ورجفة الأرض وزلزلتها التى هى زلزلة الساعة الموصوفة بأنها شيء عظيم، وغير ذلك من مظاهر الهدم، والتدمير فى السماء وفى الأرض وفى الجبال، وفى البحار ومن ثم يصل التدمير والتغيير إلى كل شيء، وتفنى الحياة على الأرض ، بما فيها حياة الإنسان.

وإذا طرحنا سؤالاً عن المدة الزَّمَنِيَّة الواقعة بين هذه الأحداث وبين موت كل الأحياء فى الأرض، لجاءت الإجابة بأن هذا يحدث فى وقت واحد، وأن موت جميع الأحياء يكون بسبب هذا الهدم.

هذا هو المفهوم الذى كنتُ أتلقاه ممن سألتهُم عن القيامة والساعة سواء كان المسئول: أُمِّياً أم كان متعلماً، وسواء أكان مثقفاً أم غير مثقف حتى الذين سألتهم من أساتذة الشريعة والفقه، قالوا نفس الإجابة، بل إن المتخَصِّصين منهم فى التفسير والحديث وبدرجة أستاذ جامعى أجابوا بأن زلزلة الساعة هى وقت هدم عمارة الكون وهو الهدم الذى يموت بسببه كل حي، كل ما هنالك أن بعضهم فرَّق بين الساعة والقيامة، بأن الساعة هى لحظة بدأ الهدم وموت الأحياء فى الأرض، وأن القيامة لحظة البعث وبدأ النشور والوقوف لرب العالمين للحساب.

والذى دعانى إلى مثل هذا الاستبيان عن مفهوم الساعة أو القيامة عند المسلمين، عامة وخاصة هو أننى ظللتُ حتى تَخَطَّيْتُ الخمسين من عمرى بهذا المفهُوم مع أن تخصصى فى العلوم الإسلامية هو العقيدة والتوحيد،وأصحاب هذا التخصص لابد لهم من أن يتعاملوا مع نصوص الوحى : كتاباً وسنة تعاملاً مباشراً فيما يخص آيات وأحاديث العقيدة والتوحيد، ومن أركان العقيدة والتوحيد الإيمان باليوم الآخر، ومن مواضيع اليوم الآخر أشراط الساعة وهى الأحداث التى بدأت ببعث النبى الخاتم المصطفى سيدنا محمد ﷺ والتى تَنْتَهى بأحداث القيامة أو الساعة التى هى مشاهد هدم عمارة الكون، ومن مواضيعه أيضاً أحداث يوم القيامة أو الساعة التى هى مظاهر الهدم ، والفناء، ومنها أيضاً أحداث البعث والنشور، ومن أحداثه أيضاً الميزان والحساب والصراط والشفاعة الكبرى والشفاعات الصغرى والحوض، ودخول أهل الجنة الجنة، ودخول أهل النار النار، ومن العلماء من يُضيف إلى هذه المواضيع الموت والبرزخ وحساب القبر.

والذى أود إبرازه من هذا كله، أن أكثر العلماء والأساتذة ، وقد كنتُ معهم فى هذا الخطأ، يخلطون بين أحداث الهدم وبين فناء الحياة ويجعلون هذا كله فى ساعة واحدة أو يبدأ بلحظة واحدة، بيد أنَّهُ قَدْ ثبت لى بالأدلة القرآنية، والحديثية أن أحداث الفناء ومشاهد القيامة فى السماء والأرض والجبال والبحار ستَسْبقُ فى الحدوث بعشرات السنين، وربما بمئات السنين، فناء الحياة على الأرض، أى أن كل ما نقرأه فى القرآن الكريم من مشاهد الهدم والفناء لا يتم على أثره انتهاء الحياة على الأرض، بل تستمر الحياة بعده زمناً لا يعلمه إلا الله عز وجل- و إن كان وقوع هذه الأحداث الرهيبة التى تشمل العالم كله، دليل على أن الدنيا تحتضر وأن البشرية صارت بين يَدَيْ الساعة، ولا يمنع هذا من القول بأن أحداث الفناء سيهلك فيها وبسببها كثير من الخلق، ربما يكون القتلى والموتى من هذه الأحداث أكثر بكثير من الذين كتب الله تعالى لهم النجاة، لكن البشرية ستبقى ويستمر الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان وستقع أحداث كثيرة فى نطاق هذا الصراع نَبَّأَتْ بها نصوص الوحى: قرآناً وسنة.

أمَّا انتهاء الحياة على الأرض فلا يصحبه أدنى هدم أو حدث من أحداث الفناء لا فى السماء ولا فى الأرض ولا فى البحار، ولا فى الجبال.

وسيتضح لنا هذا من خلال الأدلة التى سنعرضها بإذن الله تعالى وبعونه وتوفيقه.

لكن الذى أود أن أُنَوِّهُ إليه: أن أكثر المفسرين لم يوضحوا هذه الحقيقة فيما فَسَّرُوه من آيات مشاهد الفناء والعذاب والقيامة والتى ورد أكثرها فى القرآن المكى وبخاصة فى جزء عَمَّ والسور القصيرة.

ونتيجة لغياب هذه الحقيقة التى ذكرناها، وهى وجود فاصل زمنى بين أحداث القيامة المتمثلة فى الهدم والفناء والتى يتم بسببها هلاك كثير من البشر والأحياء ، وبين انتهاء الحياة بالكلية على ظهر الأرض فى لحظة واحدة بحيث لا يبقى بعد هذه اللحظة حتى ولا حشرة على قيد الحياة، هذا الفاصل الزمنى بين الحدثين غاب عن كثير من المفسرين ففسروا الحدثين باعتبارهما حدثاً واحداً ويتمان فى وقت واحد ويوم واحد ويبدآن فى لحظة واحدة، بالرغم من أنهما لم يُصَرِّحا بهذا، ولكن فَسَّرُوا الآيات من خلال هذا المفهوم، مع أن بعض النُّصوص قد صرحت بأن الحياة تستمر بعد أحداث الهدم، إلاأن هذه النصوص لم يلتفت إليها أكثر المفسرين، ومن ثم لم يصلوا إلى حقيقة أن اليوم الآخر، أو يوم القيامة هو عصر من عصور البشرية، وهو آخرها وأنه يتكون من ثلاث مراحل، وكل مرحلة منها يطلق عليها نفس الاسم وهو القيامة، ومن ثم تمييزاً لهذه المراحل كان لابد من أن نطلق على الأولى القيامة الصغرى والثانية القيامة الوسطى والثالثة القيامة الكبرى، أو الأولى والثانية والثالثة.

والذى يراجع كتب التفسير فيما يخص آيات الهدم والفناء، وآيات انتهاء الحياة بالكلية، وآيات البعث والنشور والحساب، يجد خلطاً عند المفسرين بين أحداث القيامة الصغرى الأولى، التى هى الهدم والفناء والموت غير الكلى للأحياء، وبين أحداث الوسطى التى هى انتهاء الحياة بالكلية من غير هدم مع أن بينهما عشرات، وربما مئات السنين، فهما ليسا حدثاً واحداً بل هما حدثان منفصلان تماماً ومختلفان تماماً، وإن كان كلٌّ واحدٍ منهما مرحلة من مراحل يوم القيامة : وكذلك تتضمن كتب

التفسير خلطاً بين أحداث القيامة الوسطى التى هى فناء الحياة على ظهر الأرض بالكلية بغير هدم او دمار، وبين أحداث القيامة الكبرى التى هى البعث والنشور مع أن الحدثين مختلفين ومتناقضين بالكلية، إذ الأولى إفناء وإنهاء للحياة بالكلية على الأرض، والثانية بعث الأولين والآخرين دفعة واحدة هذه المراحل الثلاث من مراحل اليوم الآخر لا يتم فهمها على الوجه الصحيح إلا بالفصل بين كل منها بخلاف ما هو موجود عند كثير من المفسرين.

وسأضرب لهذا بعض الشواهد للتوضيح عند أحد المفسرين المحققين، بل لعله أشد المفسرين تحقيقاً للأحاديث رواية ودراية وهو الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسيره الذى اسمه «تفسير القرآن العظيم»، وكذلك فى كتابه «النهاية فى الفتن والملاحم».

(٤٨) شواهد على تداخل أحداث القيامات الثلاثة عند المفسرين:

الشاهد الأول: فى تفسير قوله تعالى: ﴿....وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ⑪ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً ⑫ وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً ⑬ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ﴾ [المزمل:١١-١٤] قال ابن كثير رحمه الله فى تفسير هذه الآيات ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ ﴾ أى دعنى والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم، وهم يطالبون من الحقوق، بما ليس عند غيرهم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ أى رويداً كما قال تعالى : ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٤] ولهذا قال هاهنا ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً﴾ وهى القيود قاله ابن عباس وعكرمة وطاووس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة، وأبو عمران الجوني، وأبو مجلز والضحاك وحماد بن أبى سلمة وقتادة والسدى وابن المبارك والثورى وغير واحد﴿وَجَحِيماً﴾ وهى السَّعير المضطرمة ﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ ﴾ قال ابن عباس ينشب فى الحلق فلا يدخل ولا يخرج ﴿ وَعَذَاباً أَلِيماً يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ أى تزلزل ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾ أى تصير ككثبان الرمل بعد ما

كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً أى رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع[1].

والسؤال الذى نطرحه على ابن كثير رحمه الله تعالى هو: كيف تفسر قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ فى النهاية بأن الأرض تصير: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ أى رابية مع أن الآية الكريمة فى هذه السورة لا تتضمن هذه الحال الأخيرة للأرض والجبال وإنما اقتصرت على أن الأرض والجبال سترجف بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ فالحال الذى آلت إليه الجبال بعد رجفتها مع رجفة الأرض هو أنها صارت ﴿مَّهِيلاً﴾ والكثيب المهيل هو كوم عظيم، أو تل من التراب فالجبال فى هذه الآية ستصير كثباناً من الأحجار المحطمة والأتربة المتطايرة ومثلها قوله تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا ④ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ⑤ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا﴾ [الواقعة :١-٦] فرَج الأرض هو رجفتها فى سورة المزمّل والهباء المنبث أى الأتربة المنتشرة فى الفضاء من لوازم انهدام الجبال وصيرورتها إلى كثبان مهيلة، لأن هدم الجبال نتيجة لرجفة الأرض الشديدة، أو الزلزلة لا تصير به إلى كثبان مهيلة فقط، وإنما لا بد أن تملأ الأتربة الناتجة من الهدم الجو المحيط، فإذا كانت عدد الجبال بالملايين فى أرجاء الأرض فكيف تتصور الفضاء المحيط بالأرض إلا أن يكون مملوءاً بالهباء المنبعث فيه، والذى يحجب ضوء الشمس، والقمر؟ وقد أصبحت الأرض مليئة بأكوام ضخمة عظيمة من الأتربة والحجارة المحطمة والكتل الجبلية الضخمة؟ فهل تكون الأرض بعد الرجفة قاعاً صفصفاً لا عوج فيها ولا أمتاً؟ بالقطع لا،لأن هذا الحال نقيض هذا الحال.

ولم يخف على ابن كثير هذا الاختلاف والتناقض بين حَالَيْ الجبال فحاول أن يرفع هذا التناقض بينهما بقوله « أى تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء،

---

(١) ابن كثير ـ التفسير/ جـ ٤ صـ ٤٣٧، صـ ٤٣٨.

ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً أى رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع» ولا يختلف اثنان ممن يقرأون هذا التفسير له رحمه الله على أن مدلوله هو أن هذا كله يوم البعث وأن الجبال ستنهدم بالرجفة أو برجة الأرض فتصير كثباناً من الحجارة والأتربة ثم ينسف الله تعالى هذه الكثبان فتصير كالهعن المنفوش أى الصوف المتطاير من خفَّته ثم تصبح الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ [طه:١٠٥-١٠٧].

ويبدو أن ابن كثير رحمه الله تعالى فسر آيات سورة المزمل بآيات سورة الواقعة وبآيات سورة طه، وبآيات سورة القارعة وهي قوله تعالى : ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:١-٥] وحيث أن الاختلاف واضح بين الكثبان المهيلة التى تصير إليها الجبال بفعل رجفة الأرض ورجتها، وبين العهن المنفوش الذى تصير إليه الجبال بعد القارعة ، وذلك حين يكون الناس كالفراش المبثوث، فقد حاول ابن كثير أن يجعل هذا تحولاً من ذاك فقال: ﴿فقل ينسفها ربى نسفاً﴾ومن ثم وقع النسف حسب قوله على الكثبان المهيلة وليس على الجبال مع أن آيات سورة طه تثبت النسف الذى تنعدم على أثره الجبال واقعاً على الجبال ، وليس على كثبان مهيلة وتنسب الفعل مباشرة لله تعالى : ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ بخلاف هدمها ودمارها بفعل رجفة الأرض ورجتها الذى يعقبه الهدم والردم، وليس النسف الذى تصير به كالعهن المنفوش، ثم تصير هباء ثم تنعدم بالكلية، فتصبح الأرض مستوية ليس فيها نتوءات والحقيقة أن الجبال التى تصبح بالرجفة كثباناً مهيلة غير الجبال التى ينسفها الله تعالى نسفاً، الأولى هى العمارات والمبانى السكنية الشاهقة، وهى جبال لارتفاعها الشاهق ولضخامة المبنى وتنهدم بزلزلة الساعة فتصبح أكثرها كثباناً مهيلة أى أكواماً من التراب والحجارة وذلك يوم زلزلة الساعة التى هى شيء عظيم، وهو يوم الواقعة وهو اليوم الذى ترتجف فيه الأرض والجبال، و هذا اليوم من أيام الدنيا، ولاتفنى فيه الحياة

بأكملها بل هو فناء لأكثر الأحياء ويبقى الناس بعدها كما وضحنا فى الجزء الأول من القيامة الصغرى، وانهدام الجبال هو انهدام العمارات، وليس الجبال التى هى أوتاد الأرض التى يسمونها الطبيعية بخلاف الجبال الصناعية التى أنشأها الإنسان أما اليوم الذى تكون فيه الجبال كالعهن المنفوش فهو يوم البعث الذى يخرج فيه الناس من قبورهم كالفراش المبثوث، وهو اليوم الذى ينسف فيه الله الجبال نسفاً فيذر الأرض قاعاً صفصفاً لا عوج فيها، ولا أمتاً وكل البشر يتبعون الداعي ويسيرون فى اتجاه واحد نحو المحشر للحساب ومن ثم قال بعد ذلك ﴿لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ۝ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ۝١٠٨ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه:١٠٧-١٠٩] .

فالجبال التى ستصبح كثيباً مهيلاً غير الجبال التى سينسفها ربى نسفاً واليوم الذى يتم فيه الحدث الأول غير الذى يتم فيه الحدث الثاني، الأول فى الدنيا ومن أحداث القيامة الصغرى، والثانى بعد البعث ومن أحداث القيامة الكبرى لكن ابن كثير خلط بين الحَدَثَيْن وبين الزمانين وجعل هذا امتداد لذاك وجعل الحال الثانى تحولاً عن الحال الأول، أى جعل الحدثين حدثا واحداً بمرحلتين تصبح الجبال فى الأولى كثيباً مهيلاً ثم ينسف الله تعالى الكثيب المهيل إلى عهن منفوش ثم يتلاشى هذا العهن المنفوش، وهذا هو الخطأ لأن الجبال التى تنهدم بالزلزال ليست أوتاد الأرض التي ألقاها الله عليها من السماء أثناء خلقها في يومين، وإنما هي البنايات الشاهقة ذات الطوابق المتعددة والشقق العديدة التي صارت قممها وأسطحها أعلى من كثير من جبال مكة وغيرها، أما الجبال التي سألوا الرسول ﷺ عنها ماذا سيكون مصيرها يوم القيامة فهي الجبال التي جعلها الله تعالى أوتاداً للأرض مثل جبال مكة وهي التي سينسفها الله عز وجل وهي التي كان سؤال المشركين للنبي ﷺ عنها.

وهذا شاهد من شواهد الخلط بين حدث من أحداث القيامة الصغرى التي تقع في الدنيا وتستمر بعدها الحياة وبين أحداث القيامة الكبرى التي تحدث بعد البعث من القبور، وهو ليس عند ابن كثير فقط بل عند أكثر المفسرين، والسبب هو عدم التمييز بين كل من القيامة الصغرى، والوسطى والكبرى.

الشاهد الثاني: وهو يخص حال الأرض يوم القيامة قال تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة:١-٦]. .

قال ابن كثير فى تفسيرها :

قال ابن عباس :﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أى تحركت من أسفلها.

﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أى ألقت ما فيها من الموتى قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[الحج:١] وكقوله: ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق : ٣،٤] وقال مسلم فى صحيحه وحدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول: فى هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: فى هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: فى هذا قُطِعت يَدى، ثم يَدَعُونَهُ فلا فلا يأخذون منه شيئاً» (١).

فإذا تأملنا هذا الحديث الصحيح لوجدنا أنه من أحداث الدنيا وأحوالها وأحوال أهلها وليس من أحوال البعث ولا من أحوال البرزخ، ولا من أحوال أهل الجنة ولا من أحوال أهل النار، ومن ثم فالذى يشير إلى اسطوانات الذهب والفضة تحت قدميه بعد أنْ أخرجتها الأرض من باطنها أثر الزلزلة ويقول فى هذا فعلت وفى هذا فعلت من المعاصى نادماً لابد أنه من أهل الدنيا ولا زال حياً فيها بدليل قوله ﷺ عن هؤلاء الذين عصوا ربهم بسبب الذهب والفضة أو المال بعامة « ثم يَدَعُونَهُ فلا يأخذون منه شيئا» وليس هذا من أحوال الناس فى المحشر، وليس هذا من أحوالهم فى البرزخ،

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٥٣٨ ،ص٥٣٩ .

لاحظ أن هذا ليس من قول ابن عباس وإنما هو قول بعض التابعين فهو اجتهادي منهم بالرغم من أنه يخالف حديثاً ورد فى تفسير هذه الآية كما سنرى

وإنما الذى يرى المال ويدعه ندماً على فعله، هـو بالضرورة من أهل الدنيا، فبنص هذا الحديث الـشريف الصـحيح يكون وقـوع زلزلة الأرض التى هـى زلزلة الساعة فى سورة الحج، هو من أحداث الدنيا الذى يعيش الناس بعده وتستمر الحياة بدليل قول الإنسان بعد انتهاء الزلزلة ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ قال ابن كثير : « أى استنكر أمرها بعد مـا كانت قارة ثابـتة ساكنة وهـو مستقـر على ظهرهـا أى تقلبت الحـال فصارت متحـركة مضطـربة قد جاءهـا من أمر الله تعـالى ما قد أعـده لها من الـزلزال الذى لا محيد له عـنه، ثم ألقت ما فى بطنهـا من الأموات الأولين والآخرين وحينئـذ استنكر الناس أمرها وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار »[1] .

فتأمل انتـقال ابن كثير من زلزلة الأرض إلـى البعث والنشور مبـاشرة وهو خطأ لأن الزلزلة يعيش بعدها كثير من النـاس ويتساءلون : مالها؟ أى ما سبب هذه الرجفة العنيفة الـتى لم يحدث لها مثيل مـن قبل؟ وتأتى الإجابة من أخبارهـا التى تحدث بأن ربك أوحى لها، أى أن نشرات الأخـبار وإجماع العلماء من جيولوجـيين وفيزيائيين وغيرهـم سـيقولون يومها أن هـذا أمر لا تفسير له بـالعوامل المادية، إذ لا تفـسير له إلا بالمبادئ الديـنية القائلة أن للكون ولـلإنسان رباً واحداً غضب عليه فـأنزل به العذاب بهذا الـزلزال، أليست أخـبار الأرض هى الصادرة عـن وكالات الأنباء فى الـنشرات الإخبارية فى أجهزة الإعلام؟ بلى والله إن هذا لا يكون إلا فى الدنيا وفى أيامنا هذه، وبالرغم من أن الحديث الصحيح يقول إن الأثقال التى ستخرجها الأرض من باطنها هى اسـطوانات الـذهب والـفضة إلا أن ابـن كثيـر يصر عـلى أن الـذى ستخـرجه الأرض هو جثث الأموات من الأولين، والآخرين، فـجعل الزلزلة هى الحادث الذى يتم عـلى أثره البعـث والـنشور، وهذا الخطـأ الناجم عن الخـلط بين الزلزلة الـتى هى أخطر أحداث القيامـة الصغرى، أو فجر يوم القيامة، وبين الساعـة التى يموت بها كل

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص٥٣٩ وقد سبق أن فصلـت فى الجزء الأول ما يثبت أن زلزال الساعة هو فى الدنيا، ولكـن ابن كثير هنا يحيـد عن الحديث الذى يقرر أن الأثقـال التى تلقيها وتخـرجها الأرض بعد الزلـزال اسطوانات الـذهب والفضـة ويقول أن الأثقـال هى الأموات من الأولـين والآخرين أى البـعث وهذا هو الخطأ

حي في لحظة واحدة، وهي ما نُسَمِّيه القيامة الوسطى، وأيضاً خلط في تفسير هذه السورة بين القيامتين، الصغرى والوسطى من ناحية وبين القيامة الكبرى من ناحية أخرى بقوله وحينئذ استنكر الناس أمرها ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وهذان الحدثان اللذان هما تغيير الأرض والسموات والبروز لله عز وجل للحساب هما أهم أحداث يوم القيامة الذى يبدأ فى الدنيا والحياة تستمر بعده والناس يتصارعون ويطيعون ويعصون ويبتلون وبين يوم الدين والحساب الذى فى آخره بعد انتهاء الحساب يغير الله الأرض غير الأرض والسماوات فانظر إلى أى مدى صار الخلط عند المفسرين بين مراحل يوم القيامة وهو خطأ واضح كمن يخلط بين طلوع الشمس وبين غروبها، ويجعلهما ساعة واحدة لمجرد أنهما فى عصر واحد مع أنهما نقيضان إن يوم القيامة يبدأ فى الدنيا فى آخر عصر من عصورها، وينتهى فى آخر يوم البعث والنشور أى يوم الدين ويوم الحساب بانتهاء الحساب وبين هذا الحدث وذاك حدث آخر وسط هو القيامة الوسطى الذى يموت فيها كل حي وهو مختلف عن يوم الزلزلة الذى يُقْتَل ويهلك فيها خلق كثير ولكن تستمر الحياة ويستمر الصراع بين أهل الإيمان، وأهل الكفر وهذا الخلط عند ابن كثير موجود فى تفسير آيات القيامة وأحداث الساعة ومشاهد البعث والنشور فى جميع السور التى وردت فيها وليس عند ابن كثير وحده، بل عند كثير من المفسرين المحققين غفر الله لنا ولهم جميعاً، إن لم يكن عند أكثرهم.

هذا بالرغم من أن منطوق سورة الزلزلة وسياقها يدلان دلالة صريحة على أن الزلزلة تكون فى الدنيا ويستمر بعدها الإنسان حياً ويثبت هذا ويؤكده حديث رسول الله ﷺ عن خروج اسطوانات الذهب والفضة وموقف العصاة منها وتركهم لهذا المال بعد أن كان سبباً فى معصيتهم لله تعالى من قبل، ثم صار كثيراً حتى أنه ليضربه بقدميه نادماً ولكن ابن كثير مع كثير من السلف يفسرون « أثقالها» بأنها الأموات من الأولين والآخرين أى فسروها بالبعث وهو غير صحيح بل هو خطأ ناتج عن لبس وخلط فى أذهانهم عن أحداث القيامة وتداخلها فى بعضها، و الصحيح هو الفصل والتمييز بينها، ومن ثم لزم منا هذا الفصل والتمييز استخدام المصطلحات الثلاثة: القيامة الصغرى والقيامة الوسطى والقيامة الكبرى أو مراحل القيامة الثلاثة ،

وذلك حتى لا ينجم تناقض بين الحديث الصحيح ودلالة الآيات عند المفسرين، كما حدث في تفسير آيات الزلزلة ولجوء بعض السلف إلى تفسير الأثقال بالأموات بعد البعث في حين أن الحديث الذى رواه مسلم يفسرها باسطوانات الذهب والفضة تخرجها الأرض من بطونها للناس الأحياء.

وهذا الاختلاف ما نجم إلا بسبب اللبس الحادث فى أذهان المفسرين بين مراحل يوم القيامة واعتبارها كلها مرحلة واحدة حتى أدخلوا أحداث كل مرحلة فى الأخرى.

الشاهد الثالث: وهو فيما يخص أحداث السماء يوم القيامة فى سورة الانشقاق قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:١-٥] قال ابن كثير فى تفسير هذه الآيات « يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أى استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وذلك يوم القيامة ﴿وَحُقَّتْ﴾ أى وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذى لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء وَذَلَّ له كل شيء ثم قال: ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ اى بسطت وفُرشت ووسعت]. ثم اورد ابن كثير حديث ابن جرير بسنده إلى على بن الحسين ان النبى ﷺ قال: «اذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مَدّاً الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه فاكون أول من يُدعى وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها، فأقول: يارب ان هذا أخبرنى أنك أرسلته إلىّ فيقول الله عز وجل صدق، ثم اشفع فأقول يارب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض قال وهو المقام المحمود وقوله تعالى ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾: أى ألقت ما فى بطنها من الاموات وتخلت منهم قال مجاهد وسعيد وقتادة][1] فَتَفْسير إنشقاق السماء بأنه يكون يوم القيامة من غير تحديد فى أى مرحلة من مراحل هذا اليوم ثم تفسير مَدّ الارض والقاء ما فيها وتخليها عما كان فيها بانه بعث الاموات من قبورهم وخروجهم للحساب،

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٤٨٨

يوحي بـأن الانشقاق يكـون يوم البعث، وهـو غير صحيـح اذ هو من احداث القـيَامة الصغرى أو المـرحلة الأولى من مراحل يوم الـقيَامة وخروج الاموات من الـقبور من مراحل القـيامة الكبرى أو المرحلـة الثالثة من مراحلـها، فالانشقاق يقع فـي فجر يوم القيامة اى فى الـقيامة الصغرى ومثلهـا قوله تعالى ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ كما سنرى هذا بعد فى جزء لاحق بـاذن الله تعالى والقول بأن هذا يحدث يوم القيـامة تحديد للمرحـلة يورث اللبس والخـلط بين الأحداث ويتبع هـذا الشاهد إنفطار الـسماء الذى فسره ابـن كثير بانشـقاقها على مـا بين الانفطار والانشـقاق من فروق لغويـة أغفلها فقـال فى تفسير أول سـورة الإنفطار [يقول تـعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ أى انشقت كما قال تعالى ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ اى تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ قال ابن عباس فجر الله بعضها فى بعض][1]

وهذا تفسير عام للأحداث من غَـيْرٌ بيان زمان الحدث ومـرحلته في يوم الـقيامة، وتفسير الانفطار بالانشقاق غيْر دقيـق ومخالف لمقتضى دلالة اللغة، لأن هذا غير ذاك كما سنرى بعد.

هذه كلها شواهد اثبتت ما ذكرناه من أخطاء فـي التفسير فيما يخص آيات الساعة والقيامة ويوم الدين والاحداث المميزة لكل مرحلة عن الأخرى فى اليوم الآخر.

وهذا يَسْـتلزم عرض أحداث كـل مرحلة من خلال نـصوص الوحي فى الـكتاب والسنـة لتستبين لـنا الفروق المميـزة بينها حتـى يرتفع عن أذهانـنا ما توارثناه مـن لبس وخلط وإختلاف وليس ما نـقوله عن علمائنا الأولين السابقين طعنـا في علمهـم، فهم الأعلم والأحكم، بَيْد أن مـن عاصر احداث القيامة يكون اقرب إلى فهـمها وتأويلها منهـم لاننا نحن اهل يـوم القيامة الصـغرى قد رأينا بعـض احداثه رَأْيَ عيْن ونـنـتظر ونترقب بقية الاحداث.

---

(١) تفسير ابن كثير/ ٤/ ٤٨١

الفصل الثاني

اختلاف العلماء حول تَحْديد عدد نفخات الصور من أهم أسباب الخلط بين مراحل القيامة الثلاث

٤٩- إختلاف العلماء حول تحديد عدد نفخات الصور.

٥٠- نفخة البعث.

٥١- نفخة الصعق.

٥٢- العلاقة بين الصيحة والصعق.

٥٣- نفخة الفزع.

(٤٩) اختلاف العلماء حول تحديد عدد نفخات الصور:

اختلف العلماء حول عدد نفخات الصور، فقال بعضهم: هما إثنتان وقال الفريق الثاني: بل ثلاث نفخات. ولا شك أن هذا الإختلاف أحد أسباب الخلط بين أحداث كل مرحلة من مراحل القيامة، ويكون الخلط أوضح عند الذين يقولون أنهما نفختان، ومع هذا لم ينج الفريق القائل بثلاث نفخات من الخلط أيضا.

ولنا أن نسأل أولا عن الصور الذى يأمر المولى عز وجل بالنفخ فيه فتأتى الإجابة بأنه الناقور قال تعالى ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر/٨- ٩] قال المفسِّرُون الناقور هو الصور يُنقر فيه، أى ينفخ فيه.. ولم يرد النقر فى الناقور إلا فى هذه الآية الكريمة، بينما ورد النفخ فى الصور فى عشر آيات كريمات، يحتمل تفسيرها أن يكون عدد النفخات إثنتيْن، كما يحتمل أن يكون ثلاث نفخات، ومن ثم سنحتاج إلى مرجح من النقل والعقل لترجيح أحد القولين.

ويساعدنا على تحقيق هذا المطلب البدء بما إتفق عليه العلماء من النفخات، ذلك أن كل نفخة تمثل مرحلة من مراحل يوم القيامة، فمن قال بأنهما نفختان جعل القيامة إثنتين، ومن جعل النفخات ثلاث جعل القيامة ثلاث قيامات، أو جعل يوم القيامة يوما واحدا بمرحلتين أو بثلاث مراحل. لكن الجميع بلا إستثناء يتفقون على أن آخر النفخات هى نفخة البعث التى يقوم على أثرها الناس جميعا من قبورهم للحساب، فهى الثانية عند فريق والثالثة عند فريق.

(٥٠) نفخة البعث:

وعلى هذا الأساس سنورد من آيات النفخ فى الصور تلك التى تخص النفخة الأخيرة، لانها التى لاخلاف حولها عند العلماء.

الأولى: قوله تعالى ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢)

يَتخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إن لَّبِثْتُمْ إلاَّ عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إن لَّبِثْتُمْ إلاَّ يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ [١٠٠-١١٢ طه] فالسياق يتحدث عن يوم القيامة، يوم ينفتح في الصور ويحشر الله تعالى فيه المجرمين زرقا، ويستعرضون مدة وجودهم في الحياة الدنيا فيجدو اكأنها عشرا، بل يصل الامر لامثلهم طريقة إلى القول بأنهم لم يلبثوا في الدنيا كلها الا يوما، وأما الجبال في هذا اليوم أي يوم الحشر الذي يبدأ بنفخة الصور فينسفها ربي نسفاً حتى أنهم عندما يخرجون للحشر فسيجدون الأرض قاعا صفصفا لاعوج فيها ولا أمتا أي مُهَيَّأَةً للحشر، فيتبعون الداعي الذي يدعوهم ويسيرون خلفه أو في اتجاه صوته حتى يقفوا في المحشر خاشعة أصواتهم للرحمن سبحانه فلا يتكلم أحد إلا همسا، ولن يتمكن أحد يومئذ من الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا وهو رسول الله الخاتم المصطفى سيدنا محمد ﷺ، وعنت الوجوه له سبحانه وخاب الظالمون بدخولهم جهنم وفاز الموحدون بدخولهم الجنة برحمة الله تعالى ومغفرته.

هذه كلها مشاهد يوم الدين الذي يبدأ بالبعث من القبور، هذا الذي يتم بنفخة في الصور وهي بالضرورة الأخيرة بين النفخات الثلاث او من النفختين، وهي أيضا التي وردت في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) فَإذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا

تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٩٩- ١١٥ المؤمنون] وهذا السياق أيضا يثبت بما لايدع مجالا للخلاف ان هذه النفخة هى نفخة البعث التى يحى الله تعالى بها أهل البرزخ للحساب الذى نتيجته الحتمية فريق فى الجنه وفريق فى السعير ويراجعوا أيضا عدد السنين التى مكثوها فى الدنيا ليجدوا أنهم لم يلبثوا الا قليلاً.

ومثلها أيضا النفخة التى وردت فى سورة يسن فى قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨) وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ [٥١-٦٧ يسن] فهذا السياق يثبت أيضا أن هذه النفخة هى التى يتم بها البعث، ثم الحساب، ثم دخول الكافرين النار ودخول المؤمنين الجنة، وذلك بعد عبور الصراط الذى يجتازه المؤمنون، ويسقط من فوقه الكافرون والمنافقون إلى جهنم، ومن ثم يحق القول- بلا أدنى مجال للخلاف- أن هذه النفخة هى آخر النفخات.

كذلك يدل سياق سورة ق على أن النفخة الواردة فيه هى الأخيرة التى يعقبها البعث قال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [١٦-٣٥ ق] ذلك أن السياق يتضمن بعد النفخة مشاهد من مجادلة كل فرد لقرينه ثم دخول حزب الشيطان النار ودخول عباد الرحمن الجنة خالدين ابدا.

وتلك العناصر موجودة فى جميع السياقات التى تعقب هذه النفخة، ومن ثم وبلا أدنى خلاف أو جدال تكون هى النفخة الأخيرة.

وكذلك النفخة الواردة فى سياق سورة النبأ يتضمن هذا السياق نفس العناصر فى حجيع السياقات السابقة قال تعالى ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠)﴾ [١٧ - ٤٠ النبأ] هذا هو يوم الفصل يوم الحساب يوم الدين يعقبه الخلود فى الجنة للمؤمنين والخلود فى النار للكافرين، ومتى يبدأ هذا اليوم؟ يبدأ بالخروج من القبور بالنفخة الأخيرة ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أى بعد القيام من القبور. فهذه النفخة إذن هى بلا خلاف وبلا جدال نفخة البعث أى هى نفخة القيامة الكبرى تفتح فيها ابواب السماء وتسير فيها الجبال فتصبح سرابا وهذا هو الذى يتم بالمرحلة التالية لمرحلة العهن المنفوش حيث ستتلاشى الجبال بعدها وتصبح كأنها سراب ثم يقوم الحساب ثم يؤتى بجهنم ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [٢٣ الفجر] ثم يدخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة كما جاء فى بقية السورة .

كل هذه المواضع السبعة التى ورد فيها ذكر النفخ فى الصور تناولت بحسب السياق- نفخة البعث، وأما الموضع الثامن الذى ورد فيه ذكر الصور فهو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام :٧٢-٧٣] وسياقه يدل على أنها نفخة البعث أيضاً لقوله تعالى قبل ذكر النفخة ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ولقوله تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ إشارة إلى قوله تعالى بعد موت الأحياء من الأنس والجن والملائكة حتى جبريل وملك الموت (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار..) فنفخة الصور هذه يحتمل أن تكون هى النفخة الأخيرة التى يُحْيى الله تعالى بها الأموات: إنساً وجناً وملائكة ويحتمل أن تكون التى قبلها وهى التى يُميتُ الله بها كل حى فى الأرض ولا يبقى معه حى فى الكون ويرجح هذا القول قوله تعالى فى أول الآية ﴿وهُوَ الَّذى خلق السَّموات والأرضَ بالْحقّ﴾ إذ أن ذكر بدء الخلق فى الآية التى جاء فيها ذكر النفخة يرجح أنها نفخة النهاية التى تأتى بقوله تعالى (كن فيكون)

وعلى هذا فالنفخة فى آية الأنعام هذه تحتمل أن يكون المقصود بها نفخة البعث أى الأخيرة ويحتمل أن يكون المقصود بها النفخة التى قبلها وهى نفخة الإفناء التام للحياة برمتها وهى نفخة الساعة، ودلالتها على هذه الأخيرة أرجح ، وأياً كانت دلالة النفخة فى آية الأنعام على الأخيرة أو التى قبلها، فإنه لا خلاف بين العلماء حول هاتين النفختين، وأعنى بهما نفخة البعث التى هى الأخيرة، والتى هى نفخة الإحياء ونفخة الفناء التام وإماتة كل حى وهى التى تسبقها مباشرة، وإنما الخلاف حول نفخة تسبق هاتين النفختين إذ يُقصر بعض العلماء النفخ فى الصور على اثنتين بينما يرى البعض الآخر أنها ثلاث وهو الذى أراه وأرجحه معهم أن النفخات فى الصور ثلاث، ومن ثم تكون هاتان النفختان هما الثانية والثالثة، وتكون الأولى من الثلاث هى محل الخلاف.

ولحسم هذا الخلاف وبيان الحق فيه نقول إن عبارة نفخة الصور وردت فى عشر مواضع كما ذكرنا، أوردنا منها ثمانية مواضع، سبعة منها تدل دلالة قطعية بمقتضى السياق على نفخة البعث، وهى آخر النفخات، وواحدة وجدنا أنها يحتمل أن تخص البعث كما يحتمل أنَّها تخص الإفناء والموت الكلى التام الشامل، ورجحنا هذه الدلالة الأخيرة، وعلى هذا يتبقى لدينا من آيات الذكر الحكيم التى تخص النفخ فى الصور موضعان فى سياقين، السياق الأول: -

(٥١) نفخة الصعق:

وهو الموضع التاسع وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ

حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الزمر:٦٦-٧٥].

هذا السياق القرآني الكريم في آية الزمر ضم النفختين معاً وفي آية واحدة إحداهما نفخة الصعق وفيها صعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله والنفخة الأخرى التي تلي نفخة الصعق هي النفخة التي يقوم الأموات جميعاً على أثرها ينظرون حولهم أي هي نفخة البعث﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ فضمت هذه الآية نفختي الإفناء والموت الكلي الشامل لجميع الأحياء في الأرض ثم نفخة البعث وهما الأخيرة وما قبلها كما وضحنا من قبل، ثم توالت في السياق مشاهد الحساب وسوق الكفار إلى النار وسوق المؤمنين إلى الجنة.

والسؤال الآن عن الصعق ماذا يكون؟ وما هو أثره؟

ونبدأ بالصعق الذي نعرفه في هذه الحياة الدنيا وهو الذي جاء في قوله تعالى في سورة الرعد ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٢-١٣] والبرق والرعد كما يقول علماء الفيزياء المعاصرون مظهران لظاهرة واحدة ناتجة عن التقاء شحنة كهربية موجبة بأخرى سالبة فيحدث منها تيار كهربائي عالي جداً له أثره في إنزال المطر من السحب المحملة ببخار الماء الكثيف وهذا الانفجار الكهربائي المتمثل في التقاء الشحنتين له صوت وضوء وضوؤه هو البرق الذي هو عبارة عن التيار الكهربائي الذي يتلبس

بأبخرة الماء فى السحب الملقحة، وصوته هو الرعد ومن ثم يصل البرق قبل الرعد ويسرى لأن الضوء أسرع بكثير من الصوت، كما هو معلوم، وهذا الذى نراه ضوءاً لامعاً خاطفاً سريعاً فى السحاب قبل سماع صوت الرعد إذا امتد إلى سطح الأرض- وكثيراً ما يحدث هذا - فإنه يصعق كل من يطوله من الأحياء ويحرقه ويقتله على الفور وله تأثيره المدمر أيضاً فى غير الإحياء والواحدة منها صاعقة وجمعها صواعق، وإذا أصابت أحداً من الناس فهو بإذن الله تعالى وأمره وقدره، وليس مصادفة، كما قد يتوهم البعض وبخاصة العلمانيون والملاحدة بدليل قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ... ﴾ فلكل إنسان حفظة من الملائكة يحفظونه بأمر الله وقدره ومن ثم لا تُصيب الصواعق أحداً إلا بأمره كما لا يقع شيء فى الكون إلا بأمره، ومن ثم قال تعالى بعد ذكر البرق ثم الرعد : ﴿...وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴾ .

فالصعق إذن هو التعرض لتيار كهربائى شديد يقضى على الكائن الحي، هذا بالنسبة للصواعق النازلة من البرق والرعد.

ولكن الصواعق التى أهلك بها الله تعالى أقواماً سابقين عن آخرهم دفعة واحدة هو من الصعق السماوى الصادر من السماء، وهو إن كان مختلفاً عن الصواعق الجزئية المحدودة النازلة من البرق والرعد إلا أنه لابد أن يكون من جنسها لإطلاق لفظ الصاعقة بالمفرد أو الجمع على الاثنين.

ففى قوله تعالى عن هلاك عاد وثمود﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصلت : ١٣] دليل على أن هذه الصاعقة التى أهلك الله بها ثمود فما بقى منهم أحداً بصاعقة واحدة هى بلا شك صاعقة عظيمة جداً لإهلاكها مجتمعات بأكملها .

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ومثلها قوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا

حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ [الذاريات :٤٣-٤٥].

وكذلك أهلك الله النقباء المختارين من بنى إسرائيل بالصاعقة جزاء لهم على طلبهم رؤية الله جهرة قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥-٥٦] . فالصعق نتيجته غالباً الموت بدليل أن الله تعالى بعثهم من بعد موتهم لعلهم يشكرون، وفى سورة النساء : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٥٣].

أما الصعق الذى أصاب موسى عليه وعلى نَبِيِّنَا الصلاة والسلام من أثر تجلى الله عز وجل على الجبل الذى جعله دكاً والذى ورد فى قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف :١٤٣] فلم يمت موسى عليه الصلاة والسلام من هذا الصعق ولكنه خر مغشياً عليه بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾.

وبقيت من آيات الصعق واحدة تتحدث عن صعقة ينذر الله تعالى بها الكافرين من بعد نزول القرآن تصيبهم جميعاً وليس كفار قريش فقط لأن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب فهى إنذار لكل من يعرض عن القرآن الكريم، وعن الإسلام منذ نزوله إلى يوم الفناء قال تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت :١٣٠] وهذا إنذار من الله تعالى إلى البشرية الكافرة منذ العهد النبوى المكى إلى يوم الفناء أى أنها قادمة فى وقت يعلمه الله تعالى وبسبب طغيان أحوال الكفر والفسق والفجور على حياة البشر، وهى من الصواعق العامة

المهلكة المستأصلة ليس لقوم بعينهم ولكن لكل الكافرين، وحيث أن الفناء الكلى لا يحدث إلا إذا كان سكان الأرض كلهم كافرين فإنها تكون الساعة المهلكة .

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى عن صاعقة منتظرة ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٤) فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [الطور:٤٥-٤٦]

فهذا اليوم الذى سيلاقى فيه الكفار الصعق هو يوم نفخة الصعق وهو يوم الفناء التام والموت الشامل لكل الأحياء ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ إذن هو سيأتي، وتلك هى نفخة الصعق أو نفخة الفناء التام لكل حى فى الأرض، وحيث لا يكون حى فى الأرض من الإنس والجن إلا كافراً فيقع عليهم الصعق، فالصلة بين النفخ فى الصور والصيحة وثيقة كما أن الصلة بين الصيحة وبين الصعقة وثيقة وتلك هى القيامة الوسطى التى يموت فيها كل حى بالصيحة الصاعقة.

(٥٢) العلاقة بين الصيحة والصعق:

فما العلاقة إذن بين النفخ فى الصور وبين الصيحة؟!

العلاقة واضحة بين النفخ فى الصور وبين نزول العذاب المستأصل العام على قوم من الأقوام بالصيحة فالنفخات فى الصور إذن ليست ثلاثة، وإنما هى أكثر من ذلك، وإنما الذى بقى منها منذ نزول القرآن إلى آخر الحياة الدنيا ثلاث نفخات لأن بعض الأقوام المستأصلين هلكوا بالصيحة التى أحدثتها النفخة بدليل قوله تعالى فى سورة يسن ذاكراً الصيحات الثلاث: الأولى التى أهلك بها قوم شهيد يسن والثانية وهى نفخة الفناء العام والثالثة نفخة البعث قال تعالى : ﴿وما أنزلنا علىٰ قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين (٢٨) إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون (٢٩) يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون (٣٠) ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون (٣١) وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ [يسن ٢٨: ٣٢] ويمضى

السياق إلى أن يقول الله عز وجل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٤٨-٥٤] ثم يمضى السياق ذاكراً الجنة وأهلها والنار وأهلها بعد تمام الحساب والصراط.

هذا السياق يتحدث عن صيحتين: الأولى هى صيحة الفناء الشامل المفاجئ الذى يدرك الناس جميعاً بصيحة الصعق فيموت كل فى مكانه أثناء عمله ولا يرجع أحداً إلى أهله، وذكر فى هذا الإفناء الصيحة ولم يذكر فيه النفخة.

والصيحة الثانية فى السياق هى صيحة البعث والإحياء والخروج من القبور، لكن السياق قَرَنَ هذه الصيحة بالنفخ فى الصور، لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ إذن النفخ فى الصور يحدث صيحة والعلاقة بينهما وثيقة، فلا صيحة إلا بنفخة فى الصور، ولكن صيحة للموت أو الصعق وصيحة للإحياء والبعث، ومن ثم تَبْقَى الصيحة التى أهلك بها الله قوم شهيد يسن التى جاءت فى قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ فهذه إذن كانت بنفخة أيضاً فى الصور، ومن ثم فكل صيحة إهلاك لقوم إنما تكون بنفخة فى الصور، وهذا يفيد أن عذاب ينزل على قوم يكون بالصيحة تَتِمُّ بنفخة فى الصور ومن ثم فالنفخات متعددة فيما سبق من تاريخ البشر ولكن الباقى فى تاريخها هما اثنتان عند بعض العلماء وثلاث عند البعض الآخر.

(٥٣) نفخة الفزع:

والذى أرجحه كما ذكرت من قبل هو أن النفخات التى تنتظرها البشرية حتى نهاية الحياة الدنيا ثلاث نفخات، ومعنى هذا أن ثمة نفخة تسبق نفختى الفناء والإحياء.

فما هى هذه النفخة؟ إنها النفخة التى وردت بالموضع العاشر، وهو الموضع المتبقى لدينا من المواضع العشر، وهى نفخة الفزع، فما هى نفخة الفزع؟!

إنها نفخة لا تسبب صعقاً لأهل السماوات والأرض، ولكن تسبب هدماً وفزعاً وموتاً للبعض بسبب الهدم ونجاة للبعض، وفرق كبير بين الصعق وبين الفزع ، لأن الصيحة التى يصعق بها الخلق لا تترك لهم وقتاً يفزعون فيه أو يصيبهم فيه الخوف، وإنما هو مجرد وصول الصوت إلى الأذن وحدوث الموت على الفور.

أما نفخة الفزع فقد وردت فى القرآن الكريم مرة واحدة بخلاف نفخة الصعق فقد مضى منها عدد بقدر هلاك الأمم المستأصلة بالصيحة وسيأتى منها نفخة الإفناء العام أى الاستئصال العام للحياة من على ظهر الأرض، وهو ما سيتم بالصيحة كما دلت على هذه السياقات السابقة وكذلك بقيت نفخة البعث بصيحة الإحياء وهى بعد نفخة الإفناء بالصيحة.

ولكن نفخة الفزع التى وردت فى سورة النمل بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَمَن فِى الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل:٨٧] والفعل المضارع ﴿يُنفَخُ﴾ فى الآية يفيد المستقبل، فهذا إنباء لما هو منتظر على مستوى البشر جميعاً بل إن الفزع يطول الملائكة أيضاً لأنهم أهل السماوات إلا ما شاء الله تعالى وقد علمنا أن هذا الفزع العام لأهل السماء والأرض ليس هو يوم الصعقة للفناء، وليس هو يوم الصحية للإحياء وللبعث، وحتى يتبين لنا المقصود بنفخة الفزع، يجب علينا أن نعرف أحوال البشر عند وقوع نفخة صيحة الفناء أو استئصال الحياة من الأرض بعامة، وأحوالهم عند البعث وبعده أى يوم الحساب والجزاء.

الفصل الثالث

القيامات الثلاث

أو مراحل يوم القيامة الثلاث

٥٤- التمييز بين كل مرحلة من المراحل الثلاثة .

٥٥- أحداث القيامة الكبرى أو مرحلة النفخة الثالثة.

٥٦- أحداث القيامة الوسطى أو مرحلةالنفخة الثانية.

٥٧- العناصر الرئيسية فى أحداث القيامَتَيْن: الوسطى والكبرى الكائنتيْن بنفختيْ: الصعق والبعث.

٥٨ - أحداث القيامة الصغرى التى تتم بنفخة الفزع وهى النفخة الأولى المرتقبة.

(٥٤) التمييز بين كل مرحلة من مراحل القيامة الثلاث:

لقد اصطلحنا فى هذا الكتاب على إطلاق اسم القيامة الصغرى على المرحلة الأولى والوسطى على الثانية والكبرى على الثالثة بقصد التمييز والفصل بين كل منها، فالوارد فى الكتاب والسنة أن يوم القيامة واحد ولكن نظراً لما يحدثه هذا من لبس عند الأذهان، إذ يتوهمون أنه يحدث فى ساعة واحدة، أو فى مرحلة واحدة، وهو ما حدث عند المفسرين، وحتى نتحاشى هذا، قلنا أنه ثلاث مراحل رئيسية أو ثلاث قيامات، حتى يمكن اعتبار كل نفخة محدثة لقيامة من القيامات الثلاث تميزاً بينها مع أنها جميعا أحداث يوم القيامة.

وليس الفصل أو التمييز بين مراحل القيامة بالاسم ولا حتى بالزمن فحسب، بل هو بالأحوال والأحداث إذ تختلف الأحداث التى تخص كل قيامة بالنسبة للانس والجن والملائكة والسماء والأرض والبحار والجبال والكواكب والشمس والقمر فى كل قيامة أو فى كل مرحلة عن المرحلتين الأخريَيْن.

وستحدث بإذن الله تعالى عن كل مرحلة على حدة من خلال حديث الصور الطويل الذى سبق أن أَوْرَدْتُ بعضه فى الجزء الأول من غير تفصيل أو شرح، ونذكره هنا مفصلاً مشروحاً بإذن الله تعالى ليتضح لنا الفصل والتمييز بين القيامات الثلاث أو مراحل القيامة الثلاثة.

ونبدأ بالقيامة الكبرى أو المرحلة الأخيرة التى تبدأ بنفخة البعث أو النفخة التى يحدث الله بها صيحة الإحياء، وتنتهى بدخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ثم خروج بعض أهل النار منها ودخولهم الجنة برحمة الله عز وجل وشفاعة الشافعين من أهل الجنة.

(٥٥) أحداث القيامة الكبرى أو مرحلة النفخة الثالثة:

جاء فى حديث الصور الطويل الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه ما يلى :

(... ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثم يقول ليحيي جبريل

وميكائيل فَيَحْيَيَان، ثم يدعو الله الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نوراً، والأخرى ظلمة فيقبضها جميعاً، ثم يلقيها فى الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النمل قد ملأت ما بين السماء، والأرض فيقول الله تعالى: وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد، مشى السم فى اللديغ، ثم تنبثق الأرض عنكم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه فتخرجون منها سراعاً إلى ربكم تنسلون ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ حفاة عراة غرلاً غلفاً.

ثم تَقفون موقفاً واحدا مقدار سبعين عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دماً، وتعرقون حتى يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم أو يبلغ الأذقان، فتصيحون وتقولون: من يشفع لنا إلى ربنا يقضى بيننا؟! فتقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم؟ خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلاً، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه، فيأبى فيقول: ما أنا بصحاب ذلك، ثم يَسْتَقْرُونَ الأنبياء نبياً نبياً كلما جاءوا نبياً أبى عليهم، قال رسول الله ﷺ: حتى يأتونى فأنطلق حتى آتى الفحص فأخر ساجداً، قال أبو هريرة: يا رسول الله ما الفحص ؟ قال: موضع قدام العرش، حتى يبعث الله إلىَّ ملكاً فيأخذ بعضدى فيرفعنى فيقول لي: يا محمد فأقول: نعم لبيك يا رب، فيقول: ما شأنك- وهو أعلم- فأقول: يا رب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى خلقك فاقض بينهم فيقول: شفعتك أنا آتيكم فأقضى بينكم.

قال رسول الله ﷺ: فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا حساً من السماء شديداً، فينزل أهل السماء الدنيا مثل من فى الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم قلنا لهم: فيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل من نزل من الملائكة ومثل من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا : لا وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى فى ظلل من الغمام والملائكة

(ويحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة: أقدامهم على تخوم الأرض السفلى، والأرض والسماوات إلى حجرهم والعرش على مناكبهم لهم زجل من تسبيحهم يقولون : سبحان ذى العزة الحى الذى لا يموت، سبحان الذى يميت الخلاق ولا يموت، فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والإنس إنى قد أنصتُّ لكم من يوم خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأرى أعمالكم، فأنصتوا إليَّ، إنما هى أعمالكم وصحفكم تُقْرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [يسن :٦٠-٦٢]، شك أبو عاصم﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يسن: ٥٩] فيميز الله الناس، وتجثوا الأمم، يقول الله تعالى : ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨] فيقضى الله بين خلقه إلا الثقلين الإنس والجن فيقضى الله بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقيد الجماء من ذات القرن فإذا فرغ الله من ذلك فلم يبق تبعة عند واحدة لأخرى قال الله لها: كونى تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ [النبأ:٤٠]

ثم يقضى الله تعالى بين العباد فيكون أول ما يقضى فيه الدماء، ويأتى كل قتيل فى سبيل الله ، ويأمر الله فيأخذ من قَتَلَ فيحمل رأسه تشخب أوداجه، فيقول يا رب فيم قتلنى هذا فيقول تعالى -ووهو أعلم: فيم قَتَلْتَه، فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول الله صدقتَ فيجعل الله وجهه مثل نور السماوات، ثم تسبقه الملائكة إلى الجنة، فيأتى كل من كان يقتل على غير ذلك، ويأمر من قَتَلَ فيحملَ رأسه تشخب أوداجه، فيقول يا رب فيم قتلنى هذا؟ فيقول الله وهو أعلم: فيم قتلته؟ فيقول: يا رب قتلتُه لتكون العزة لي: فيقول الله تَعستَ ثم ما تبقى نفس قتلها قاتل إلى قتل بها، ولا مظلمة إلا أخذ بها، وكان فى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه، ثم يقضى الله بين من بقى

من خلقه، حتى لا تبقى مظلمة لأحد، عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم، حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء أن يخلص اللبن من الماء فإذا فرغ الله من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلهم فقال: ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله شيئاً إلا مثلت له الهيئة بين يديه، فيُجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى، فيتبع هذا اليهود، ويتبع هذا النصارى، ثم قادتهم آلهتهم إلى النار، فهذا الذى يقول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٩] فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون، جاءهم الله فيما شاء من هيئة فقال: يا أيها الناس، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون والله ما لنا إلاَّ الله، وما كنا نعبد غيره، فينصرف عنهم- وهو الله - فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يأتيهم فيقول: يا أيها الناس ، ذهب الناس ، فالحقوا بآلهتكم، وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فيكشف عن ساقه، ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون به أنه ربهم، فيخرون سجداً على وجههم ، ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله أصلابهم كصياصي البقر، ثم يأذن الله لهم فيرفعون رؤوسهم ويضرب الله بالصراط بين ظهرانى جهنم كقد الشعر أو كعقد الشعر، وكحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك دونه جسر دحض مزلة فيمرون كطرف البصر وكلمح البرق، أو كمر الريح، أو كجياد الخيل، أو كجياد الركاب أو كجياد الرجال، فناج سالم وناج مخدوش ، ومكدوح على وجهه فى جهنم.

فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة، قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم، إنه خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلاً فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً، ويقول ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله ، يأتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحبكم عليكم بإبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ، ويقول ما أنا بصاحبكم، عليكم بموسى، فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً، ويقول : لست بصاحبكم ذلك، ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم فيؤتى عيسى ابن مريم، فيطلب ذلك إليه

فيقول: ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بمحمد ﷺ قال رسول الله ﷺ : فيأتوني، ولي عند ربي ثلاث شفاعات وَعَدنيهنَّ فأنطلق فآتي الجنة فآخذ بحلَقِ الباب، فأستفتح فيُفْتَح لي فأحي ويُرَحب بي ، فإذا دخلت إلى الجنة فنظرت إلى ربي عز وجل خررت ساجدا فيأذن الله لي من حمده ومجده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول لي الله ارفع رأسك يا محمد، واشفع تشفع وسل تعط، فإذا رفعت رأسي قال الله وهو أعلم : ما شأنك؟ فأقول : يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة فيقول الله عز وجل قد شفَّعْتُكَ وأذنت لهم في دخول الجنة، فكان رسول الله ﷺ يقول: والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشيء الله واثنتين آدميتين من بنات آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوت على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس واستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوتة كبده لها مرآة، وكبدها له مرآة، فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله إذ نودي: إنا قدْ عرفنا إنَّك لا تَملُّ ولا تُمَلُّ إلاَّ أن لك أزواجاً غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إليَّ منك.

قال: وإذا وقع أهل النار في النار، وقع فيها خلق من خلق ربك أو بقتهم أعمالهم، فمنهم من تأخذه إلى قَدَمَيْه لا يجاوز ذلك منهم ومنهم من تأخذه إلى حقويْه، ومنهم من تأخذ جسده كله إلاَّ وجهه، قد حرم الله صورته عليها قال رسول الله ﷺ: فأقول يا رب شفعني فيمن وقع من النار من أمتي، فيقول الله عز وجل: أخرجوا من عرفتم، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم واحد.

ثم يأذن الله في الشفاعة ، فلا يبقى نبي ولا شهيد إلاَّ شفع فيقول الله عز وجل: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة الدينار إيماناً، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد.

ثم يشفع الله فيقول : أخرجوا من وجدتم فى قلبه ثلثى دينار ونصف دينار، ثم يقول : وثلث دينار ثم يقول وسدس دينار، ثم يقول قيراط، ثم يقول حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى فى النار من عمل خيراً قط، وحتى لا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع حتى إن إبليس ليتطاول لما يرى من رحمة ا لله رجاء أن يشفع له.

ثم يقول الله عز وجل: بقيتُ أنا، وأنا أرحم الراحمين فيدخل الله يده فى جهنم فيخرج منها مالا يحصيه غيره كأنهم خشب مجترف، فينبتهم الله على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل فما يلى الشمس منها أخيضر، وما يلى الظل منها أُصَيفِر، فينبتون نبات الطواثيت حتى يكون أمثال الدرمك مكتوب فى رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن عز وجل يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا لله خيراً قط فيبقون فى الجنة (١).

(٥٦) أحداث القيامة الوسطى أو مرحلة النفخة الثانية:

جاء فى نفس حديث الصور الطويل الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه ما يخص هذه الأحداث فيما يلي:

(... ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم خمدوا، وجاء ملك الموت إلى الجبار، فيقول: يا رب مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت، فيقول الله، وهو أعلم بمن بقى، فمن بقى ؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت، وبقيت حملة عرشك وبقى جبريل وميكائيل، وبقيت فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله العرش ويقول: يموت جبريل، وميكائيل؟ فيقول : اسكت فإنى كتبت الموت على كل من تحت عرشى فيموتان، ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول - وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت، وبقى حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله تعالى : فليمت حملة عرشى ، فيموتون، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتى ملك

(١) النهاية فى الفتن والملاحم لابن كير جـ١ ص٢٧٤ وما بعدها.

الموت إلى الجبار عز وجل، فيقول: يارب قد مات حملة عرشك، فيقول وهو أعلم بمن بقى: فمن بقى؟ فيقول : يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت، وبقيتُ أنا فيقول : أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت، فإذا لم يبق إلا الجبار الواحد القهار الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد، كان آخراً كما كان أولاً، طوى السموات والأرض كطى السجل، ثم دحاها ثم تَلَقَّفَها ثلاث مرات، وقال: أنا الجبار ثلاثاً ثم يهتف بصوته ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر :١٦] ثلاث مرات، فلا يجيبه أحد، ثم يقول لنفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦] .

ويبدل الله الأرض غير الأرض، والسماوات فيبسطها، ويُسَطِّحُها، ويمدها مد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة، فإذا هم فى مثل ما كانوا فيه من الأولى، من كان فى بطنها كان فى بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش ، ثم يأمر السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم إثنى عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله الأجسام أن تنبت كنبات الطراثيث، أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم، فكانت كما كانت قال الله تعالى : لِيَحْيَ حملة عرشى فَيَحْيَون.

ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور بضعة على فيه، ثم يقول ليحى جبريل وميكائيل فيحييان، ثم يدعو الله الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نوراً ، والأخرى ظلمة ، فيقبضها جميعاً، ثم يلقيها فى الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الله تعالى : وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد فتدخل فى الخياشيم، ثم تمشى فى الأجساد مشى السم فى اللديغ، ثم تنشق الأرض عنكم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون منها سراعاً إلى ربكم تنسلون ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر:٨] حفاة عراة غر لاً غلفاً)(١).

---

(١) نفس المصدر ص ٢٧٢ وما بعدها.

(٥٧) العناصر الرئيسية فى أحداث نفختى الصعق والبعث أو القيامتين الوسطى والكبرى:

أولاً : ما يخص الإنس والجن وسائر الأحياء من أحداث الصعق بالنفخة الثانية: ينفخ إسرافيل بأمر الله تعالى نفخة الصعق فتصدر إلى السموات والأرض صيحة الصعق المهلكة فيموت كل حى فى السماوت والأرض، إلا من شاء الله تعالى أن لا يموت بها من الملائكة، وتفنى الحياة على الأرض فناء تاماً بمجرد وصول الصيحة إلى أذن كل حى فتصعقه فى مكانه فلا يبقى على الأرض إنس ولا جان ولا ملك، ولا حيوان ولا طير ولا حشرة، ولا نبات ولا أى كائن حى حتى ولا الكائنات الدقيقة لقوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧] والملائكة الذين يموتون فى الأرض والسماء هم من غير كبار الملائكة مثل جبريل وميكائيل ، وإسرافيل وحملة العرش وملك الموت فهم الذين استثناهم الله تعالى من الصعق بالصيحة الصادر بنفخة الصور الثانية المخصصة للإفناء ، وتلك هى الساعة إذا أطلقنا الساعة وهى الساعة الوسطى أو القيامة الوسطى.

هذا هو الحدث الأول من أحداث القيامة الوسطى بالنفخة المحدثة لصيحة الموت والفناء الكلى فى الأرض، والموت الشامل الكلى فى لحظة واحدة بفعل الصيحة عندما تدخل أذن الحى فتصعقه ولن يموت أحد فى هذا الحدث إلا بالصعق ، ومن ثم لا هدم ولا دمار ولا حريق ولا غرق ولا إعصار ولا زلزال ولا رجفة، ولا أى حدث من أحداث العنف والشدة فى السماء أو فى الأرض أو فى الجبال أو فى البحار أو الكواكب أو النجوم أو الشمس أو القمر.

يدل على هذا قوله تعالي: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٤٨-٥٠] فكل حى يموت فى مكانه حتى أنه لن يتمكن من الرجوع إلى أهله وحتى أن المتخاصمين أمام القاضى فى المحكمة يموتان ومعهما القاضى وكل الحضور فى المحكمة لأن الصيحة ستأخذهم وهم يخصِّمون أى يدافع كل خصم عن

حقّه، يؤكد هذا الفهم ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لَقْحَته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعة، وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»[1].

ولنا أن نتساءل: كم يستغرق من الوقت الإمساك باللقمة ثم توصيلها إلى الفم ومضغها؟! الإجابة : قليل جداً من الثواني، ذلك هو الزمن الذى تتم فيه كل أحداث الساعة التى هى القيامة الوسطى التى تتم بنفخة صيحة الصعق، وهذا يوافق ما علمناه بالتجربة وبالعلم إذ لا يستغرق الموت بالصعق إلا هذه الثوانى المعدودة، وما ضرب رسول الله ﷺ هذه الأمثلة وآخرها زمن رفع اللقمة إلى الفم وعدم وصولها إليه إلا ليبين أن الموت بالساعة لَنْ يستغرق سوى ثانية أو ثانيتين أو ثلاثة وهى فعلاً الزمن الذى يستغرقه القتل أو الموت بالصعق، ولا شك أن وصول الصيحة من السماء للأرض ولكل حى فيها يكون فى لحظة واحدة أو فى خلال لحظات معدودة.

إن فناء الحياة والأحياء على الأرض بالصيحة لا يتيح وقتاً لهم لعمل أى شيء ولا للتفكير فى أى شيء حتى ولا للفزع، فقط لحظات معاناة شدة وآلام الصعق ثم الموت.

وأورد السيوطى فى الدر المنثور قال « أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة رضى الله عنه فى قوله : ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[يس:٤٩] قال : ذكر لنا أن نبىالله ﷺ كان يقول : تهيج الساعة بالناس والرجل يسقى ماشيته والرجل يصلح حوضه ، والرجل يقيم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه فتهيج بهم وهم كذلك فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون قال: أُعْجِلوا عن ذلك ».

وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى رضى الله عنه فى قوله : وهم يخصمون قال: يتكلمون .

---

(١) صحيح البخارى ٩-٥٩- من حديث طويل- ابن كثير فى النهاية جـ١ ص٢٨٢- ورواه مسلم وابن المنذر وأبو الشيخ وسعيد بن منصور .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: لينفخن في الصور والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم حتى أن الثوب يكون بين الرجلين يتساومان فما يرسله أحدهما من يده حتى ينفخ في الصور فيصعق به، وهي التي قال الله ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٤٩-٥٠].

وأقول والله تعالى أعلم : إن قوله تعالى﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ دليل أيضاً على أن الموت الكلى والفناء الشامل لن يستغرق ثوانى لأن المحتضر يمكن أن يوصى بثلاث كلمات أو بأقل فى ثانية أو ثانيتين، وهذا المصعوق الذى تقوم عليه القيامة تباغته الصيحة فيرتج جسده بها رجاً عنيفاً شديداً، يمنعه من الكلام للتوصية ويستمر هكذا ثوانى معدودة يموت على أثرها فقوله تعالى : ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ معناه لا يقدرون على التحدث أو التلفظ ولو بكلمة واحدة.

وهذا كله تفسير لقوله تعالى عن الساعة: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ [محمد:١٨] فهى تأتيهم بغتة لأن كل من سيكون على الأرض من الإنس والجن لن يكون مؤمناً بها ولا باليوم الاخر وهم الأشرار ولن يكون فى الأرض دين ولا قرآن ولا سنة ولا توراة ولا إنجيل لا الصحيح ولا المحرف، ومن ثم فإن أهل الأرض يكونوا بلا علم وبلا ترقب، وبلا توقع للساعة فتأتيهم بغتة.

ويفيد قوله تعالى: ﴿بَغْتَةً﴾ أيضاً أن الساعة التى ليس لها معنى إلا الموت الكلى والفناء التام لكل الأحياء والحياة فى الأرض لن تكون إلا بوسيلة سريعة جداً، وليس أسرع فى وسائل الموت من الصاعقة والصعق لأن الهدم والغرق والزلزال وغير ذلك من وسائل الدمار تستغرق وقتاً ومن ثم فلا يكون الموت بغتة، ولا يموتون جميعاً فى لحظة واحدة فإذا هم خامدون جثثاً ملقاة فى كل مكان علي الأرض .

ثانيا: ما يخص الملائكة المقربين من أحداث الساعة أو القيامة الوسطى بنفخة الصعق:

جاء فى حديث الصور الطويل قوله ﷺ (ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فى الصور فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم خمدوا، جاء ملك الموت إلى الجبار إلى آخر هذا المشهد، وفيه أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ يدل على أن المستثنى من الصعق الملائكة المقربون: جبريل وميكائيل وحملة العرش ومنهم إسرافيل نافخ الصور ثم ملك الموت نفسه والنص يفيد أنهم يموتون عن آخرهم فلا يبقى إلا الحى الواحد الذى لا يموت سبحانه وتعالى آخراً كما كان أولاً.

ثالثاً: ما يخص السماوات والأرض من أحداث بعد القيامة الوسطى أى بين نفخة الصعق وبين نفخة البعث:

جاء فى حديث الصور الطويل بعد موت ملك الموت وجميع الأحياء المخلوقين فى الوجود وبقاء الله تعالى وحده آخراً كما كان وحده أولاً قوله ﷺ « طوى السموات والأرض كطى السجل للكتاب، ثم دحاها ثم لفها ثلاث مرات، وقال: أنا الجبار، ثلاثاً، ثم هتف بصوته، لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات فلا يجيبه أحد، فيقول لنفسه: لله الواحد القهار، ويبدل الله الأرض غير الأرض، والسموات، فيبسطها، ويسطحها، ويمدها من الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً».

تفرد الله تعالى بالأولية والآخرية خصائص وجودية لا يشاركه فيها غيره، وأيضاً تفرده بالملك والملكوت وبالقهر والجبروت، فلا يشاركه فى هذه الصفات غيره عز وجل.

ثم هو سبحانه يهيئ السموات والأرض للموقف العظيم يوم يقف الخلائق كلها لله رب العالمين للحساب والفصل والجزاء.

والأرض التى عليها الناس الآن مخلوقة للحياة وللاستقرار فجعل فيها الجبال حتى لا تميد وجعل فيها الأنهار والأمطار والبحار والوديان، والصحارى والسهول والهضاب فالاختلاف فى تضاريسها لتنوع البيئات من مناطق استوائية ومدارية

وقطبية جـليدية وغابات كثيفة وصحارى شاسعة وسواحـل مختلفة وأعماق متباينة ومحيطات هائلة وبحيرات محدودة ومعادن وطبقات أرضية متنوعة ، وكله مخلوق للإنسان﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩] وذلك حتى تكتمـل أسباب معيشة البشر في مرحلة الخلافة الابتلائية أي في هذه الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿.. وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] وحيث أن المستقر في هذه الحياة الدنيوية له مقتضيات للمعيشة، فقد جعل الله تعالى الأرض وما فيها بكيفيات مـلبية ومحققة لحاجات البشرية وسائر الأحياء على الأرض، فهي بالهيئة التي عليها الآن من جبال ووديان وسهول وهضاب، وبحـار ومحيطـات ونباتـات، وأنعام وغيـر ذلك لتحـقيق هـذه الحاجات الضـرورية للحياة.

أما مـرحلة مـا بعد نـفخة الـبعث فـليس فـيها إلا وقـوف الخلق جـميعـاً عليـها للحساب، ومن ثم لن تكون صالحة لهذه المرحـلة إلاّ إذا كانت مستوية مسطحة ممتدة لا عوج فيـها ولا أمتاً أي لا بروز ولا ارتفـاعات في سطحهـا وهذا يتمه الله سبـحانه، بدك الأرض والجبال دكة واحدة، فتنسف الجبال وتصـير كالعهن المنفوش، ثم تصير سراباً وتُـسوى الأرض بعد ذلـك فتختفـي منها الـبحار والارتفاعـات المختلفـة على سطحها فلا يبـقى إلا سطح ممتد منبسط وهي التـي يقول الله تعالى : ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة : ١٤] وهي التي يقول الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] وصـفصفـاً أي لا نبات فـيها وأمتـا أي لا رابية فـيها وعـوجاً أي وادياً.

وهي التـي يقول الله تعـالى : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥-٦] تتحول الجبال من الصوف المتطاير إلى أن تكون

كالسراب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ:٢٠] وهى التى قال الله تعالى فيها أيضاً : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٧] فمتى يهيئ الله تعالى الأرض للحشر: وينسف الجبال ويجعلها سراباً وغير ذلك من أحداث يتحقق بها هذا الاستواء والتسطيح والمد كالأديم العكاظى أى كالجلد الذى كان يصنع فى عكاظ؟ إنه بعد نفخة الصعق وقبل نفخة البعث. وعلى هذا فليس من أحداث ليوم ما بين النفخة الثانية والثالثة إلا تسوية الأرض للحشر وهذا يتم والأحياء كلهم موتى أى ما بين النفختين الثانية والثالثة:

أما ما يخص الناس فى هذا اليوم فقد ورد فى حديث الصور الطويل قوله : « ثم يزجر الله الخلق زجرة، فإذا هم فى مثل ما كانوا فيه فى الأولى من كان فى بطنها كان فى بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليكم ماءاً من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فَوْقهم اثنى عشر ذراعاً ثم يأمر الله لأجساد أن تنبت، فتنبت كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم ، فكانت كما كانت» والذين فى بطنها يُحتمل أن يكونوا الجن الذين يسكنون باطن الأرض ويحتمل أن يكونوا موتى الإنس الذى دفنهم أهلهم فى مقابر، ومن ثم يكون المقصود بمن على ظهرها الذين يموتون بنفخة الصعق إذ أنهم لا يدفنون بل ستظل جثثهم على ظهرها ولا مانع من الجمع بين التفسيرين وما هذه الزجرة إلا لتهيئة بقايا[1] الناس للبعث بعد ذلك كما يدل عليه الحديث .

وبهذا نكون قد استعرضنا أحداث القيامة الكبرى أى يوم البعث ثم أحداث القيامة الوسطى بنفخة الصعق وما يحدث بين النفختين.

(٥٨) أحداث القيامة الصغرى التى تتم بنفخة الفزع وهى النفخة الأولى المرتقبة:

(١) أقصد بالبقايا عجب الذنب الذى لا يبلى من كل آدمى وعليه ينبت جسده فى البعث.

ويبقى لـدينا سؤال هام هو محور هـذا البحث هذا السؤال يقـول: ورد فى القرآن الكريم مشاهد للـقيامة وأحداث تقع فى السماء مثل الانشـقاق والانفطار والانفراج والكشط.

وورد فيه مشاهد وأحداث تقع للأرض مثل الزلزلة والرجفة والرجّة والخسف.

وورد فيه مشـاهد وأحداث تقع للجـبال وهو بثها حتـى تكون هباءاً منبـثاً ونسف الجبال وتسييرها وورد فيه تسجير البحار وتفجيرها.

وورد فيـه انتثار الـكواكب وانكـدار النجوم وتـكوير الشـمس وحشر الـوحوش وحصباء تنزل من السماء على الناس وغير ذلك من مظاهر الهدم.

فمـتى تـكون هذه الأحـداث، التى صـارت فى أذهـان المسلـمين، هـى الأحداث البارزة فى يوم القيامة؟! وبأى نفخة تـقع هذه الأحداث؟ لم يبق إلاَّ أن تحدث بنفخة الفزع، وهى التى تسبـق نفخة الصعق أو نفخة الفناء والموت الـكلى بزمان طويل، وما بين النفـختين نفخة الـفزع الأولى ونفخة الصـعق أى الثانية أحـداث وحياة وصراع وهزائم، وانتصارات وتتحقق فيها آيات الساعة العشر.

بل إن يوم القيامة يبـدأ قبل نفخة الفزع التى هى مرحلة فيـها، لأن يوم القيامة أوله سرور وفرح وبهجة ومتعة ومتاع ورفاهية وزينة وزخرف وقوة للإنسان لم تحدث له من قبل وآخره عذاب ينزل من السماء على أهل الأرض، يفنى منهم الكثير ويبقى من يشاء الله تعالى أن يبقى، عذاب يحصد ويهـدم ما زرعوا وما بنوا فتصير حصيداً كأن لم تغن بالأمس، ونفخة الفزع هى التى تنـهى سرورهم ومتاعهم وزخرفهم وزينتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس﴾ [يونس :٢٤] فأول اليوم سرور بالزخرف والزيـنة والقوة وهذا يتوافق مع قوله ﷺ :(من سـره أن ينظر إلى يوم القيامة رأى عين فـليقرأ «إذا الشمس كورت»، «وإذا السماء انـفطرت» «وإذا السماء انشقت»).

فهذه السور الثلاث تعرض ما يسر الناس المعاصرين للمرحلة الأولى من القيامة الصغرى، كما سيأتى تفسيرها بعد فى الجزء الثالث بإذن الله تعالى وهو ما يعتبر تفصيلاً لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ ثم بعد ذلك ينزل العذاب بنفخة الفزع وهو ما ورد فى أول حديث الصور الطويل : « إن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض، خلق الصور فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخصاً إلى العرش ببصره، ينتظر متى يؤمر؟ قال: قلت : يا رسول الله ما الصور؟ قال: قرن: قال: كيف هو؟ قال: عظيم، قال: والذى بعثنى بالحق إن عظم دائرة فيه لعرض السماوات والأرض.

يُنفخ فيه ثلاث نفخات، الأولى : نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلاَّ من شاء الله ويأمره تعالى فيمدها ويطيلها ولا يفتر، وهى التى يقول فيها :﴿وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] فتسير الجبال سير السحاب، فتكون سراباً، وتُرَجُّ الأرض بأهلها رجاً، فتكون كالسفينة الموبقة فى البحر تضربها الأمواج، تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق بالعرش، ترجه الأرواح، ألاو هو الذى يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ [النازعات : ٦-١٠] الآيات فيميد الناس على وجهها، وتذهل المراضع، وتضع الحوامل ويشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الأقطار، فتلقاهم الملائكة فتضرب وجوههم فيرجعون ثم يولون مدبرين ما لهم من الله من عاصم ينادى بعضهم وهو الذى يقول الله تعالى يوم القيامة : ﴿يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ [غافر: ٣٢] بينما هم على ذلك، إذ تصدعت الأرض تَصَدَّعَيْن من قطر إلى قطر ، فرأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله، فأخذهم لذلك من الكرب، والهول ما الله به عليم، ثم تطوى السماء فإذا هى كالمهل، ثم انشقت السماء فانتشرت نجومها، وخسف شمسها وقمرها.

قال رسول الله ﷺ : الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك، قال أبو هريرة : يا رسول الله من استثنى الله حيث يقول : ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧] قال: أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون فوقاهم الله فزعه وأمنهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه، وهو الذى يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١-٢] فيمكثون فى ذلك العذاب ما شاء الله إلا أنه يطول ثم بأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق ...) أى أن بين نفخة الفزع التى ينزل بها عذاب القيامة الصغرى وبين نفخة الصعق التى تتحقق به القيامة الوسطى والموت الشامل لكل الأحياء أى الساعة زمناً يطول وهو ما ذكرنا أن الدنيا تستمر بعد الصغرى عشرات أو مئات السنين والله تعالى أعلم ويحدث فيه الآيات والأمارات والعلامات ابتداء من بيعة المهدى ثم خسف جيش السفيانى ثم عودة الخلافة الإسلامية الراشدة ثم الملحمة العظمى وفتح أوربا ثم الخروج العلنى للدجال ثم نزول المسيح عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام واستئصال الدجال واليهود والقضاء على بقية الإفسادة الكبرى لهم ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم موتهم ثم نزول بركة الأرض فى عهد المسيح عليه السلام ثم موته ثم خروج الشمس من مغربها والدابة والدخان ثم مجئ ريح تقبض كل نفس مؤمنة ورفع القرآن من المصاحف ثم مجيء ذى السويقتين الحبشى إلى مكة وهدم الكعبة ثم بقاء الأرض على أجيال من الأشرار وعقم النساء ثم خروج نار من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم ثم تقوم الساعة فى لحظة لا يعلمها إلا الله تعالى وهى التى تتم بنفخة الصعق.

ومن ثم فالزلزال والراجفة والواقعة ونزول العذاب وانتثار الكواكب وانفجار البحار وكل مشاهد الهدم وأحداث الدمار كلها تحدث فى الدنيا وعلامات وقته ومقدماته هى اتخاذ الأرض زينتها وزخرفها وقوة أهلها حتى يظنوا أنهم قادرون عليها ، وتلك هى أحوال الأرض اليوم ، فساد فى جميع نشاط و

مناحى الحياة الخلقية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وفساد فى البيئة أى البر والبحر مع تقدم تقنى وصناعى وعلمى هائل تحقق به سرور الإنسان وراحته ورفاهيته فى الأرض فى شتى مناحى الحياة من وسائل انتقال وأجهزة سمعية وبصرية وإنارة وأجهزة تشيد وعمران وزراعة وصناعة وغير ذلك، وهو ما تعيشه البشرية الآن فى مرحلة الزينة والزخرف والقوة الغاشمة الطاغية فى انتظار نزول العذاب بالزلزال وأحداث القيامة الصغرى ومن ثم تصبح الأرض بعد حدوثها حصيداً كأن لم تغن بالأمس.

ليس أمام البشرية الآن إلا أنَ ترْتقب نفخة الفزع وزلزال الأرض العظيم ، إذا لم ترجع إلى الله تعالى وتتوب إليه وتقلع عن شرورها.

ولا شك أن قوله ﷺ : « إلا أنه يطول» إشارةإلى أن الزمن بين نفخة الفزع ونفخة الصعق زمن طويل يعد بعشرات أو مئات السنين وليس يُعدُّ بالساعات أو الدقائق كما توهم المفسرون فجعلوا فناء الحياة بأحداث هذا اليوم.

إن يوم القيامة أوله سرور وبهجة ومتاع وزخرف فى الأرض وزينة حتى أن الناظر إليها يسره ذلك، وكذلك قوة لدى الإنسان تجعله يطغى ويظن أنه قادر على حماية الأرض من عذاب الله النازل من السماء، هذا هو أول يوم القيامة الصغرى الذى ينتهى بنفخة الفزع لتصير الأرض حصيداً كأن لم تغن بالأمس.

وهو ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ (من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت) وهذا هو موضوع الكتاب التالى فى هذه الموسوعة (القيامة الصغرى على الأبواب) فنتناوله تفصيلاً بإذن الله تعالى وموضوعه (الأمارات العلمية والتقنية والصناعية).

نسأل الله تعالى عونه وتوفيقه وسداده وأن يقينا عذابه يوم ينزل بعباده.

فهرس الكتاب

الموضوع | الصفحة

الباب الأول: مصادر أشراط الساعة وأصولها الإعتقادية فى الكتاب والسُّنة

الفصل الأول: القرآن الكريم والسنة أصح مصادر على المستقبل على الاطلاق

كتب المؤلف

١- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الأول:- في الكتاب والسنة . — ثلاث طبعات
٢- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثاني:- عند السلف والمتكلمين. — ثلاث طبعات
٣- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثالث :- عند الفلاسفة. — ثلاث طبعات
٤- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الرابع:- عند الصوفية. — تحت الطبع
* وهو الكتاب الذى حاز به المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٥- الأصول الإعتقادية للمعرفة في الإسلام. — طبعة واحدة
٦- الإسلام والعلم التجريبي. — طبعة واحدة
٧- استخلاف الإنسان في الأرض. — ثلاث طبعات
٨- قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة — طبعتان
٩- الإنسان والشيطان — ثلاث طبعات
١٠- مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان — ثلاث طبعات
١١- محاضرات في العقيدة الإسلامية — ثلاث طبعات
١٢- توفيق الحكيم لِمنْ أستمع وإلى من تحدث — طبعة واحدة
١٣- مقومات المجتمع المسلم — ثلاث طبعات
١٤- البيان النبوي بدمار إسرائيل الوشيك وتحرير الأقصى — طبعة واحدة
١٥- الخلافة الإسلامية:- حقيقتها وأصولها الإعتقادية وحتمية عودتها — طبعة واحدة
١٦- التوحيد :- معرفة الله والعلم به — تحت الطبع
١٧- المدخل إلى العقيدة الإسلامية — تحت الطبع
١٨- حكم الإسلام في استخدام العنف في الدعوة والإصلاح — تحت الطبع

«موسوعة أشراط الساعة»

١٩- القيامة الصغرى علي الأبواب الجزء الأول :- وهو الإصدار الثاني لكتاب زلزال الأرض العظيم. — طبعتان
٢٠- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثانى:- «المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة». — طبعة واحده

٢١- القيامة الصغري على الأبواب الجزء الثالث: «الأمارات العلمية والتكنولوجية في الكتاب والسنة» تحت الطبع

٢٢- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الرابع: «الأمارات الخلقية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية» تحت الطبع

٢٣- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الخامس: «أحداث ماقبل المهدى عليه السلام» تحت الطبع

٢٤- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السادس: «المسيح الدجال» تحت الطبع

٢٥- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السابع: «المهدى عليه السلام» تحت الطبع

٢٦- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثامن: «الملحمة العظمى وفتح أوروبا». تحت الطبع

٢٧- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء التاسع: «يأجوج ومأجوج» تحت الطبع

٢٨- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء العاشر: «نزول المسيح عليه السلام» تحت الطبع

٢٩- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الحادي عشر «ما بعد المسيح عليه السلام إلى قيام الساعة» تحت الطبع

جميع المراسلات وطلبات التوزيع

باسم عبد الرحمن فاروق الدسوقي ت/ ٥٥٧٢٦٦٠/ ٠٣- الأسكندرية تطلب مطبوعاتنا من المكتبات الآتية:

١- مكتبة مدبولي - ٦ ميدان طلعت حرب/ ت:- ٥٧٥٦٤٢١.
- طريق النصر - مدينة نصر / ت :- ٤٠١٥٦٠٢ - القاهرة.

٢- مكتبة حميدو - ٢٦ ش النبي دانيال / ت: ٤٩٠١٤٩٤ - ٤٩٣٣٨٧٤ - الاسكندرية.

٣- مكتبة دار العقيدة للتراث - ١٠١ ش الفتح - باكوس أمام محطة الترام / ت: ٥٧٠٧٣٢١ - الأسكندرية.

٤- معرض لونابارك - ش لاجيتيه - الإبراهيمية - الأسكندرية.

٥- دار الدعوة - ١ ش منشا محرم بك/ ت : - ٤٩٠١٩١٤ - ٤٩٠٧٩٩٨ الاسكندرية

ولدى باعة الجرائد في جميع المحافظات



المؤلف

الاستاذ الدكتور فاروق احمد حسن الدسوقي

ولد بالاسكندرية عام ١٩٣[illegible]م

حصل على ماجستير الفلسفة الاسلامية من جامعة الاسكندرية.

[illegible] الترجمة والطبع وتبادل الرسائل مع جامعات العالم.

حصل على دكتوراه العلوم الاسلامية قسم الفلسفة الاسلامية من كلية

[illegible] جامعة القاهرة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الاولى.

[illegible] الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

[illegible] الفلسفة الاسلامية بجامعتي الملك سعود وام القرى

[illegible] وحتى عام ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.

الكتاب

يحتوي هذا الجزء من القيامة الصغرى على الابواب القضايا
الرئيسية لعلم اشراط الساعة بمنهج المطابقة.هذا العلم الذى يختلف
من حيث الاهداف والمنهج والنتائج عن كل ما هو مدون تحت عناوين
اشراط الساعة والفتن والملاحم ، من حيث ان الاولين السابقين من العلماء
رحمهم الله لم يكن امامهم الان يفهموا نصوص الوحي الخاصة بالاشراط
والفتن من خلال تصورات ومفاهيم عصورهم وبالتالى فهم معذورون
اذا لم تتطابق تفسيرهم للايات وشروحهم للاحاديث مع كل ما تحقق
من احداث واقعة وعلوم ومخترعات لم تكن تخطر على بال احدهم
فما تعيشه البشرية فى عصرنا الراهن فنحن اهل هذا العصر الراهن
اقدر على فهم هذه النصوص منهم لاننا نعيشها من هنا جاءت
اهمية المطابقة بين المفاهيم اللغوية لنصوص الوحى مع الاحداث
والاحوال الاجتماعية والمخترعات العصرية.فظهرت بالتالى نتيجة
هذه المطابقة ، معالم علم جديد فى اشراط الساعة وهذا الجزء يضع
الاساس الاعتقادى له ، ويقدم اهدافه ومناهجه وفوائده ومصادره
ومفاهيمه ومصطلحاته ومراحل القيامة الثلاث الصغرى والوسطى
والكبرى ويحدد احداث كل مرحلة من اجل هذا كله استحق ان يكون مدخلا
لعلم اشراط الساعة بمنهج المطابقة ، لا غنى عنه لمن يريد ان يتابع
قراءة هذه الموسوعة